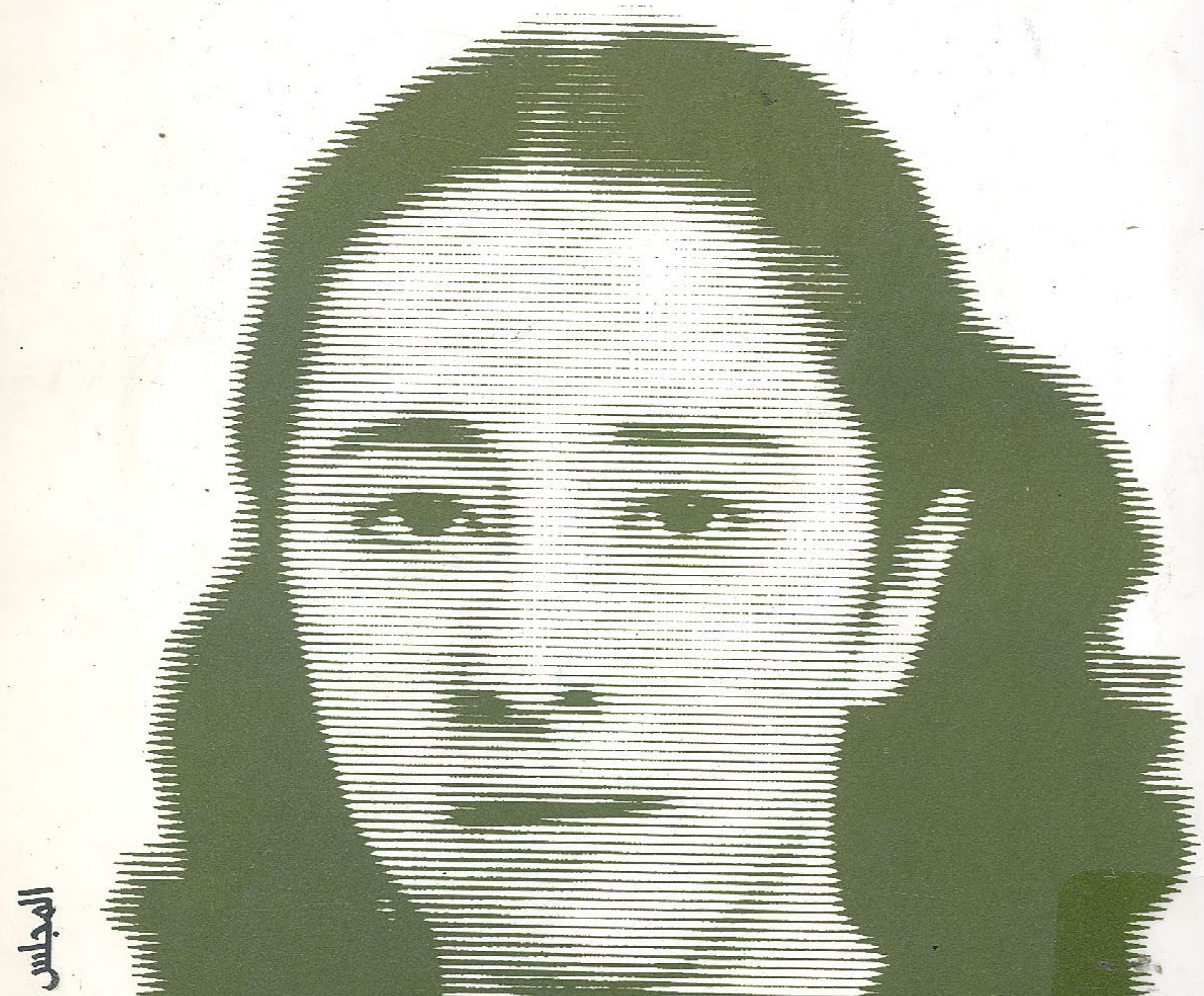
نازك الملائكة



الأعمال الشعرية الكاملة ، الجزء الثانى

- قرارة الموجة
- شجرة القمر
- للصلاة والثورة
- يغيّر ألوانه البحر
- الوردة الحمراء

المجلس الأعلى للثقافة

نازك الملائكة

الأعمال الشعرية الكاملة

(الجزء الثانى)

- قرارة الموجة
- شجرة القمر
- للصلاة والثورة
- يغير ألوانه البحر
- الوردة الحمراء

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٢

قَرَارَةُ المَوْجَة

الطبعة الأولى ١٩٥٧

إلى أمي..

أول شاعرية خصبة تتلمذتُ عليها

«نازك»

تقدمة للطبعة الثالثة

- ١ -

كنت قد كتبت هـذا الحوار التحليليّ عام ١٩٥٧ لأجعله مقـدّمة للطبعة الأولى من (قرارة الموجة)، وقـد حاولت فيه أن أشـخص تطورى النفسى بين الفترة التى نظمت فيها هذا الشـعر (١٩٤٧-١٩٥٣) والفترة التى كنت أمرّ بها عام ١٩٥٧ حينما كنت أنظم قصائد ديوانى الرابع (شجرة القمر)، ومن عادتى ألاّ أنشـر إنتاجى الشـعرى إلا بعـد مرور الزمن عـليه، ليكون حكمى عليـه أصوب، وذلك سرّ الفروق الزمنية التى تقوم بين شخصيتى الفكرية فى (قرارة الموجة) وشـخصيـتى الجديدة عام ١٩٥٧، ولذلك سـميت بطلة قـرارة الموجة بـ(الأولى) وبطلة عام ١٩٥٧ بـ(الثانية) فشخصت بذلك الفروق بين ذهنيهما، وقد عـدلت يومها عن نشـر هذه المقدمـة لأترك للقراء فرصـة يدرسون فيـها القصائد بمعزل عن تحليلاتى، أما الآن وأنا أقدّم للطبـعة الثالثة، فلا أرى مانعًا من نشر الحوار لما يلقيه من أضواء كاشفـة على هذا الشعر قد تساعد الناقد فى فهم وجهة نظرى الفلسفية وتطورى الذهنى بين الفترتين.

"ن.م."

البصرة

فى ١٩٦٧/١٢/٢٣

-٢-

الثانيــة: إنهم يسألونني عنك، أيتها الصديقة القديمة، ويريدون أن يعرفوا لماذا سمّيته «قرارة الموجة».

الأولى: (في لهفة) أو ليس في وسعك أن تردي عليهم؟

الثانيــة: (دون مبالاة): بلى، لست أنكر أن عندي معلومات كثيرة عن هذه القصائد، وفي وسعي أن أتحدث طويلاً عن كل واحدة منها، ولكني- والحقّ يقال- لا أحسّ برابطة تربطني بها أو بك، هذه القصائد قد نظمت منذ سنين ولم تعد تعنيني، أتريدين أن أقف منها موقف الناقد؟

الأولى: أنت؟ بمقاييسك التي لا أقرها؟

الثانيــة: ماذا في وسعي إذن؟ لقد سألتك أن تتحدثي أنتِ إليهم عن نفسك فأبيتِ.

الأولى: إنك ترفضين أن أقول ما أريد، وتصرين على أن أقول ما تريدين أنت، مع أني أنا التي نظمتُ هذا الشعر لا أنت.

الثانيــة: فلنفرض أنني أذنت لك بالكلام.

الأولى: (ساخرة) كرمُ عظيم منك، إني أحبّ أن أحدثهم عن «الموجة»، عن النقطة العليا التي أسمّيها القمة، والنقطة السفلى أو «القرارة»، القمة التي تصلها الموجة وماؤها مندفع إلى أعلى، والقرارة التي تصل إليها حين تستجمّ حركة الاندفاع المتوتر.

الثانيـة: يا أختي! أما كان الأفضل أن تنشرى لهم الشعر الذى نظمته وأنت فى قمة الموجة؟ أنت تدرين أنهم يتهمونك بالتشاؤم.

الأولى: (فى ازدراء) القمـة؟ لا شيء على القمـة إطلاقا، إنى أكتب قـصائد باردة حين أبلغـها، وما القمـة بعد؟ إنها بداية الانحدار، أمـا القرارة فليست إلا الاسـتجمام الذى ينطـوى على بذرة التحفز إلى الانبـثاق الحار والصعود إلى القمة التالية.

الثانيـة: سيـقولون حين يسمعـونك: ما قيمة الصـعود إن كانت القمة نفـسُها باردة؟

الأولى: مهما يكن فإن عنوانى «قرارة الموجة» متفائل.

الثانية: هكذا كنتِ تقولين عن (شظايا ورماد) إن لم أخطئ.

الأولى: كلا، إن الشظايا قمة عالية حقاً، ولكنّ الرماد هو النهاية التى لا حياة بعدها، أما الموجة فهى لا تركد أبداً، والنـقطة السفلى فيها ليست إلا القفزة الجديدة نحو القمــة، وهكذا ترين أن (قرارة الموجة) يرى الحياة على صورة تعاقب قمم وانحدارات لا نهاية لها، وإذا كان هذا الشعر قد نظم فى منحدر الموجة فإنها محض صدفة لا أكثر.

الثانيـة: آمنَّا، ولكنى أحبّ أن أعترض على شيء إن سمحتِ.

الأولى: (فى ضيق) كما تشائين.

الثانية: إنى أحب أن أغير عنوان الديوان من (قرارة الموجة) إلى (طريق العودة) فما رأيك؟

الأولى: فكرة ذات إمكانيات، أتـعلمين أن هذا قد خطر لى أنا نفـسى مراراً؟

إن قصيدة (طريق العودة) كبيرة الدلالة وأنا أعدّها مفتاح الفلسفة التى قامت عليها حياتى.

الثانية: اتفقنا إذن، فلنسمّه (طريق العودة).

الأولى: كلا، ليس فى وسعى أن أوافق، إنّ القرّاء سيظنون العنوان غواية لا أكثر، سيحسبون أننى لم أجد عنواناً يلخص عقدة الديوان ويدلّ عليها فلجأت إلى تسميته باسم إحدى القصائد، الواحدة الأثيرة إلى قلبى.

الثانية: وماذا لو ظنّوا هذا؟ إن ديوان شعرٍ ما ليس عملاً موحداً بحيث يجب أن يلخصه العنوان.

الأولى: هذا ما لا أوافق عليه، إن العنوان ليس إلا مرآة صغيرة تعكس فترة من حياة زاخرة عاشها الشاعر، ولابدّ لكل فترة فى حياة الشاعر الحق من إتجاه مميز، إنه شيء قائم، وهو يحتم العنوان.

الثانية: رأى متعنّت، أنتِ جديّة أكثر مما ينبغى، وبعد فإن عنوانك العتيد (قرارة الموجة) لايمثل القصائد كلها، إنّ فى هذه المجموعة قصائد لاتقع تحت هذه الفلسفة.

الأولى: هذا حقّ، وأنتِ المسئولة، لقد حذفتِ نصف قصائد هذا الديوان، انكرى هذا.

الثانية: إنى لا أنكر، هذه القصائد لم تعد تروقنى وقد حذفتها.

الأولى: ولكنها مقاييسُك أنتِ، أنت التى لم تنظم هذه القصائد، وليس من حقك أن تتحكمى فى شعرى أنا، أمامكِ ديوانك أنتِ فاحذفى منه ما تشائين.

الثانيـة: ألا يبدو أن فتاةً أخرى هى التـى ستتحكم فى شـعرى أنا؟ واحدة لا أعرفـها الآن، ستنبع من المسـتقبل وتواجـهنى ولن يروقها شـعرى، أغنيتى هذه الأخيرة التـى تنتفض فيها الوردة الحمراء وتتـفجر الدموع المختبئة فيها... هذه الأغنية التى أراها أنا أجمل ما يمكن أن أنظم، يجوز أنها لن تسمح لى بنشرها كما أصنع أنا بقصائدك.

الأولى: (كأنها لاتصغى) حقاً ماذا أبقيتِ من (قرارة الموجة)؟

الثانيـة: يكفى ما أبقـيت منه، إن القارئ سيـألف الفلسفـة، ألا يكفى أنكِ ملأت بها (لعنة الزمن) و(الشخص الثانى) و(سخرية الرماد) و(يحكى أنّ حفّارين) و(صلاة الأشباح)؟ بل ألاه تكفيك قصيدة (طريق العودة) هذه القصيدة التى تولعين بها؟

الأولى: إنّها تلخصنى.

الثانيـة: طبعاً تلخصُكِ، ولهذا أرانى لا أنسجم معك، إنى أحبّ طريق العودة ولا أستسيغ كرهك له وثورتك عليه، اسمعى ما تقولين:

لماذا نعودْ

أليس هناك مكان وراء الوجودْ

نظلّ إليه نسير

ولا نستطيع الوصولْ

الأولى: (فى لهـجة حالمة) حـقاً، لماذا نعـود؟ إن طريق الرواح مملوء بالحـياة والجمال دائماً، وما نكاد نقـرّر الرجوع حتى يركد كل شىء، وتلوح الأشيـاء جامـدة مملّة، طريق الرواح يعرض عـلينا الأشيـاء أول مرة

فتراها بلهفة تخفى ما فيها من معايب، بينما يقدّمها لنا طريق العودة وقد فقدتْ جدّتها.

الثانية: وا أسفاه، أنتِ إذن تؤمنين أنّ آمالنا هى دائماً أجمل من تحقّقها، أترى الكأس أعذب حين لانملكها؟ أتصبح بلا طعمٍ إذا نحن بلغناها وتناولناها؟

الأولى: (ما زالت تحلم) تماماً، أنتِ تلخصين فكرتى التى جاءت فى قصيدة (وجوه ومرايا) فى «شظايا ورماد» حيث قلت:

كيف حين استلمت كأسىَ أرسلـ ـت دموعى ولم يُفِدْنى ارتواءُ

الثانية: وهذه عين صرختك فى قصيدة (الزائر الذى لم يجئ) فى هذا الديوان:

ولو كنتَ جئتَ..

أما كنتَ تصبح كالحاضرينَ وكان المساءْ

يمرّ ونحن نقلّب أعيننا حائرين

الأولى: صرختى طبعاً، وأنا أحبّها، إن مجئ زائرى المنتظر ليس إلا قمة الموجة، وتحقّقه ينذر بالمنحدر.

الثانية: إنك يا صديقتى لاتقوين على التحديق فى الأشياء خوفاً من أن يكشف طريق العودة ما تخفيه النظرة العجلى، أليس هذا هو السرّ فى قصيدتك (لنفترق) فلماذا أردتِ هذا الفراق وألححتِ عليه؟ اسمعى أبياتك:

وما زال وجهُكَ مثل الظلام، له ألف معنى

وقد يعتريهِ جمود الصَنَمْ

إذا رفع الليل كفّيه عنّا

هكذا تحاولين أن تهربى من التحديق فى الأشياء، وتؤثرين أن تستبقى على عينيكِ غشاوة تحجب عنكِ كل شىء، إنك تكرهين أن تبلغى القمة لئلا يلوح لكِ المنحدر، وتمقتين أن تصلى إلى نهاية الطريق لئلا تضطرى إلى الرجوع، وتحبّين... ماذا تحبّين أنتِ؟ إنك بكلمة واحدة لا تحبين الوصول إلى أىّ مكان.

الأولى: وما قيمة الوصول إلى مكان؟ انظرى إلى الوصول الذى حققته فى قصيدتى (وجوه ومرايا).

الثانية: (ساخرةً) أوه... قصيدتك تلك... حيث تحطمّين المرآة؟ اتذكرين لماذا حطمت المرآة؟

الأولى: طبعاً، لقد كان ذاك شيئاً لا أنساه، كان ينبغى أن أنظم قصيدة سعيدة، وقد توقعوا جميعاً أن أفعل.

الثانية: وقد خرجت عليهم بهذه (الفقاعة السوداء)، لماذا؟ لقد أدركتِ أنكِ وصلتِ، وبدلاً من أن تَسْعدى بالقمة ذهبت إلى المرآة تبحثين فيها عما سميته «ذاتك التى لا تُلمس»، قولى لى حقاً لماذا حطمْتِ المرآة؟ إنك لم تقولى هذا لأحدٍ قط؟

الأولى: لم أقلْه لأحد، ولن أقوله الآن.

الثانية: لا داعى لأن تقولى بعد، أولا أعرف كل شىء عنكِ؟ أنتِ لاتحبين الوصول والتحقق، وقد أخافك وجهُكِ فى المرآة لأنَ ظل القمة كان منعكساً عليه.

الأولى: وما ظل القمة فى اعتباراتك؟

الثانية: السعادة يا فتاة.

الأولى: أنت لاتفهميننى على كل حال.

الثانية: مهما يكن، لقد ألقيتِ بالمرآة على الأرض وحطمتها لتهربى من القمة التى تخيفُكِ.. الوصول.

الأولى: وهنا كانت السخرية، لقد بات وجهى منعكساً على كل شظية من شظايا المرآة، لقد تعدّدتُ وتجزأتْ نفسى، إن هذا هو ما أكرهه.

الثانية: لأنكِ تكرهين الوصول وحسب، إنك لم تطيقى أن تصلى مرة، وعندما تحطمت المرآة تعدّد وصولُكِ فلم تطيقى الموقف.

الأولى: ماذا كان سيقع لى بعد ذلك؟ بعد الوصول؟ الانحدار إلى القرارة.

الثانية: وكيف تستطيعين الاستمتاع بالقمة إن لم تقررى النزول إلى القرارة؟ كيف تنعمين بطريق الرواح إن كنتِ لاتطيقين طريق العودة؟ قفى إذن حيث أنتِ يا صغيرتى واغمضى عينيكِ، أغمضيها بسرعة لئلا يشرق الضوء، أو يلوح لك القمر وهو يسخر منك كما تصفينه فى (سخرية الرماد).

الأولى: أنتِ تحبين الجَدَل.

الثانية: ربما، ولكنى أجادل ظلاً هذه المرة وبعد فمن أنتِ؟ طيف من الماضى، شىء كان ولم يعد له وجود.

الأولى: إنى أقوى منك مع ذلك انظرى كيف تتنحسين لى وتدعيننى أعيش على الورق، بينما تلوذين أنت بالصمت التام.

الثانيـة: أنت تَغلبـين؟ سرعان ما ستتعبين من المقاومة وتـهربين، إنك تنسين الأشيـاء بسرعـة، ولا تحبـين الثبات عـلى أى شيء، إنك تبتـدعين الأساليب لكى تغيرى أى طريق تسيرين فيـه، إن الزمن يدحرك فى كل مناسبة.

الأولى: (تنتفض فى شبه خوف) الزمن؟

الثانيـة: انظرى كيف أفزعتك الكلمة؟

الأولى: إنى لا أخاف الزمن، إنى أسأمه وحسب، ولـعلى أتعب من مصاحبة أفكارى.

الثانيـة: إن «قرارة الموجة» أفصح منك فى الحديث وأكثر صراحة، انظرى إلى قصـيدة (لعنة الزمن) إنك ترمزين للـزمن بالسمكة الميتـة التى كانت طافـية على سطح النهـر ذات غروب، خـلال نصف ساعـة متـأملة قضاها الصديقان اللذان تتناول القصيدة قصتهما.

الأولى: طبعاً يكون للزمن تأثيره، انظرى للظروف التى كانا فيها.

الثانيـة: ما لهـما؟ لقد أعطيتهمـا فى أول القصيدة خير ظروف ممكنة، طـبيعة مـلاطفة، وغـروب وديع يفـرش ألوانه فى خـدمة المحـبـين اللذين يحاولان إحياء ماضٍ قد انطوى، ويبذل كل مـنهما جهداً مخلصاً فى هذا الاتجاه، وقد نجح الغـروب فعلاً وحقق المعجزة وسعـد الصديقان ولكنك وأنت ما أنت تدخلت فوضعت السمكةالميتة فى الطريق.

الأولى: (تبتسم) أنا وضعتها، إنها كانت طافية على الماء ولم أضعها أنا هناك؟

الثانيـة: إنها مجرد سمكة ميتة، وكان فى وسعها أن تظل كذلك لو لم تصرى أنت على أن تكبر وتكبر.

الأولى: «في احتجاج» أنت تتكلمين وحسب، إن السمكة قد بدأت تكبر فجأة.

الثانية: لأنهما القيا بالهما إليها يا ساذجة.

الأولى: «في جهل مخلص» لقد قابلاها بالشفقة أولاً ثم أحسا بالضيق بسبب التعارض بين مشهد الموت وحرارة الحياة التي نجحا في تحقيقها أتريدين أن تقولي إنهما كانا يستطيعان أن يقاوما الشعور بالانزعاج من أن تطفو سمكة ميتة في تلك اللحظة؟

الثانية: إن الصديق قد رفض أن يلقي باله إلى السمكة ألا تذكرين احتجاجه القويّ على الفتاة في بعض مقاطع القصيدة؟

الاولى: إنه لم يكن خائفاً.

الثانية: طبعاً، هكذا بدا، ولكنه سرعان ما خاف بتأثير الفتاة التي نسيت كل شيء وعلق بصرها بالسمكة في رعب، اسمعي صرخاتها

. . . . أي طريقْ

يحمينا من هذا المخلوق

لنعد، فالدرب يضيق يضيق

والظلمة محكمة الإغلاق

لقد راحت تثير وساوسه ومخاوفه حتى نجحت في زعزعة ثقته، ومهدت السبيل لانتصار السمكة التي مضت في التضخم حتى فصلتْ بينهما وسدّت في وجهيهما الأرجاء، قولي لي، ألستِ أنت التي وضعت بينهما هذه «الجثة»؟

الأولى: لقد كانت الجثة موجـودة، ولا شأن لي أنا بها، كيف كان يمكن ألا أخاف؟

الثانيـة: إن السمكة في قصيـدتك رمز للزمن أي الفراق بين الصـديقين أليس كذلك؟

الأولى: تماماً، إنـي أعتقـد أن فراق عشـرة أشهـر بين الأصدقاء يـجعل من المستحيل أن يعودوا أصدقاء.

الثانيـة: أغرب عقيدة، ولماذا إذا سمحتِ بالسؤال؟

الأولى: لأنهم لابدّ أن يكونـوا قد تغـيـروا خـلال ذلك ونمت في أنفـسـهـم ترسبّات زمنية كثيرة تجعلهم غرباء الواحد عن الثاني.

الثانيـة: ما هذا الزمن لتخافيه إلى هذا الحدّ؟ إن التغير مهما كان عميقاً لايبعد الإنسان عن إنسانيته التي تبقى تجمعـه بالآخرين مهما كانت صفتهم، لكأنك تفترضين أن الناس أصلا منفصلون ولايجمعهم إلا الاتصال، أمـا أنا فأؤمن بأن قـيـام الصلات الودية بين أي إنسـانين في الدنيـا محتمل في كل لحظة بحيث يصعب تحاشيه.

الأولى: رأيك هو الغـريب، إني أقضي أشـهراً طويلة أحـياناً قـبل أن أحس بشيء من الانسجام مع إنسان أراه كل يوم.

الثانيـة: يسرني يا أختـاه أنك محـض ظل الآن، وخير لك أن تـعودي إلى قوقعة التاريخ التي استدعيتك منها وأنا أهيئ (قرارة الموجة) للمطبعة.

الأولى: إني لا أطيقكِ، أنتِ الشخص الثاني الذي أسخر منه في قصيدتي.

الثانيـة: ها، قصيـدتك (الشخص الثاني)، كنت عـلى وشك أن أنساها وهي دليل حي على رعبك من الزمن الذي يلوح فيها شيطاناً خبيثاً.

الأولى: أنت الشخص الثانى.

الثانيـة: رائع، إن هذا يناسبنى وأنا راضيـة، أتحسبين أن الناس يخلون من أن يكون فيهم شخص ثانٍ؟

الأولى: ماذا ينفعك هذا؟

الثانيـة: إن فى وسعى أن أصافح هذا الشـخص الثانى يا صديقتى، إنه أقرب إلىَّ منك.

الأولى: إن الشخص الثانى: بارد، هازئ، بلا مشاعر.

الثانيـة: هكذا ترينه لأنك الشـخص الأول دائماً، لقد أردتِ ألا تتـغيرى قط، وكأنك صغتِ نفسك وفق قالب نموذجى، وعندما عدت من الولايات المتحـدة عام ١٩٥١ تخـيلت أن إنساناً جـديداً قد ولد وتـرعرع، فى داخل كل إنسان عرقته فى أرض الوطن، قولى لى هذا وحسب، لماذا لم تفترضى أن إنساناً جديداً قـد ولد فيكِ أنت كذلك خلال أسفارك فى أقطار الدنيا؟ لماذا لم يخطر لك أنك أنت الشخص الثانى؟

الأولى: معاذ الله، إنى لست الشخص الثانى وكفى.

الثـانيـة: ألم أقـل لك أنك تلقـين بالك إلى الزمن أكـثـر ممـا ينبـغى؟ أليس الشخص الثانى هو عين السمكة الميتة؟

الأولى: هو نفسه.

الثانيـة: هل تصافحيننى؟

الأولى: إنى لا أحبك.

الثانيـة: شأنك إذن.

الأولى: لقد آن لى أن أعود إلى قوقعتى كما تسمينها ولا أظننا سنلتقى ثانية.

الثانية: أما أنا فإن نفسى الجديدة تنتظرنى فى مكان ما من المستقبل القريب، وسأذهب للقائها.

الأولى: أرجو ألا يطول بحثك عنها.

الثانية: مهما طال، فلا بد لى من الوصول، وسأجدها فى النهاية وأصافحها، وداعاً يا رفيقة.

الأولى: (لا ترد، تختفى وراء الضباب).

٥٧/٢/٢١

نازك الملائكة

أول الطريق

لنلتقِ، فالريّح تعصف والمُنحنى لا يعى
وغمغمةُ الهاجسِ المتهدِّد فى مسمعى
وهذا الطريق الذى سلبته خطاى السكون
غريبٌ مخيف المعابرِ يُشبه لون المَنونْ
أحسّ السراب
وراء الهضابْ
وألمس فى لونه مصرعى
وأنت بعيدٌ وراء الظنون

لنلتقِ؛... إنى أخاف المساء الغريقَ الضياءْ
أرى مارداً من أساىَ الممزّق يطوى الفضاء
يُنقِّل أقدامه السُودَ بين عُيون السنا
ويُطفئها، عدْت أخشى أذاه على نجمنا
فعين الإله
غفتْ عن أذاهْ
وقد يستعير لهيبَ البكاءْ
ويُغمدُه فى ابتساماتنا

لنلتقِ.. ما أطول الانتظارَ على الخائفينْ
لنلتقِ، تحجُبُنا فكرةٌ عن عيون السنينْ
هنالكَ ترصدنا نجمةٌ من هوانا الرقيق
تمدّ يديها لترشدنا لمكانٍ سحيقْ
وراء الجراحْ
ولسعْ الرياحْ
بعيداً وراء كهوفِ الأنين
هنالكَ يبدأ كلّ طريقْ

هنالكَ تبتديْ الذكريات سجلاً جديدْ
وتبدو حدود طريقٍ يشقّ الفضاء المديدْ
إلى موضعٍ فى المدى المرتمى حجبته الظلالْ
وما كشفت عن خفاياه حتى عيون الخيالْ
ستعبر فيهْ
إلى ألف تيهْ
سُدىً يتحرّى الزمان البليد
خطانا فنحن وراء المحال

سنحـيـاْ مـعـاً فـى عـوالمَ حـافلة بـالوعـودْ
ونملك لـيـلاً يبـيع النعـاس وعِـطْرَ الورود
سـينبـجس الماءُ حـيث لمسنا أديم الثـرَى
ويرقص حـول خطانا بأجنحـةٍ من شـذى
سنمحو الزّمان
ونسى المكانْ
هناك ونُقْـسِمُ ألاّ نعـودْ
إلى أمـسِنا المنطوى..
سـرْ بنا!

١٩٤٨/٤/٨

أغنية

اسكُنى يا أغانى الأملْ
فالهوى قد رحلْ
وانطوى سره فى مقلْ
رُصِفتْ بالمَلَلْ

أينَ أينَ ترى تذهبين
فى سكون السنينْ
والطريق الذى تسلكينْ
صامتُ لا يُبينْ

ولمن تخلقينَ العُطورْ
والليالى تدورْ؟
ولمن دفؤكِ المسحورْ؟
للدجى؟ للقبور؟

ولمن أنت والمنشدون
رحلوا في سكونْ؟
والأسى، يا أغاني، ديونْ
دفعتها عيونْ

كم ملأنا بكِ الأقداحْ
وسقينا الرياحْ
كم منحناكِ للأشباحْ
في رضاً وسماحْ

فابحثي في شعاب الوجودْ
عن هوانا الشرودْ
كفّنا نديَتْ بالوعودْ
وهو ليس يعودْ.

دعـوة إلـى الأحلام

تعـــالَ لنحلُمَ، إن المســـاءَ الجـــمـــيل دنا
ولينُ الـدُجى وخـــدودُ النجُـــوم تُنـادى بنا
تعـالَ نصـــيـدُ الرؤى ونعُـدّ خـيـــوطَ السّنا
ونُشْـــهِـدُ منحَـدَرات الرمـــال على حـــبنا

سنمشى مـعاً فـوق صدْر جزيرتنـا الساهده
ونُبـــقى على الـرملِ آثارَ أقـــدامنا الشـــارده
ويأتى الـصــبـــاح فـــيُلقى بأنـدائه البـــارده
ويُنْبتُ حـــيثُ حَلُمْنا ولو وردةً واحــــده

سنحلـم أنّا صـعَـدنا نـرود جبـالَ القـــمـرْ
ونمرحُ فـى عُـــزْلِـة اللانهـــايـةِ واللابَشَـــــرْ
بعيـداً، بعيـداً، إلى حيث لا تستـطيعُ الذكَرْ
إلينا الـوصـولَ فنحـن وراء امتــــدادِ الفكرْ

سنحلُمُ أنّا استَحلْنا صبيَّينِ فوقَ التلالْ
بريئينِ نركضُ فوق الصُخورِ ونرْعى الجمالْ
شريدَينِ ليس لنا منزلٌ غيرَ كوخ الخيالْ
وحينَ ننام نمرّغ أجسامنا في الرمالْ

سنحلُم أنّا نسير إلى الأمسِ لا للغدِ
وأنّا وصَلْنا إلى بابلٍ ذاتَ فجرٍ ندِ
حبيبَينِ نحْمل عهدَ هوانا إلى المَعبدِ
يُباركُنا كاهنٌ بابلىٌّ نقىُّ اليَدِ

١٩٤٨/٩/٢٨

الشهيد

فى دجى الليلِ العميقْ
رأسهُ النشوان ألقَوْه هشيما
وأراقوا دَمه الصافى الكريما
فوقَ أحجارِ الطريقْ

وعقابيلُ الجريمه
حمّلوا أعباءها ظَهْرَ العمودِ
ثم ألقوه طعاماً للحّودِ
ومَتاعاً وغنيمه

وصباحاً دفنوهُ
وأهالوا حقدهم فوقَ ثَرَاهُ
عارُهُمَ ظنّوه لن يُبْقى شذاهُ
ثم ساروا ونَسُوهُ

والليالي في سُرَاها
شَهِدَتْ ما كان من جُهْدٍ ثقيلِ
كلّما غطّوْا على ذكرى القتيل
يتحدّاهم شَذَاها

حَسبوا الإعصارَ يُلوى
إن تحامَوْه بسترٍ أو جدارِ
ورأوا أن يطفئوا ضوءَ النهارِ
غير أنّ المجد أقوى

ومن القبرِ المعطّر
لم يزَل منبعثاً صوتُ الشهيد
طيفه أثبت من جيشٍ عنيد
جاثمٍ لا يتقهقر

وسيبقى في ارتعاشِ
في أغانينا وفي صَبر النخيلِ
في خُطىَ أغنامنا في كلِّ ميلِ
من أراضينا العطاشِ

فلْيُجنّوا إن أرادوا
دونهم.. وليقتلوه ألف قتله
فغداً تبعثُه أمواج دجْله
وقرانا والحصاد

يا لَحَمْقى أغبياءْ
مَنحوه حين أردوه شهيدا
ألفَ عُمْرٍ، وشباباً، وخلودا،
وجَمالاً، ونَقَاءْ

إنّه عادَ نبيّا
وهو قد أصبح ناراً تتحرّقْ
فى أمانينا وثأراً يتشوّقْ
وغداً يُبعث حيا

١٩٥٣/٥/٢٢

لعنة الزمن

كـــان المغـــرب لونَ ذبيحِ
والأفق كـــآبة مـــجـــروحِ
والأشـــبـــاحُ الغـــامـــضـــة اللون تجـــوسُ الظلـمـــةَ فـى الآفـــاق
والنـهـــر ظنونٌ ســـوداءُ
والـريحُ مـــــــراوحُ نكـراءُ
والضـــفّـــة أرضٌ جـــرداءُ
تمضغـها الظلمة في استـغراقْ
كـــانت خـطوات الظـلمـــة ترطـم جـــوَّ الشـــاطئ فـى اســـتـــغـــراق
والصـمت يفكر فى الأحـداق

كنّـا نتـــبع نـعش الضــــوء
ونـراقـــبُ خـطْوَ الـــلاشــيء
إثنينِ يلـوحُ على اســـتـــغـــراقـــهـــمـــا المُبـــهـم لونُ العُـــشّـــاق
كـنّا نـرقُب كــــأسَ الأفـقِ
ترضع مـن أوشـــال الشَـــفَقِ
وتصبُّ الحُـــمـــرةَ فى قـلقِ
فى ســيـقـانِ صُـفْرِ الأوراقْ
فـى ســـــيــــــقـــــان عـــــرّتـهـــــا الـريح من الألوان، مـن الأوراق
ومـضت تبكيـهـا فى إشـفـاق

كنا كـالأمـواج الخـرْسِ
في عـينينا لون الشـمسِ
في وجـهَـيْنا الـوقِـرَين خُـشـوعُ المغـرب والأبد الخـلاق
كنا نهـمس كـالأنداءِ
كصـدى مجـداف في الماءِ
لم نقـطعْ صـمت الظُـلمـاءِ
بمدامع ذكـرى أو أشـواق
كنّا قـد كـفّنّا الماضي ودفنّـا اللهـفـة والأشـواق
في الظلمة في صمت الأعماق

وأراقَ المغـربُ ألـوانه
فـوق الأشـيـاء الوسنانه
لم يَبق بناءٌ لم تحـمّـر أعـاليـه، لم يبقَ زقـاق
حـتى في صُـفـرة خـدينا
حـتى فـي وجـمـة قلبـينا
أحـسـنا اليـقظةَ والـلونا
حـتى في دمـنا، في الأعـراق
أحـسنا شـيـئـاً كـالثـورة في الدم، فـي الأعـين، فـي الأعـراق
شيئاً كـاللهـفـة، كالأشـواق

حتى طرق الماضي الخربة
تلك الآفاق المكتئبه
لاحت واضحةَ الصمت يغازلها ضوءُ القمر المشتاق
لا فيها أشباحٌ حيرى
تتبعنا غاضبةً غيرى
ذات عيونٍ تقطر غدرا
في الليل، ولا فيها أنفاق
لا فيها هاوية تسكن فيها الأغوال، ولا أنفاق
لا شيء سوى القَمَر البراق

وهَجسنا شيئاً منفعلا
في قلبينا، شيئاً ثملا
يلهثُ عاطفة بعد جمود سنينٍ مرت في استغراق
وانبجست أشواقٌ وسنى
من أعيننا لونا.. لونا..
وتحرَّك في دمنا معنى
ناريّ الشوق صَدٍ توّاقْ
وسدىً حاولنا أن نسكتَه فهو صدٍ مرحٌ، تواق
وسدىً نطمرهُ في الأعماق

ووقفنا فى الظلمة نحلم

بالموج وبالليل المبهم

ونحوك من الأنجم والرؤيا والأمواج لنا أطواق

ونجوب العالَم فى عربات

صنعتها أذرُعُ جنيّات

من عطر الأزهار الخجلات

من أسلاك الضوءِ الألاقْ

فى قعْر النهر على أرضٍ لم يلمسها القمر الألاق

وتناست مولدها الآفاقْ

لكنَّا إذ كنّا نحلُمْ

أحسسنا شبه صدىً مُبهم

فى الأمواج الداكنة الصمت، سمعنا شبه صدىً خفاق

«الجنيّاتُ المنتقماتْ

يصعدن إلينا فى عربَات»

وأجاب رفيقى: لا، هيهات

ذلك صوت الموج الرقراق

الريح الحالمة البيضاء تمرُّ على الموج الرقراق

وتخادع أسماع العشاق

لأياً وتبـــينًا الحـــركــــه
ثمّـــة وإذا جـثّـــة ســمكه
طافـــيــــة فـــوق الموجـــة مـــيـــتّـــة والـشـــاطئ في إشـــفـــاقْ
وصرختُ: رفيقي! أين نسير؟
لنَعــد، فـالجـثة همس نذير
أرسلهـــا عـــمـــلاقٌ شـــرير
إنـذارَ أسىً ودلـيل فــــراق
فـــأجـــاب رفـــيـــقي: «نـحن هنـا يحـــرسنا الحبُّ فـــأي فـــراق؟»
وغــــرقنا في صـــمتٍ براق

ومـــشـــينا لكنّ الحـــركــــه
ظلت تـتبـعنا، والســـمكه
تكبُــرُ تكبــرُ حـــتى عـــادت في حـــضـن الموجـــة كـــالعـــمـــلاقْ
وصـرخت «رفـيـقي أي طريقْ
يحـــمـــينا من هـذا المخلوقْ؟
لنعـد، فالدرب يـضيق يضـيق
والظلمة مُحكمـة الإغـلاق»
فـــأجـــاب رفـــيــــقي مـــرتعـــشـــاً، والظلـمـــة مـــحكمـــة الإغـــلاق:
«نهـرب، لن تسـلمنا الآفـاق»

وبقينا نهرب والسمكه
تتبع أرجلنا المرتبكه
تلك الأحداقُ وأين المهرب من لعنة تلك الأحداقْ؟
وزعانفها السود الشوهاء
سدت في وجهينا الأرجاءْ
وأراقت في الجوّ الوضّاءْ
سحبًا سوداء ولون محاقْ
حتى وجه القمر السحرى غشاه أسىً وظلام مَحاقْ
وتلاشى مَبسَمُه البرّاقْ

ورجعنا نسحب قلبينا
ونجرُّ كآبةَ ظلينا
تتبعنا الأحداق النهمات بنظرةِ هزءٍ ليس تُطاق
حتى الأغصان المشتبكه
عادت تشبه عينَ السمكه
وتروع خطانا المرتبكه
والأنجم عادتْ كالأحداقْ
والغدُ والماضى والدنيا وهوانا فى تلك الأحداق
رسبت وتوارت في الأعماق

١٩٥٠/٨/١٢

إلى العام الجديد

يا عامُ لا تقربْ مساكننا فنحن هنا طيوف
من عالم الأشباح، يُنكرُنا البشر
ويفر منّا الليل والماضى ويجهلنا القدر
ونعيش أشباحاً تطوفْ
نحن الذين نسير لا ذكرى لنا
لا حلم، لا أشواق تشرق، لا مُنى
آفاقُ أعيننا رمادْ
تلك البحيرات الرواكدُ فى الوجوه الصامته
ولنا الجباه الساكته
لا نبضَ فيها لا اتّقادْ
نحن العراةُ من الشعور، ذوو الشفاه الباهته
الهاربون من الزمان إلى العدمْ
الجاهلون أسى الندمْ
نحن الذين نعيش فى ترف القصورْ
ونَظَلُّ ينقصنا الشعور.
لا ذكرياتٌ،
نحيا ولا تدرى الحياة،
نحيا ولا نشكو، ونجهل ما البكاءْ
ما الموت، ما الميلاد، ما معنى السماء

يا عامُ سرْ، هو ذا الطريقْ
يلوى خطاكَ، سدىً نؤمِّل أن تُفيقْ
نحن الذين لهم عروق من قصبْ
بيضاءُ أو خضراء نحن بلا شعور.
الحزن نجهله ونجهلُ ما الغضب
ما قولُهم إن الضمائر قد تثور
ونود لو متنا فترفضنا القبور
ونود لو عرف الزمانْ
يوماً إلينا دربه كالآخرين
لو أننا كنا نؤرخ بالسنين،
لو أننا كنا نقيِّد بالمكان
لو أن أبوابَ القصورِ الشاهقات
كانت تجيءُ قلوبَنا بسوى الهواء،
لو أننا كنا نسير مع الحياه
نمشي، نحسُّ، نرى، ننامْ
وينالنا ثلجُ الشتاءْ
ويلفُّ جبهتَنا الظلام
أواه لو كنا نحسّ كما يحس الآخرونْ
وتنالنا الأسقام أحياناً وينهشنا الألم

لو أنَّ ذكرى أو رجاء أو ندم
يوماً تسدُّ على بلادتنا السبيلْ
لو أننا نخشى الجنونْ
ويثيرُ وحشتَنا السكون
لو أن راحتنا يعكّرها رحيل
أو صدمةٌ أو حزنُ حبٍ مستحيل.
أواه لو كنا نموت كما يموتُ الآخرونْ

١٩٥٠/١/١

طريق العودة

نعودُ إذن في الطريق الطويلْ
تُواجهُنا الأوجه الجامده
يواجهنا كل شيء رأيناه منذ قليلْ
كما كان في ركدة بارده
نعود إذن، لا ضياءٍ ينير
لأعيننا الخامده
نسير ونسحب أشلاءَ حُلْمٍ صغير
دفنّاه بعد شبابٍ قصيرْ

نعودُ وهذا طريق الإيابْ
يُمدّ مرارتَه ورتابة أسراره
نسير ويبرُزُ بابْ
هنا، وجدار هناك يسدّ الطريق
بأحجاره
وثَم سياجٌ عتيق،
تهدّم عند النَهَرْ
وعابرةٌ، دون معنى تُمدّ البصر

إلى حيث لا نعلمُ،
تمرّ بنا، لا تُفكر فينا
وننسى ونجهل أنّا نسينا
ولا نفهمُ.

نعود إذن في طريق الإياب المرير
وكنّا قطعناهُ منذ زمانٍ قصير
وكنا نسميه، دون ارتيابٍ، طريق الرواحْ
ونعبره في ارتياح
يمد لنا كل شيء نراه يدا
يكادُ يعانقُنا ويصبّ علينا غدا
دقائقه نسجتها المنى
وكنا نسميه، دون ارتيابٍ، طريق الأملْ
فما لشذاه أفلْ
وفي لحظةٍ عاد يُدعى طريق الملل؟
وعدنا نسير ويسلِمنا المنحنى
إلى آخر ضيقٍ
ويدفعنا كلُّ شيء نراه
إلى يأسنا المطبقِ

ونشعرُ أنّا ضجرنا ضجرنا وعفنا الحياه
وعدنا نمج الحياه.

لماذا نعودْ؟
أليس هناك مكان وراء الوجودْ
نظل إليه نسير
ولا نستطيع الوصول؟
مكانٌ بعيدٌ يقودُ إليه طريقٌ طويل
يظلّ يسير يسيرْ
ولا ينتهى، ليس منه قفولْ
هنالكَ لا يتكرر مشهد هذا الجدار
ولا شكل هذا الرواقْ
ولا يرسل النهر فى مللٍ نغمةً لا تطاق
نُصيخُ لها فى احتقارْ
لأن الطريق طريق الرجوعْ
لأنّا بلغنا نهاية درب الرّواحْ
وأصبح لابدّ من أن نذوقَ الجراح
ونحنُ نسير ونقطع دربَ الرجوعْ
ونذرعه بالدموع.

ألابد من أن نؤوبْ
وتدفعنا خلجاتُ المرارة دون حُلُم؟
ألم ينطفئ كلّ حلمٍ كَذوب
وها نحن نعلم أنّا بلغنا القممْ؟
وسرنْا على أَوْجِها مرةً، ثم حان الإيابْ
وعُدنا نجرّ قيودَ الألمْ
وندرك كيف تغيّر حتى التراب
تغيّر حتَّى الطريقْ
وأصبح يرفُضُنا فى ملال وضيق
وعاد يصُبُّ علينا جُموداً عميق.

وعُدْنا نسير
نجُرّ أحاسيسنا الراكده،
وتصدمنا الأوجه الجامده
نسير، نسيرْ
نحدّق فى أى شىء نراه
بهذا السياج المهدَّم أو بسواه
نحدّق، لا رغبةً فى النظرْ
ولكن.. لأن لنا أعينا

نعلّق، لا شوقَ يُغرى بنا
ولكن لأنّا سئمنا السكونَ المخيفْ
ووقع خطانا الرتيبات فوقَ الرصيفْ
سئمنا فأينَ المفرّْ؟
ولابدّ من أن نعودْ
فليس هناك مكانٌ وراء الوجودْ
نظلّ إليه نسيرْ
ولا نستطيع الوصولْ.

١٩٤٩/٣/١٥

الأعداء

نحن إذنْ أعداءْ

من عالمٍ لا يفهم الأشواقْ
ولا يعى أغنية الأحداقْ
أعينُنا لا تفهم النجوى
الحبّ فيها سيرةٌ تُروى
كان لها أمْسُ
وضمّهُ رمسُ

من تربة البغضاءْ

نحن إذنْ أعداءْ

تفْصلنا عوالمٌ شاسعه
حدودها المجهولةُ الضائعه
تبُثُّ فى دروبنا المستحيل
فنذرع العُمْرَ الجديب الطويل
بحثا عن البابِ
وحبُّنا الخابى

يغرى بنا الصحراءْ

نحنُ إذنْ أعداءْ

ترقــــد فــى أعـــمـــاقنـا الذكـــرى
مـــشلـولةً، ضــائعـــةً، حــيـــرى
المقت يُلقى فـــــوقـــهـــا ظلاً
والحـــقـــــد لـم يُبقِ لـهـــا شكـلا
ولــعــنــــةُ الأيّـــامْ
خلّفتِ الأحــــلام
فـــوقَ الثـــرى أشـــلاءْ

نحن إذنْ أعداءْ

وإن تـكن تجــمـــعُنا أحــــلام
مـن أمـــسنا أودت بـهـــا الأيـام
وإن تـكن قــــد خلّفـت أشـــيـــاءْ
فـى المُقَلِ الفـــارغـــة الجـــدْباء
فـى الأوجـــهُ الذاويـه
كنجــمــة خـــابيـــه
تغـــربُ فـى الظلـمـــاء

نحن إذنْ أعداءْ

وإن طغت في دمنا الأشواقْ

ودبّت اليقْظَةُ في الأرماقْ

وبيننا عوالمٌ شتى

نُدْرِكُها كما يعي الموتى

تحت التراب المَهِينْ

وَقْعَ خطى العابرينْ

وضجّة الأحياءْ

١٩٤٩/١١/٢٦

حصاد المصادفات

حينما يرقُد الهوى ميّتاً فو ... ق تراب الأيامِ والأعوامِ
وتعود الذكرى صدىً جامدَ الوَقْـ ... ـعِ لعهدٍ مغلّفٍ بالظلامِ
وتموتُ الألوانُ فى المُقَل الجـدْ ... باءِ فى حَسْرةٍ وفى استسلامِ
ويُذيع الفراغُ أغنيةَ الجدْ ... بِ وتطْغى الفوْضى على الأنغامِ

حينما يُصْبح الهوى قصّةً كا ... نت ومرّتْ بالكونِ منذُ عصورِ
عشّشَ الصمْتُ فى خرائبها النكـ ... راءِ خلفَ الخيالِ والتفكيرِ
وطَوَى نبْضَها انصبابُ البرود الـ ... ـمُرّ فى كلّ شهْقةٍ وشُعورِ
وخمود الفراغ لفّ صَدَاها ... بجمود الموْتَى وصمتِ القبورِ

وتُحس العيونُ أنّ عيونًا ... ماتَ فيها المعنى وعادتْ رَمادا
لم تعُدْ فى أهدابها خلْجةٌ تسْـ ... ـتصرخ الشوقَ والصدى والسُّهادا
ضاعَ فى جوّها النداءُ وردّتْ ... آهةٌ فى السكونِ تنْعَى المُنادَى
وارتمت فى أنحائها رَغباتُ الـ ... أمسِ والذكرياتُ عادتْ جَمادا

عندمـــا ينطوى النداءُ وتُمْـــحى ... كلمـاتُ النجـوى وتُطْوى الأمـانى
وتُحـس القـلـوبُ أنَّ قـلـوباً ... بَرَدت فـى أصـــابع النســـيـــان
عنكبوت الجـمـود شبّك فـيـهـا ... عُـشَّــهُ والسكونُ لفَّ الأغـــانى
وغُـــبـــارُ السنيـن جرَّ عـلى الأشـ ... ـواقِ سـتْرَ اللاّلـونِ واللاّكـيـانِ

ربّمـــا يلتـــقى هنالـك طيـفـــا ... ن منَ الأمسِ فـى شـعـاب طَريقِ
يعبُـرانِ الحـيـاةَ قـد ضيَّـعا مـ ... ـلكةَ الحبّ فى الزمـان السـحيق
فـى برود يـمـــــر كـلٌّ على الآ ... خـرِ خـابى العيـون ميْتَ العُـروق
لا شُـعـورٌ يلوح فى أعـيـن صَمّـ ... ـاءَ غـرْقى فى لُجِّ صـمتٍ عـميقِ

من حـصَـاد المُصـادفـاتِ يمـرّا ... نِ كنجـمـينِ فى امـتـداد الفـضـاء
ربَّمـا لـخَّـصـا غـرامـهـمـا المـا ... ضى بشـبـه ابتـسـامـة جـدْباء
ربَّمـا ألقـيـا التـحـيَّـةَ لا عُـمـ ... ـقَ لـهـــا، فى بُرودة الـغُـرباء
ثمّ سـارا كـأنّمـا لم تكـنْ يو ... مـاً حـيـاةٌ عـطْشى وراءَ الدّمـاء

١٩٤٩/١٠/١٣

النائمة في الشارع

فـي الـكـرادة، فـي لـيـلـة أمـطـار وريـاحْ
والظلمـةُ سقفٌ مُدّ وستـرٌ ليس يُزَاح

انتـصفَ الليل وملء الظلمـة أمطارُ
وسكونٌ رطبٌ يصرخُ فيـه الإعصـارُ

الشـارعُ مهجـورٌ تُعـولُ فيـه الريحُ
تتـوجّع أعـمـدةٌ وتنوحُ مـصـابيحُ

والحارس يَعبرُ جَهْماً مرتعدَ الخطُواتْ
يكشِفُهُ البرق وتحجُبُ هيكلَهُ الظلُماتْ

ليلٌ يجـرفُـهُ السـيل وينهَـشُـهُ البَـرْدُ
تنتـفِضُ الظّلْمـةُ فيـه ويرتعشُ الرعـدُ

في مُنعَطَف الشـارعِ، في ركنٍ مـقـرورِ
حَرَسَتْ ظُلمـتَه شرفـةُ بيتٍ مـهـجـورِ

كـان البرق يمرُّ ويكشفُ جسمَ صبيه
رقدتْ يلسَعُها سوطُ الريحِ الشتويه

الإحدَى عشْرةَ ناطقةٌ في خَدّيْها
في رقّةِ هيكلها وبراءةِ عينيها

رَقَدَتْ فوقَ رخامِ الأرصفةِ الثلجيّه
تُعولُ حول كَراها ريحٌ تشرينيّه

ضَمَّتْ كفّيْها في جَزَعٍ في إعياءِ
وتوسّدتِ الأرضَ الرطبةَ دون غطاءِ

لا تغفو، لا تَغْفُلُ عن إعوال الرَّعدِ
والحمى تُلْهبُ هيكلَها ويدُ السّهْدِ

ظمأى، ظمأى للنومِ ولكن لا نوما
ماذا تنسى؟ البردُ؟ الجوعُ؟ أمِ الحمّى؟

ألمٌ يبقَى ينهشُ، لا يرحَمُ مخلبُهُ
السّهْدُ يضاعفُه والحمّى تُلْهبُهُ

نارُ الحّـمى تُلهمُـهـا صـوراً وحشـيـةَ
أشبــاحٌ تركُضُ، صــيـحـاتٌ شـيطانـيّـه

عـبـثـاً تُخْفى عــينَيـهـا وسُـدًى لا تَنْظُرْ
الظلــمــة لا تدرى، والحّــمى لا تـشــعُــرْ

وتَظَلَ الـطفلةُ راعــشــةً حـتـى الفـجْــرِ
حـتـى يخـبــو الإعـصـارُ ولا أحــدٌ يدرى

أيّامُ طـفــولتــهـــا مــرتْ فى الأحـــزانِ
تشـــريدٌ، جـــوعٌ، أعـــوامٌ من حِـــرْمـــانِ

إحــدَى عــشـرةَ كــانتْ حــزْناً لا ينـطفئُ
والطـلفـلةُ جــــوعٌ أزلـىٌ، تَعَبٌ، ظَـمَــــأُ

ولمن تـشكـو؟ لا أحــــدٌ يُنصـتُ أو يُعْنى
البــــشـــريّة لـفْظٌ لا يـسكُنّـه مــــعـنى

والنّـاس قناعٌ مــصـطنعُ الـلونِ كَــذُوبُ
خلفَ وداعـتـهِ اخـتـبـأ الحِـقـد المشـبـوبُ

والمجـتـمع البَـشَرى صـريعٌ رؤىً وكـؤوسْ
والرحـمـة تبـقى لفـظاً يُقْـرأ فى القـامـوسْ

ونيـامٌ فـى الشـارع يـقَـونَ بلا مـأوَى
لا حُـمّى تشـفَعُ عند النـاسِ ولا شكوى

هذا الـظُلْمُ المتـوحّشُ باسـمِ المدنيّـه،
باسم الإحسـاسِ، فـواَخـجَلَ الإنسـانيّـه

مرثية امرأة لا قيمة لها

«صور من زقاق بغدادي»

ذهبتْ ولمَ يشحَبْ لها خدٌّ ولم ترجفْ شفاهُ
لم تَسْمع الأبوابُ قصةَ موتها تُرْوَى وتُرْوَى
لم ترتفعْ أستار نافذة تسيلُ أسىً وشجوا
لتتابعَ التابوت بالتحديق حتى لا تراه
إلا بقيّةَ هيكلٍ في الدربِ تُرْعشهُ الذكَرْ
نبأٌ تعثّر في الدروب فلم يجدْ مأوىً صداهُ
فأوَى إلى النسيانِ في بعضِ الحُفَرْ
يرثي كآبتَه القَمَرْ.

والليلُ أسلم نفسَهُ دون اهتمامٍ، للصَباحْ
وأتى الضياءُ بصوت بائعة الحليبِ وبالصيامْ،
بمُوَاء قطٍّ جائعٍ لم تَبْقَ منه سوى عظامْ،
بمُشاجرات البائعين، وبالمرارة والكفاحْ،
بتراشُقِ الصبيان بالأحجار في عُرْضِ الطريقْ،
بمساربِ الماء الملوّث في الأزقّة، بالرياحْ،
تلهو بأبوابِ السطوح بلا رفيقْ
في شبه نسيانٍ عميقْ.

١٩٥٢/٧/٩

الأرض المحجبة

صَـــوّروها جنَّـةً ســحـــريَّةً
من رحـيق وورود شـفـقـيَّـه
وأراقـــوا فـي رباها صُــوَراً
من حنان، وتســابيحَ نـقـيَّـه
ثم قــالوا إن فـيـهـا بلْسَـمـاً
هيّــأتْـهُ لجـراحِ البـشـــريَّه
وأردناها فلـم نَظْـفَـــرْ بـهـــا
ورَجَـعْنا لأمــانـينا الشـقـيَّـه

الملايـينُ عُــيــونٌ ظمـــئتْ
عـــز أن تملكَ سلـوىً واحـــده
والملايـين شـــفـــــاهٌ عَطِشَت
ليس تُـرْويهـا الوعـودُ البـارده
ذلك المـشْــعَلُ هاتـوهُ فــقــد
أكلَ الليلُ العـيـونَ الســاهده
وأمـــرّوه على أشــبـــاحنا
لتَــرَواْ لونَ دمـــانا الجـامـــده

عُمْرُنا كان طريقاً مُعْتِماً
فأنيروهُ إلى القَبْرِ أخيرا
وصِبانا كان جُرْحاً ساهداً
يشربُ الملْحَ ويقتات السعيرا
وأغانينا رَصَفْناها أسىً
وسقفْناها غَيوماً وهجيرا
وهَوَانا والمُنَى بعناهما
واشتريْنا بهما حُزناً كثيرا

أين ذاكَ النبعُ؟ في أيِّ ضحى
سنُلاقيه؟ وفي أيةِ ليله؟
لم نزلْ نَحْفِر في أعمارنا
ظُلماتٍ ليس فيها طيفُ شُعْلَه
وزحفْنا وجررْنا معنا
ألفَ قيد في الأكفِّ المضمحلّه
ووجدْنا دربَنا مقبرةً
ما لنا فيها سوى الموْتَى أدلّه

حـــدثونا عـن رخـــاء نـاعمٍ
فـوجــدنْا دربَنا جُـوعـاً وعُـرْيا
وسَـــمـعْنا عـن نقــاء وشـــذىً
فـرأيـنا حـولنا قــبـحـاً وخـزْيا
ورتَعْـنا فى شـــقـــاء قـــاتلٍ
وكَـفـانا بُؤسُنا شـبـعــاً وريّاً
وعـريـنا وكـــسـوْنا غـْـيــرَنا
وكـسبْنا الـقيـدَ والدمعَ السخيّـا

أينَ تلكَ الأرضُ؟ من حـجّبـها؟
نحن شـــدْناهـا بِرنّات الفــؤوسِ
وأجَـــعْنا فـى الدجى أطـفــالـنا
لنغـــذيهــا وجُـدْنا بالـنفــوسِ
وزرعْنا وحـــصَــدنْا عُـمْــرَنا
وجنينـا ظلمـةَ الـدهرِ العـبــوسِ
وســقَـــيْنا أرضَـــهــا مـن دمنا
ومـنحـنـاهـا لأربابِ الـكـؤوسِ

أين تلكَ الأرضُ؟ هل حان لنا
أن نراها أم ستبقى مُغلَقه؟
لم تَزَلْ فينا حنيناً صامتاً
وابتهالاً في شفاه مُطبَقه
والملايينُ حنينٌ جارفٌ
يتلظّى ورؤىً محترقه
افتحوا البابَ فقد صاح بنا
صوتُ آلافِ الضحايا المُرهَقه

صوتُهُم خشّنَهُ البؤسُ فما
فيه دفءٌ أو بريقٌ أو لُيونه
وحشاهُ الدمْعُ مِلْحاً قاسياً
وشكايات وجوعاً وخُشونه
صوتُهُم خالطَهُ الصبرُ وكم
قد صَبرنْا في شحوب وسكينه
لعنةُ الحسِّ علينا إن يكنْ
غَدُنا كالأمسِ أقياداً مهينة!

١١/٥/١٩٥٣

لنفترق

لنفـتـرقِ الآنَ مـا دامَ فـى مُـقلـتَـينـا بريقْ
وما دام فى قعْر كأسى وكأسكَ بعضُ الرحيقْ
فـعـمّا قـليلٍ يُطلُّ الصـبـاح ويخبـو القـمـرْ
ونلمح فى الضوء مـا رسمتْهُ أكُفُّ الضـجَرْ
على جبهتَيْنا
وفى شفتيْنا
ونُدركُ أن الشـعـورَ الرقـيقْ
مـضى سـاخـراً وطواهُ القـدَرْ

لنفـتـرقِ الآنَ، مـا زالَ فى شـفـتـينـا نَغَمْ
تكبّرَ أن يكشفَ السـر فاختار صـمتَ العدَمْ
ومـا زال فـى قطرات الندى شـفـةٌ تتـغنّى
ومـا زال وجهُكَ مـثلَ الظلامِ له ألف مـعنى
كستْه الظلالْ
جمالَ المُحالْ
وقـد يعـتـريه جُـمُـود الصنَمْ
إذا رفع الليلُ كـفّـيـه عـنّا

لنفترقِ الآنَ، أسمعُ صوتاً وراء النخيلْ
رهيباً أجشَّ الرنينِ يذكّرني بالرحيلْ
وأشعر كفَيكَ ترتعشانِ كأنّكَ تُخفي
شعوركَ مثلي وتحبسُ صرخةَ حزْنٍ وخوفِ
لمِ الارتجافْ؟
وفيمَ نخافْ؟
ألسْنا سنُدْركُ عمّا قليل
بأن الغرامَ غمامة صيفِ

لنفترقِ الآنَ، كالغُرباء، وننسى الشُّعورْ
وفي الغد يُشْرقُ دهرٌ جديدٌ وتمضي عصور
وفيم التذكّر؟ هل كانَ غيرُ رؤىً عابره
أطافتْ هنا برفيقَيْنِ في ساعةٍ غابره؟
وغيرُ مساءْ
طواه الفَناءْ
وأبقى صداهُ وبعضَ سطورْ
من الشعرِ في شفَتيْ شاعره؟

لنفترقِ الآنَ، أشعر بالبردِ والخوف، دعْنا
نغادرُ هذا المكانَ ونرجع من حيثُ جئنا
غريبيْنِ نسْحبُ عبءَ ادّكاراتنا الباهته
وحيدينِ نحملُ أصداءَ قصتنا المائته
لبعض القبورْ
وراء العصورْ
هنالكَ لا يعرفُ الدهرُ عنّا
سوى لونِ أعيننا الصامته

١٩٤٨/٣/٢٠

سخرية الرماد

لو رَجعْنا غداً وأراد الزمانْ
أن يرانا كما كنّا
والتقَينا فهل ينبضُ الّميتانْ
خلفَ ألواح صَدْرَيْنا

لو رَجَعْنا غداً ورآنا القَمرْ
بعد غيبتنا الكبرى
ورأى كيف تمنح ما قد غَبَرْ
ومضى فُرْصةً أخرى

لو رَجعْنا غداً ورأتْنا النجومْ
نجمَع الذكرَ الذابله
نستعيد الهوَى ونظَلّ نحومْ
حولَ أحلامِنا الراحله

لو رآنا الطريقُ نشُقّ السكونْ
بتعابيرنا الجامده
ويُخادعُنا ما طوتْه المَنُونْ
من رغائبنا الخامده

ونُزيل رَمَادَ شُهور طوالْ
عن هَوىً لفّهُ المستحيلْ
فوقَ أشلائه ذكرياتٌ ثقالْ
من دموعي وحزني الطويلْ

ستراننا النجوم نسير معا
يخدع الليل مرآنا
خلف أهدابنا شغفٌ مُدَّعَى
ساترٌ سِرّ ما كانا

وسيسخر من شبحيْنا القَمَرْ
وهو يرقب كيف نسيرْ
كيف ننشر ما قد طواه القَدَرْ
واحتواه سكون المصيرْ

وهناك نرى جثث الأشواقْ
في خمودٍ طويلٍ عميقْ
ويُخادعنا لونهما البرّاقْ
فنؤمّل أن تستفيقْ

ونَرَى ركبَ أيّامنا الماضيه
لم يزلْ لاهث الأنفاسْ
فنمُدُّ له الأذرعَ الذاويه
علّه يوقظ الإحساسْ

ويَرَانا الدُّجَى راكعيْنِ على
تُربة المَرْقَد الجافيه
نَلْمسُ الجثَثَ المُرْسلاتِ إلى
الأفقِ أعينَها الخابيه

ويرانا الدجَى فجأة في عيَاءْ
في أسىً غامقٍ شاردِ
واقفيْنِ نُحسّ اصطدام الرجاء
بثَرَى الواقعِ الباردِ

وَيَمُرّ على جبهتَيْنا المَسَاءْ
بارداً مثلَ لوْحِ جليدْ
وتعود كواكبُه البيضاء
أعيناً طفحتْ بالوعيدْ

ويشيّعُنا القَمَرُ الهادىءُ
ببرود مُثير غريبْ
ويُلاحقُنا وجهُه الهازىءُ
حيث سرْنا بصمتٍ مُريبْ

ونُحس أخيراً بأنّ القضاءْ
قد طَوَى حبّنا الآفلا
وبَقينا حَيارَى هنا غُرَباءْ
نذرَع العُمُرَ القاحلا

وهنالكَ سوفَ يُغنّي الرّمادْ
وسيَسْخَر حتى القَمَرْ
من أسانا ومن أملٍ لا يُعَادْ
كان يوماً لنا واندثرْ

١٩٤٩/٩/١١

صائدة الماضى

انتظرنى، غدا سيقذف بى المو ... ج إلى شطّك الغريب البعيد
ثم تمشى بى السنينُ إلى با ... بك بعد البحث الطويل المديد
وترانى خلف الزجاج أجُرّ الـ ... أمس فى لهفة المشُوق العنيد
أتحدّى الصخور فى الشاطئ العا ... رى وألوى شموخها بنشيدى

انتظرنى، وإن تمزّق فى صد ... رك ما كان ذات يوم رجاءَ
أو سمعت الرّياح تصرخ عاد الـ ... حب ذكرى ورغبةً عمياءَ
أو رأيت النجوم تُنكر فى أهـ ... دابك الشوق والصّدى والنداءَ
أو أبت مقلتاك أن ترسُما حُلـ ... ماً جديداً وثارتا كبرياءَ

وإذا وسوستْ بصدرك أشلا ... ء الأمانى وزمجرت فى جنونِ
ومضتْ توقظ الشكوك وتُغرى ... بلياليك عاصفات الظنونِ
وتخيّلت أنّنى بعت ذكرا ... كَ وأمعنتُ فى الجمود المُهينِ
فانتظرْنى، لابد أنْ نلتقى يو ... ماً وألوى بشكّك المجنونِ

سأصيد الأحلام من أمسنا الهاربِ حُلْماً، وراء الزمانِ
وأَلُمُّ الأفراحَ من كل ركنٍ ضائعٍ في مقابرِ الأحزانِ
ألقُط الذكرياتِ دون كلالٍ من غُبار السكونِ والنسيانِ
وأناشيدُنا ألمُّ صَدَاهاَ وأعيد الحياةَ للأوزانِ

ثم أمضي، يُنير لي وجهُكَ التاريخَ بحثاً عن حبّنا المغدورِ
ذلك الأمسُ، لو عَثرتُ عليه في زوايا التاريخ بين العصورِ
لأبثّ انتفاضةَ الحيِّ فيه وارتعاشَ الصدَى ونَبْضَ الشعورِ
ثم نمشي معاً إليكَ، إلى شطِّكَ فوق الأمواجِ بين الصخورِ

وتَرَانا فُجاءةً نصعد السُلَّمَ في لهفةٍ وشوقٍ كلانا
أنا والأمسُ كلّه، نطرق البابَ غريبينِ لامَسَا الأوطانا
وتُحسُّ النجوم أنّا رَجَعْنا نعصر الدهْرَ لحظةً من هوَانا
ويقول الزمان: عادا إلى الحب وعاد الفراق وهْماً كانا

١٩٤٩/١٠/٢٤

إلى أختي سها

هيّا معي فالليل مختلج الدُّجَى حُباً وشعْرا
وعرائس الأحلامِ تفرِشْ دربَنا لوناً وعطْرا

وهناك في أعماقنا نَبَراتُ آلهة تغنِّي
ونُحسّها تُلقي إلينا ألفَ أغنيةٍ ولحنِ

هيّا معي تتبسمُ الدنيا إذا أنتِ ابتسمْتِ
ماذا يثير أساكِ ما دمنا نَظَل، أنا وأنتِ؟

الليل يعْرِفُنا، خُطانا طالما زرعتْ دجَاهُ
والنجم يذكرنا فكم سهرتْ عليْنا مقلتاهُ

أختاه هاتي كفَّكِ اليمْنى فقد حان المسيرُ
المجد يصرخ يستحث خطاكِ والحُلُم الكبيرُ

لا، لا تخافي أن تُخادعَكِ الرؤَى إن أنتِ جئتِ
فالليل يَعْرِفُنا ونحن معاً نَظَل أنا وأنتِ

سيرى معى فتحرّقُ المجهول يَصْخَب فى دِمانا
والأمس، تلكَ الغُرْفة الصمّاء غابتْ عن رؤانا

مـاذا يشـدّ هنا ليـالينا الحـزينات الشـقـيّـه؟
وهُناك فى الأفُقِ البعيدِ ضَبابُ شُطآنٍ خفيَّه

ستُريق أنجـمَهـا على أقدامنا إن أنت جـئتِ
وصَحـبتنى لنجوبَ آفـاقَ الوجودِ، أنا وأنتِ

وصحبتنى ونسيتِ دربَ الذكرياتِ الكاسفه
حيث الصخور السود والحيّات تلهث زاحفه

حـيث انجرحْنا ثم لملـمْنا الجراحَ على عَـجَلْ
ونهـضْتُ تتبـعُنى خطاكِ الحـائراتُ بلا أملْ

أختاه لاتبكى على الماضى سـدىً ما قد بكيتِ
لن يرجعَ الماضى وإن نُـحْنا عليـه، أنا وأنتِ

الهاربون

إلامَ نجوب سحيقَ البلادْ؟
يعيث السراب بنا
تُناولُناوَهْدةٌ لوهادْ
ويَخْدعُنا المُنحنى

وفيمَ أتينا؟ يسائلُنا البحْر: ماذا نُريد؟
وتلحقُنا عَربَات الرياحِ وتبقى تُعيدْ
تُعيد السؤالْ
ولا ردّ إلا خطوطُ المَلالْ
على صمت أوجُهنا فى الليالى الطوالْ
نَفرّ وتُدْركُنا من جديدْ

ويسألُنا الأفْق أينَ نسافر؟ أينَ نسيرْ؟
ومن أى شىء هرَبْنا؟ وفيم؟ لأى مصيرْ؟
وفى صمتنا
قلوبٌ تدقّ، ووقْع المُنى
على يأسنا فَرَحٌ لا يُطاق فهيّا بنا
لنبحثَ عن جُرحِ حُزْنٍ صغيرْ

وفى سيرنا نسمع الليلَ يسخَر من سرنا
يلاحقُنا بالظلامِ ويُغْرى الرياحَ بنا
يقول الطريقْ
لماذا نجوب الوجودَ السحيقْ
يُلاحقنا أمسُنا ورؤانا ووجهٌ صديقْ
وحتام نهرُبُ من ظلّنا؟

وفى سيرنا فى الدياجير نُبْصر هُزْءَ القَمَرْ
ويُغْضِبُنا فى سناه البرود، وبعض الشَجَرْ
يسُدّ السبيلْ
علينا، ويسخَرُ منّا الأصيلْ
ويُنْبِئنا أنّنا الباحثونَ عنِ المُسْتحيلْ
وأنّا، برغمِ مُنانا، بَشَرْ

ونسمَع من جَنَبات المسالك ذات مساءْ
صدىً هامساً فى الدجَى أنّنا... أنّنا جُبَناءْ
نخاف الأصيلْ
ونرحل لا رغبةً فى الرحيلْ
ولكن لنهرب من ذاتنا، من صِراعٍ طويلْ
ومن أنّنا لم نَزَلْ غُرَباءْ

وها نحن، حيث بدأنا، نجوب الظلامَ الفظيعْ
شتاءٌ يموت، وأسئلةٌ لم يُجِبْها ربيعْ
حَيارَى العيُونْ
يُسائلُنا غدنا مَنْ نكونْ؟
ويتركُنا أمسنا المُنْطوى فى ضَبابِ القُرونْ
فيا ليلُ، يا بحر، أينَ نضيعْ؟

٢٩/١/١٩٥١

الولايات المتحدة

ماذا يقول النهر؟

«إلى الصديقة التى سألتنى ذات مساء: ماذا يقول النهر؟».

ماذا يقول النهْرُ؟
أقصوصةٌ
يَنْسجُها من رَقْص ضوءِ القَمرْ
يَنْسجُها من غَزَلٍ ناعمٍ
يُداعب النخْلُ به المنحَدَرْ
من نور مصباحٍ يُغذّى الدجى
حرارةً ويستثير الشَجَرْ
من وقْع مجداف خفيف الخُطى
يشُقّ فى الظلمةِ صَدْرَ النَهَرْ

ماذا يقول النهْرُ؟
أغنيّةٌ
قديمةٌ، بنت ليال طوَالْ
غنّى أساها مرّةً عاشقٌ
والليل سكرانُ بكأسِ الجَمالْ
مُشْقَلَةٌ بالدفء، ما زال فى

ألحـانهـا بعض حنينِ الجِـمـالْ
وخـشــعـةِ الهَـوْدجِ تحت الدجَى
ووقعِ أقـــدام الحُـداةِ الثــقــالْ

ماذا يقول النهرُ؟
تسبيحةٌ
منْ بابلِ الـنشْوَى بعطر البَــخـورْ
ومـــوكبُ الكُهّــانِ فى مَـعَـبـد
دجلةُ يـطوى ســرّهُ والصــخــورْ
وذكــرياتُ الليـلِ والشــمس عن
(مـدينة الشـمس) وراءَ العُـصـورْ
وعن (حَــمُـورابى) وعن حُـبّــه
ومـا طوَى سِـفْــرُ الزمـان الغـدورْ

ماذا يقول النهرُ؟
لا تسألى
دعى غـلافَ الـسـرّ كـثّـاً عـمـيقْ
لو كـــشـفَ الزّئبـقُ ألغـــازَهُ
لم يَبْـقَ مــعنـىً لشــذاهُ الرقـــيقْ
١٩٥٠ /٧ /٢٧

ثلاث مراثٍ لأمي

قد يكون الشعر بالنسبة للإنسان السعيد ترفاً ذهنياً محضاً، غير أنه بالنسبة للمحزون وسيلة حياة، وقد كانت القصائد الثلاث التالية محاولة للتعزى لجأتُ إليها على أثر وفاة أمي في ظروف محزنة عانيت منها معاناة خاصة، ولم أجد لألمي منفذاً آخر غير أن أحبه وأغني له.

«ن. م.»

١- أغنية للحزن

افسحوا الدربَ له، للقـادم الصافى الشعورِ،
للغـلام المُرْهَـفِ السـابح فى بحـر أريجٍ،
ذى الجبين الأبيض السارقِ أسرارَ الثلوجِ
إنّه جـاء إلينا عـابراً خِـصْبَ المُرورِ
إنّه أهـدأ من مـاءِ الغـديرِ
فاحذَروا أن تجرحوه بالضجيجِ

إنّه ذاكَ الغـلامُ الدائم الحُـزْنِ الخـجـولُ
سـاكنُ الأمْسيـةِ الغَرْقى بأحزان خـفيّـه
والزوايا الغـيـهبيّـاتِ السكونِ الشَّفَقيّه
أبداً يجـرحُـه النَوْحُ ويُضنيـه العـويلُ
فليكن من صمتنا ظلٌّ ظليلُ
يتلقّـاه وأحـضـانٌ خـفـيّـه

وهو يحيا فى الدموع الخُرْس فى بعضِ العيونِ
ولهُ كـوخٌ خـفىّ شـيـدَ فـى عُمْق سـحيقِ
ضـائعٌ يعـرفُهُ البـاكـون فى صمْتٍ عميقِ

وسُــدًى يبـحثُ عـنه الألمُ الخـشْـنُ الرنينِ
إنّه يقــتــات أسـرارَ الـسكونِ
وأسىً مـختبـئاً خلفَ الـعروقِ

نحن هيّــأنا له حــبّــا وتقــديسًــا ونجــوى
وتهــيّــأنا لــلُقْــيــاه عــيــونًا وشــفــاها
وسنَلْـقــاه مُــصَـلّينَ كــمــا نلقَى إلـهــا
وسنُهْــديه انفــجــارَ الأدمعِ العــذْبة سلوى
وسنحـبوه أسىً أقـوى وأقوى
وسنُعْطـيـه عُـيــوناً وجِـبــاها

إنّه أجـــــمل من أفـــراحـنا، من كــلِّ حُبِّ
إنّه زنبـــقـــــةٌ ألـقى بهـــا الموت علَيـنا
لم تـزَل دافـئـــةٌ ترعش فـي شــوقِ يديْـنا
وسنُعطيـــهـــا مكانًا عَـطراً في كلِّ قـلب
وشـذَى حُزْنٍ عـميق القَـعْـرِ
خِــــــــــــصْـبِ
إنّه منــا... وقــد عــاد إلـينا..

١٩٥٣/٨/١٥

٢- مقدم الحزن

افسحوا الدربَ، إنّه جاء خجلا   نَ رقيقَ الخُطَى كئيب الجبينِ
الغلامُ الحسّاس ذو الأعين الغَر   قى بتاريخ ألف سرٍّ حزينِ
إنه مُطْعم العيونِ العميقا   تِ وينبوعُ كلّ دمعٍ سخينِ
ولقد جاءنا تُبلّلُ عينَيْـ   ـهِ الدموعُ الخرساءُ عبر السنينِ

إنّه حُزننا الصبيّ لَقِينا   ه على غير موعدٍ وانتظارِ
لم يَزَلْ هادئاً خجولاً كما كا   نَ وما زال غامقَ الأسرارِ
جاءنا دافئاً أرقّ من الدمْـ   ـعِ وأحلى من رعْشة الأوتارِ
ففرشنا له طريقاً من اللَهْـ   ـفةِ والحبِّ والدموع الغِزارِ

وأخذناه فى خشوعٍ إلى أعـ   ـماقِ أفراحنا وقَعْر رؤانا
ومنحناه كلّ ما جمع الحب   من اللونِ والشَذَى لصبانا
ورصفنا له هوانا وما أبـ   ـقَى لنا الموتُ والأسى من مُنانا
وغسلنا جبينَه بدموعٍ   صامتاتٍ عَطْشى تذوبُ حنانا

إنّه خـيطنا الأخـيـرُ إلى السَـرْ وة فـيـه من أمـسنا ألفُ شيءِ
لم يَزَلْ هـامسـاً لـنا: «إنهـا مـا تتْ» على مسمع الشـذَى والضوءِ
إنّ فـيـه مـن وجـهـهـا وأمـانيـ ـهـا وأشـواقـهـا بقـيّـة دفْءِ
وهو إحـسـاسُـهـا يعـود إلـينا مُـرْعِـشـاً من كـياننا كـلَّ جـزءِ

إنـه كلٌّ مـا تـبـقّى لـنا من وجـه ضِـحْكاتنا ورجْعِ الأغـانى
إنَّ فـيـه نـهـايـةَ الطَرَف الشـا نـى لما هـدَّم الـردَى من أمـانِ
فـوهبـنا لـه صـلاةً من الأد مع خَـجْلى مـهـموسـةَ الألحـانِ
ومنحناه مَـسكـناً فى مـآقـيـ ـنا وحُـبّـاً أقـوى من الـنسـيـانِ

١٩٥٣/٨/١٧

٣–الزهرة السـوداء

كـنزنـا الغـــــالـى تـركنـاه هُنـا
لحظـاتٍ ثم أسـسرعـنا إليــــه
والتــــمـــسناه وراء المُنْحَنى
وعلـى التلّ فلـم نعـثـر عليـــهِ

وســأَلْنا عنه فـى الغـــابـة ربوه
فــأجـابتْ أنهــا قـد نَسِيَـتْـه
وهمسْنا باسمه في سَمع سَرْوه
فـتناست فى الدجى مـا سـمعتْـه

غـيـر أنّ الفـجر حـيّى فى ابتسـام
وأرانـا فـى مـكـان الـكـنـزِ زهـره
نبـتـت سـودَاءَ فى لون الـظلامْ
وسـقـاها دمـــعُنا ليـناً ونَضْــره

كلّمــا مــرّتْ بهــا ريح الصَــبــاحْ
بعـثتْ فى الجـوّ موسـيـقى خـفيّـه
وأنيناً خـــافــتـــاً ملءَ الـرياحْ
كــمنَتْ فـيـه دمـــوع البــشــريّه

إنهـــا زهرتُــنا الوسنى الحـــزيـنه
أمـــسُـا فى لونهـــا مــــا زال لَدْنا
فــمنحنــاها مــآقـيـنا الســخـيـنه
وحــملناها مع الـذكـرى وعُــدْنا

١٩٥٣/٨/٢١

يحكى أن حفارين

الزمان يسيرْ
بدقائقه المبطئات الثقالْ
ساحباً خلفَه عرَباتِ الليالْ
مُثقَلات بأسرارها الداكناتْ
الزمانُ يسير، يجُرّ الحياةْ
وهنالكَ، فوقَ بساطِ الرِّمالْ
حيث خلّفتِ العرَباتْ
أثراً من خُطَى العجلاتْ
لم نَزَلْ نحن، فى كلِّ كفٍّ قَدُومْ،
لم نَزَلْ نحفرُ الأرضَ فى وحشةٍ ووجومْ
نحن نبكى هنا
والزمانُ يسير
نحفرُ الأرضَ، نبحث عما أضعنا هنا
والزمان يسيرْ

وحدَنا، وحدَنا، في سكوتْ
صامتَينِ نُراقب كيفَ تموتْ
في يدَيْنا وفي مقلتَينا العروقْ
وهنالك ينتظر الحيّ خلف الترابْ
في أسىً وعذابْ
أن يُطلّ شُروقْ
أن يرانا أخيراً بأعيننا الكابيه
نعبُر الهاويه
لنعيدَ إليه الشَبابْ
ذلك الحيّ في الظُلماتْ
آه لو لم تَمُتْ في يَدَينا العُروقْ
لنُعيد إليه الحياةْ

«احفر الآنَ وحدكَ.. ما عُدْتُ أقوَى أنا
«احفر الأرضَ وحدكَ.. إني أحسّ الفَناءْ
«ملءَ كفّي وملءَ ذراعي، أحسّ الرجاءْ
«يتلاشى بعيداً وراء مَدَى المُنْحَنى
«حيث مرّ الزمان بنا
«منذ بضعِ مئاتِ السنينْ

«وغدا سيمرّ بنا من جديدْ
«فيراكَ لوحدك تحفر فى حَسرة وحنينْ
«سيمرّ وتحفرُ أنتَ ركامَ الجليدْ
«فى الثرى، فى عُروقى أنا

ثم يأتى زمانْ
وتدبّ الحرارة فى الجَسد الجامد
جَسد الرجل الحىّ فى قبره البارد
وهنالك تحتَ الدجى ميّتانْ
جامدان كلوح جليدْ،
ويمرّ الزمان العنيدْ
بهما من جديدْ
فيرى فيهما صاحبَينْ
طالما حَفَرا فى الترابْ
حَفَرا فى الضَبابْ
ربما حَفَرا فى شُحُوب الخريفْ
أو عُبوس الشتاء المخيفْ
طالما شوهدا يحفرانْ
يحفران، يَظَلاّن فى لهفة يحفرانْ
وهما الآنَ، فوقَ الثرَى، ميّتانْ

والزمان يسيرْ

ويجُرّ رفاتَهما في الرمالْ

ويرى الرجل الميّتَ الحيّ يطوي الليالْ

شارداً مُفْرداً

لم يَعُدْ يحتويه مكانْ

أو زمانْ

إنّه قد أضاع الغدا

وتبقّى له الأمس والميّتانْ

... واستمرّ يسير الزمان...

١٤/١/١٩٤٩

الزائر الذى لم يجئ

.. ومرّ المساء، وكادَ يغيبُ جبينُ القَمَرْ
وكدْنا نُشيّع ساعات أمسية ثانيه
ونَشْهد كيفَ تسير السعادةُ للهاويه
ولم تأتِ أنتَ.. وضعْتَ مع الأمنياتِ الأُخَرْ
وأبقيتَ كرسيّك الخاليا
يُشاغلُ مجلسَنا الذاويا
ويبقى يَضجّ ويسأل عن زائرٍ لم يجئْ

وما كنت أعلم أنّكَ إن غبتَ خلفَ السنينْ
تخلّف ظلّكَ فى كل لفظٍ وفى كلّ معنى
وفى كلّ زاويةٍ من رؤاىَ وفى كلّ مَحْنى
وما كنتُ أعلمُ أنّكَ أقوى من الحاضرينْ
وأنّ مئاتٍ من الزائرينْ
يضيعون فى لحظةٍ من حنينْ
يَمُدُّ ويَجْزُرُ شوقاً إلى زائرٍ لم يجئْ

ولو كنتَ جئتَ... وكنا جلسنا مع الآخَرينْ
ودارَ الحديث دوائرَ وانشعبَ الأصدقاءْ
أما كنتَ تُصبحُ كالحاضرين وكان المساءْ
يمرُّ ونحن نقلّب أعيننا حائرينْ
ونسأل حتى فَراغَ الكراسى
عن الغائبينَ وراء الأماسى
ونصرخُ أنَّ لنا بينَهُم زائراً لم يجئْ؟

ولو جئت يوماً -وما زلت أوثرُ ألاّ تجىءْ-
لَجفَّ عبيرُ الفَراغ الملوَّن فى ذكرياتى
وقُصَّ جناحُ التخيُّل واكتأبتْ أغنياتى
وأمسكتُ فى راحتىَّ حُطامَ رجائى البرىءْ
وأدركت أنّى أحبّك حُلْما
وما دمتَ قد جئت لحماً وعظما
سأحْلُم بالزائر المستحيلِ الذى لم يجئْ

١٨/٨/١٩٥٢

الراقصة المذبوحة

ارقُصي مـذبوحـةَ القـلب وغنّي
واضحكي فـالجُرْح رَقْصٌ وابتـسامُ
اسـألي الموتَى الضحـايا أن ينامـوا
وارقـصي أنتِ وغنّـي واطمـئنّي

أدمـوعٌ؟ اَسكتي الدمـعَ السـخينا
واعصُري من صرخة الجُرحْ ابتساما
أانفــجــارٌ؟ هـدأ الجُــرْح ونامــا
فـاتركـيـه واعبُـدي القـيـدَ المُهـينا

ثورةٌ؟ لا تُبْـغـضي السـوطَ المُلحّـا
أيّ معنىً لاخـتلاجاتِ الضـحايا؟
بعض أحـــزانٍ سـتُنسى، ورزايا
وقـتـيلٌ أو قـتـيـلان، وجَــرْحَى

اقْبسي من جُرحِكَ المُحرقِ لحنا
رنّميه بالشّفاه الظامئاتِ
لم تزلْ فيها بقايا من حياةَ
لنشيدٍ لم يَفِضْ بؤساً وحُزنا

صرخةٌ؟ أيّ جحودٍ وجُنونِ!
اتركي قَتْلاكِ صَرْعَى دون دفْنِ
واحدٌ مات... فلا صرخةَ حزنِ!
أيّ معنىً لانتفاضات السجين؟

انتفاضاتٌ؟ وفي الشعب بقايا
من عروقٍ لم تسلْ نبعَ دماءْ؟
انفجاراتٌ؟ وبعض الأبرياءْ
بعضُهم لم يسقُطوا بعدُ ضحايا؟

لم يكن جرحُكِ بدْعاً في الجُرُوحِ
فارقُصي في سكرةِ الحزنْ المميتِ
الأرقّاء الحيارى للسكوتِ
احتجاجاتٌ؟ لماذا؟ استريحي!

اضحكي للمُدْية الحمراء حُبّا
واسقُطي فوقَ الثرى دون اختلاجِ
منّةٌ أن تُذبحي ذبحَ النعاجِ
منّةٌ أن تُطعني روحاً وقلبا

وجنونٌ يا ضحايا أن تثوري
وجنونٌ غضبة الأسرى العبيدَ
ارقصي رَقصةَ مُمْتَنٍّ سعيدَ
وابسمي في غبطة العبد الأجيرِ

اسكتي الجُرْحَ حرامٌ أن يئنّا
وابسمي للقاتل الجاني افتتانا
امنحيه قلبك الحرّ المُهانا
ودعيه ينتشي حَزّاً وطَعْنا

وارقصي مذبوحةَ القلب وغنّي
واضحكي فالجُرْح رقصٌ وابتسامُ
اسألي الموتى الضحايا أن يناموا
وارقصي أنتِ وغنّي واطمئني

١٩٤٨

الشخص الثانى

لو جئتَ غداً وعبرتَ حُدودَ الأمس إلى غدىَ الموعودْ
وشدا فرحاً بمجيئكَ حتى المَعبرُ والباب المسدودْ
ولقيتك أبحث فيك عن المتبقّى من أمسى المفقودْ
لو جئتَ ولم أجدِ الماثلَ فى ألحانى
وأطلَّ على روحى منك الشخص الثانى

الشخص الثانى، من أعماق شهورِ التيه المطموره
حاكته دقائق تلك الأيّامِ الجانيةَ المغروره
وترسَّبَ فى عينَيه تَثاقُلها ورؤاها المذعوره
وسأبحث فيكَ عن الماضى فى اطمئنانَ
فيفاجئُ لهفتىَ الحرَّى الشخصُ الثانى

وهناكَ على الوجه الحسّاس الحىّ الصمت أرى ظلّينْ
ومكانَ الواحدِ فى عينيكَ المرهفَتين أحس اثنَينْ
ويقابلنى الشخصان معاً وسدىً أرجو فصل الضدَّينْ
وسأسألُ عما خلّفَه لى عامانَ
من وجهكَ، والردّ جبينُ الشخصِ الثانى

وسيسكن هذا الشخصُ الثانى الأحمقُ حتى فى البسَماتْ
سيـمُـدّ بـرودتَه فى رقَّـة صـوتكَ، فى لـين النَبـراتْ
وسيرمُـقُنى فى خبْث، مختـبئاً حـتى خلفَ الكلماتْ
ولمن أشـكو هذا المخلـوقَ الشـيطـانى
والأول فيكَ محتْـه يدُ الشخصِ الثانى؟

١٩٥١/١٠/٩

عندما قتلت حبى

وأبغضتُك لم يبقَ سوى مَقْتى اناجيهِ
وأسقيه دماءَ غدى واغرق حاضرى فيهِ
وأطعمهُ لظى اللَعَناتِ والثورة والنقمهْ
وأُسْمعهُ صراخَ الحقد فى أغنيةٍ جَهْمهْ
ومن إغفاءة الموتى أغذّيه
وأنثر حولَه الأشباح والظلمه

وأبغضتُ اسمكَ الملعونَ والأصداءَ والظلا
كرهت اللونَ والنغمةَ والإيقاعَ والشكلا
وتلكَ الذكرياتُ الخشْنة الممقوتة الفظّه
هَوَتْ وتآكَّلتْ وثوتْ مع الآبادِ فى لحظه
وعدتُ قصيدةً فجريةً جَذْلى
وقلتُ الأمسُ ما عاد سوى لفظه

وتمّ النصر لى وهَوَيتَ تمثالاً إلى الهوّه
وجئتُ لأدفنَ الأشلاءَ تحت كآبة السروه
وراح الرَفش فى كفى يشُق الأرض فى نَهَمِ
فلامسَ فى الثرى جسداً رهيباً بارد القدَمِ
ورحت أجرّه للضوءِ مَزْهوّه
فمن كانَ؟
بقايا جثّة النَدَمِ

وكان الليل مرآةً فأبصرت بها كُرْهى
وأمسى الميْتَ لكنىَ لم أعثر على كُنْهى
وكنت قتلتُكَ الساعة فى ليلى وفى كأسى
وكنت أشيّع المقتولَ فى بُطْءٍ إلى الرمسِ
فأدركت ولون اليأس فى وجهى
بأنى قطّ لم أقتلْ سوى نفسى

١٩٥٢/٥/١٢

لحن للنسيان

لَم يا حياهْ
تذوى عذوبتكِ الطريّة فى الشفاهْ؟
لِمَ، وارتطام الكأسِ بالفم لم يَزَلْ
فى السمع همسٌ من صداهْ؟

ولِمَ المللْ
يبقى يعشش فى الكؤوس مع الأملْ
ويعيش حتى فى مرور يَدَىْ حُلُمْ
فوق المباسمِ والمُقَلْ؟

ولِمَ الألمْ
يبقى رحيقيَّ المذاق، أعز حتى من نَغَمْ؟
ولِمَ الكواكب حين تغرب فى الأُفُقْ
تفترُّ جذلَى للعَدَمْ؟

ولِمَ الفَرَقْ
يحيَا على بعضِ الجباهِ مع الأرَقْ
وتنام آلاف العيون إلى الصَباحْ
دون انفعالٍ أو قَلَقْ؟

ولِمَ الرياحْ
لمْ تدر حتى الآنَ أن لنا جراحْ؟
لمْ تدر كم حملتْهُ من ملْح البحارْ
لجراحنا هي والنُواحْ؟

ولِمَ النهارْ
ينسى بأن مدامعاً حرًى غزارْ
تأبى التألقَ في الجفون المثْخَنة
وتَودّ لو هبط الستارْ؟

والأزمنه
كم ذكرياتٍ كم فواجعَ مُحزنه
ضمّتْ صحائفُها وكم رقَدَ التُرابْ
فوقَ الخدودِ اللينه

ولِمَ الغيابْ
يفتَنُّ في رشِّ الجمالِ على هضابْ
بَعُدَتْ، على كل الوجوهِ الغامضاتْ
خلف المَرامي والشعابْ؟

والأغنياتْ
أوّاه لو كانتْ تعيش مع الحياة
وتَظَلّ نابضةً وإن نُسي الغَرامْ
ولحونُه المتنهداتْ

١٩٥١/١/١٧

الولايات المتحدة

كلمات

شكوتُ إلى الريح وحـدةَ قلبى وطولَ انفـرادى
فـجـاءت مـعطّرةً بأريجِ ليـالى الحـصـادِ
وألقتْ عـبيـرَ البنفـسَجِ والوردِ فـوق سُهـادى
ومـدّتْ شَـذاها لخـدّى الكليـلِ مكانَ الوسـادِ
وروّت حنينى بنجـوى غـديرٍ يغُنى لـوادِ
وقـالـتْ: لأجلكِ كـان العـبيـرُ ولـونُ الوهادِ
ومن أجلِ قلبكِ وحدك جئت الوجودَ الجـميلْ
فقيمَ العويل؟
وصـدّقـتُـهـا ثم جـاءَ المسـاء الطويلْ
وسـاد السكونُ عُـبـابَ الظلام الثـقـيل
فـسـاءلت ليلى: أحـمقٌ حـديث الرياحْ؟
فـرد الدُجى سـاخـرَ القـسـمـاتْ
«أصـدقـتـهـا؟ إنهـا كلـمـاتْ»

وأصغيتُ في فجر عمري إلى أغنيات البشرْ
وشاركتهم رقصهم في شحوب ليالي القمرْ
وغنيتُ مثلهم بالسعادة، بالمُنْتَظَرْ
بشيء سيأتي، بيوتوبيا في سنينٍ آخرْ
آمنتُ أن حياةً بلونِ الندَى والزهرْ
ستمسح أيامنا المُثْقَلات بعبء الضجرْ
وقالوا لنا في أغاريدهم إننا خالدونْ

خلود القرونْ

وصدقتهم ثم جاء المساء الصديقْ
يجرُّ سلاسله في جمودٍ وضيقْ
فساءلتُهُ: أهو حقٌّ هتاف البَشَرْ؟
فحدق بي صائحاً: «يا فتاة!
أصدّقتهمْ؟ إنها كلماتْ»

وكم مـرّةٍ جـدل العـاشـقـون الأمـانى الوضـاءْ
وكم عـصـروا فى كـؤوس التـخـيّل شـهـدَ الوفـاءْ
وراحـوا عـلى حُـبّـهم يُشـهـدون نجـومَ السـمـاءْ
ووقْعَ الندَى فـوق خـدّ الصبـاحِ، وصـمْت المساءْ
وكم أقـسـمـوا بالهـوى أنهـم أبداً أوفـيـاءْ
وأنّ الوجـودَ يمـوتُ وحـبُّـهُمُ للبـقـاءْ
وقـالـوا: هوًى واحـدٌ خـالدٌ يتـحـدّى العَـدَمْ
ويَرضى الألمْ
وصـدّقـتُـهُم ثم جـاء المسـاء اللطيفْ
هنـالك ذات دجىً مـن أمـاسى الخـريفْ
وسـاءلتُـهُ أهى حقٌ رؤى العـاشـقـين؟
فـغـمـغمَ مـسـتـهـزىءَ النبـراتْ
«أصـدقـتِـهم؟ إنّهـا كـلمـاتْ»

١٩٥٢/٥/٢٨

السُّلَّم المنهار

اسـتـرَحْنا، كُـشفَ الـلُّغْـزُ ومـاتَ المُبْـهَمُ
وتلاشت حـرقـةُ الأحـلامِ فى لونِ العـيـونْ
اســتــرحنا، هدأ الـشـوقُ وواراهُ الـسكونْ
اســتــرحنا نحـنُ، وارتاحَ الزمــانُ الـنَّهِمُ
وغــداً ينهــزم المـاضى بعــيــدا
وترى أعــيننـا شــيــئـاً جـــديدا

الشـفـاه الزرْق فى أوجـهنا الآنَ سـتصـفـو
من جديد، فـلقد ذابَ الهوى عنـدَ الشروق
والعيون المُثْـقلات الصمْتِ بالسُّهْـد العميق
ســتنـام الآنَ لا يوقظـهـــا حبٌّ وعُـنْفُ
وغـــداً يـعـــرِف قـلبـــانا بـأنَّا
قــد دفَنـا الحب حـيّـاً وانتــهــينا

والعُـروقُ المُلْهَـبــات الدمِ قـد حـانَ كَـرَاها
حسْبُها مـا جلجل الإعصـار فى أعماقـها،
وزهورُ الحُلْـمِ لا تسكب عـلى أوراقــهـــا

أيّ لون، إنهـا مـاتت ولن يـحيَـا شـذاها
هدأ القـلبـان، لا تخشَ ارتـعـاشـا
مـات عِـرْقُ الحب فـينـا وتلاشى

وأفَـقْـنا وانتـهى الشـيءُ الذى خلْناهُ حـبّـا
وتبـقّتْ حـولنا الذكـرى الـتى تَسْخَـرُ منّا،
من خـيـالاتِ صـغـيـريْنِ بدا نجْمٌ فـظنّا
أنّ فى وسـعـهـمـا أن يُمْـسكاهُ فـاشـرأبّا
لحـظـةً، ثم تـهـــاوى السُلَّـمُ،
فــى بُـــرودٍ، وتـــلاشَــى الحـــلـمُ

سرْ يمـيناً أنت واتركنى أسر وحدى شـمالاً
فـمن المُضْـحك أن نبـقى هنا كـالـغُـربَاء،
تصـرخ الوَحْـدةُ فـى أعيـننا دون انتـهـاء
ويَرشُ الصـمتُ لُقـيـانـا بروداً ومَـلالاً
حـسـبُنـا أنّا أضـعنا مـا أضـعنا
من زمـانٍ، فلنَعُـدْ مـن حيث جـئنا

١٩٤٨/٨/٨

غسلاً للعار

«أمّـاهُ!» وحَـشْـرجـةٌ ودمـوعٌ وسَـوادُ،
وانبـجسَ الدمُ واختلج الجسمُ المطعونُ
والشَـعْـرُ المتـمـوج عشّش فـيـه الطينُ
«أمّـاه!» ولم يـسـمَـعْـهـا إلا الجـلاّدُ
وغـداً سـيـجيء الفـجـر وتصـحـو الأورادُ
والعـشـرون تُنادي والأملُ المـفـتـونُ
فـتُـجـيـب المرْجـةُ والأزهارْ
رحلتْ عـنا... غـسـلاً لـلعـارْ

ويعـود الجـلاّدُ الـوحـشيُّ ويَلقى الناسْ
«العـارُ؟» -ويمسَحُ مُـدْيته- «مزّقْنا العـارْ»
«ورَجـعنا فضـلاءً، بيض السُـمعة أحـرارْ»
«يارِبّ الحـانة، أين الخمـرُ؟ وأينَ الكاسْ؟»
«ناد الغـانـيـةَ الكسْلى العـاطرةَ الأنفـاسْ»
«أفـدي عـينَيـهـا بالقُـرآن وبالأقـدارْ»
امـلأ كـاسـاتكَ يا جـزّارْ
وعلى المقـتـولـةِ غـسْلُ العـارْ

وسيأتي الفجر وتسأل عنها الفتياتُ،
«أينَ تراها؟» فيردّ الوحش «قتلناها»
«وصمةُ عار في جبهتنا وغسلناها»
وستحكي قصّتها السوداءَ الجاراتُ،
وسترْويها في الحارة حتى النّخَلاتُ،
حتى الأبوابُ الخشبّيةُ لن تَنْساها
وستهمِسُها حتى الأحجارْ
غسلاً للعارْ..

غسلاً للعارْ..

يا جارات الحارة، يا فَتَيات القرية
الخبزُ سنعجِنُهُ بدموع مآقينا
سنقُصّ جدائلَنا وسنسْلَخُ أيدينا
لتظلّ ثيابهمُ بيضَ اللونِ نقيّه
لا بسمةَ، لا فرحةَ، لا لفتةَ فالمدْيه
تَرْقُبُنا في قبضة والدنا وأخينا
وغداً من يدري أيُّ قفارْ
ستُوارينا غسلاً للعارْ؟

١٩٤٩/١١/١٦

الرحيل

سنرحل لاح صباحٌ عميقٌ وراء السَواد
ولم يَبْقَ إلاّ ضبابٌ خفيفٌ يلُفّ الوهادْ
ويحلُم مكتئباً في عيونٍ طواها السُهادْ
وصاغتْ مع الليل أغنيةَ الرِحلة القادمهْ
إلى أُفقٍ كوكبيّ السُتورْ
يَمُدّ جذور
وراء مسالكنا القاتمه

سنرحَل فالأنجُمُ الوامقاتُ تُشير لنا
أصابعهُا اللدْنة المخْمليّة في دربنا
تُطرّزُ كلّ غدٍ قادمٍ بخيوط المنى
تقودُ خطانا خلالَ الشعابِ الطوال الممضّه
سنَرحلُ بعد زمانٍ قصيرْ
وعَصرٍ صغيرْ
فلم يَبقَ من ليلنا غيرُ ومضه

ومن سَنوات الإسارِ الممزّق، من ألفِ ظُلمه
تُلُفّ مدًى أسوداً لا تَمَسّ دياجيه نجمه
ستُبدلُنا حافة الكأسِ قطرةَ حُبٍّ وبَسْمه
وتحملُنا عَربات الكواكبِ عبرَ الحزونْ
وراء بحار الندى والظلالْ
وحيث الجمالْ
يُمَسّ ويشربُهُ المتعَبون

وداعاً صَحارَى العويل فقد حان فجرُ السنينْ
وآنَ لنا أن نجوبَ البحارَ مع الراحلينْ
عَطشْنا طويلاً وكانت كؤوسك ملأى أنينْ
ينوح الفراغُ عليها وموكبُنا الباحثُ
تجرّع حتى كؤوسَ الدموعْ
ونارَ الضلوعْ
وجُنّ به شوقُهُ اللاهثُ

وفي الغـد، من بَعدنا، إن أطلَّ جـبينُ القَـمَرْ
ولامسَ ضوءُ النجـومِ النشاوى حـريرَ النّهَرْ
ورنّ مع الليلِ صـوتٌ بعيدُ الصَـدَى واندَثَرْ
كـمـا رنّ، يســأل عنّا وأيـنَ رمـتْنا البـحـورْ
فقولي له إنّنا لن نعودْ
لأرضِ القيودْ
فقد أشرق الفجر منذ عصورْ

٥/ ٨/ ١٩٥٠

الخيبة

عُدنا إلى الأرضِ وكانَ الطريقْ
طـريـقَـنـا الأوّلا
والجُـهــد لم يبق لنـا من بريقْ
خلّفَهُ الأمس النضيـرُ الوريقْ
عبرَ الرؤى مُشْعَلا

عُـدنْا وألفـينا الرُّبى والحـقـولْ
كــمــا تركـناها
الشمس ما زالتْ تُغذّى السهولْ
يتبعُـها الليلُ البطيءُ الكسولْ
يمـحـو بـقـاياها

والناس مـا زالوا هنا يزرعـونْ
ويَحْصُدونَ الهمومْ
الشمـسُ تدرى أنهّم يَغمـسونْ
ذنوبهمْ فـى ظُلُمـات الـقـرونْ
ويرمُقـونَ النجومْ

ونحن مـــا زلنا كـــمـــا كـنّا
أولئكَ الحـــمقَى
الليـل يمـــضي ســـاخـــراً منّا
والفـــجـــرُ يَرْوي للـدجى أنّا
نشرَبُ مـا نُسْقَى

وأمس فـي القـــافـلةِ الراحـله
سرنا مع السائرينْ
نـقطـع آلافَ الـرّبـى الماحـلـه
وعندمـــا أرستْ بنا القـــافله
، بعد انصرام السنينْ

جُنّتْ بـنا خـــيبـتُـنا وانطوَى
مـا كـان مـأمـولا
وهدّنا عـبء الأسى والجـوى
فـهـــذه خلفَ الرُّبى والـهـوَى
بُقْـــعـتُـنا الأولى

١٩٥٢/١/٥

أسطورة عينين

عـــينانِ طـلّسْمٌ ولُغْـــزٌ أصمْ
يَحَـارُ فى تـفسيره التـائهون
غـيـان من عـهْد سحيقِ القـدَمْ
وضَـفّـتـا شطٍّ طوته القُـرونْ

عـــينــانِ لونٌ نابـضٌ ســـاخنُ
شىءٌ من الشروقِ لـذيذ الفُتـورْ
وفـيـهـمـا العرّاف والـكاهن
ومـعـبَـدٌ مـخـدّرٌ بالـبـخُـور

عـــينانِ أمْ مـــزارعٌ فى الـظلالْ
تُرَقـرقُ العـبـيـر فى الأوديه؟
وهُدْبهـا أم رعـشـة البـرتقـالْ؟
أم نجـمـةٌ تخـفق؟ أم أغنيـة؟

عـينان أم عـوالمٌ شـاسعـه؟
وبؤبـؤٌ أم دعـوةٌ للرّحـيلْ؟
بابٌ إلى يـوتوبيـا الضـائعـه
ومَـعْبـرٌ يُنْهى إلى المستـحيلْ

وفى مَطاويهـا وِسَـاد الحُلُمْ
ومن حـواشيـهـا ارتواءُ الوتَرْ
عـينانِ مـا كـاد يعـيـهـا النغَمْ
حتـى دعـا أشـواقَـه وانفـجَرْ

وذلك الـعـمْق الذى لا يُحَـدْ
يحـمل للرّائـينَ سـرّ الظـمـأْ
أحسّ فـيـه لا انتـهـاء الأبَدْ
ومـوكبَ الـتـاريخ منذ ابتـدأ

يَرْوونَ عنْهـا أنّ أغـوارَها
ذوبُ نجـومٍ أطفـأتهـا السنينْ
وأنّ مـن أدركَ أسـرارهـا
فكّ الرّدَى عـنْه الإسـارَ المُهِـينْ

وأنهّـا، كـمـا رَوَى آخـرونْ،
بقـيّـة من أعـينٍ آفـله
عـينا (مـدوزا) أفرغَ السـاحرونْ
مـا فـيـهـمـا من قـوةٍ قـاتله

ستـلبث العـينانِ سـراً عـمـيقْ
ويذرع الراوونَ أرضَ الخـيـالْ
أسطـورةٌ تظلّ سـكرَى البـريقْ
مـا بقي الشـعرُ وعاش الجـمـالْ

الوصول

سأحبُّ نفسي في ارتعاش ظلالها تحيا عصُورْ
ملأى بألوانِ الخيالْ
وهناك في أنحائها ألقى الجَمَالْ
وعوالماً نجميّةَ الإشراقِ مُسْكرةَ العطورْ
وهناك كم لونٍ ترسّب في كؤوس الذكريات
كم قصّةٍ نامتْ وغطّتْ سرّها خلفَ الشعُورْ
كم خطفةٍ من طيفِ حُبٍّ عاش حيناً ثم ماتْ
كم نغمةٍ في ذاتِ صيفٍ، عندما كانَ المساءْ
مُتَثاقلاً نعسانَ، في بعضِ القُرَى
وأنا أغنّيها وأرقُبُ في ارتخاءْ
ظلَّ النخيلِ على الثرَى

سأحبُّ نفسي، في صفاء ظلالها أجدُ الصفاءْ
طال التغرّبُ والتلالُ تلوّنتْ بدمِ الغروبْ
حتى النهارُ أوى إلى سُرُرِ المساءْ
لم يبْقَ إلاّنا وآهات المداخنِ من بعيدْ
وكآبةُ الليلِ الجديدْ

ولقد وصلنا، ها هنا يحيا الجَمالْ،
والدفءُ، والشمسُ الأنيقةُ، والسكونْ
والامتدادُ وعالمٌ يَسَعُ القُرُونْ
بحرٌ من الألوان يخلقُهُ الخيالْ
وتموج فوق مداه آلافُ الظِلالْ

يا صمتَ نفسي عذتُ عدتُ إليكَ بعد سُرَى سنينْ
ضاقت بتَطْوافي البحارْ
وشكا النَّهارْ
ما حمّلته رؤايَ من عبءِ الحنينْ
لم ألقَ غيركَ لي نصيرا
في ظلمة الليل المُضِلِّ
فافتح لي البابَ الأخيرا
دعني أمُرُّ
...أنا وظلِّي...

٦/ ٣/ ١٩٥١

الولايات المتحدة

أغنيةٌ لشمس الشتاء

أشيعي الحرارةَ والرفقَ في لَمَسَات الريّاحْ
ولفّي جدائلك الشُقْرَ حولَ الفجاجِ الفساحْ
وهذا التحرّقَ في شفَتَيْكِ أريقي لظاهْ
على طَبَقات الثلوجِ الكثيفةِ فوقَ المياهْ
أذيبي بها قَطَرات الجليدْ
عن العُشْبِ، عن زهرةٍ لا تُريدْ
فراقَ الحياهْ
فما زال فيها رحيقٌ تخبّئُهُ للصباحْ

ومن دفءِ عينيكِ من ضوءِ هذا الجبينِ السعيدْ
أريقي عصيرَ البنفسجِ فوق الفضاء المديدْ
ومن لونِ هذي الجدائلِ رشّي ازرقاقَ الأثيرْ
وصبِّي البريقَ الملوّنَ فوق مرايا الغديرْ
ومن عطرِ هذا الضياء المذابْ
أريقي على صفَحاتِ الضباب
ربيعاً نضيرْ
يحيلُ البرودةَ فيه إلى دفءِ حبٍّ جديدْ

أصابعُك الدافئاتُ المرور اضغَطي شعْرَها
وأحلامَها فوقَ زهرةِ فُلٍّ طوت سرّها
ونامتْ مُلفّعةً بجليدِ المساء القريبْ
تذوب اشتياقاً لضوئكِ، للحبِّ، للعندليبْ
أطلّي بوجهكِ في سجنها
فقد جَمَدَ الشعرُ في لونها
وعاد شُحوبْ
تسائلُهُ هَمَسَاتُ العصافيرِ عن سحرِها

وروحي الذي رَسَبَتْ في مُنَاه ثُلوجُ الملالْ
ولاذ بزاوية جَهْمَة من زوايا الخيالْ
دعيه يُعانقكِ سكرانَ من وهجِ هذا البريقْ
ويشربُ يشربُ هذا الضياءَ ولا يستفيقْ
يفيض عليه سناكِ الحنونْ
ويُرْسِلُه شُعْلَةً من جنونْ
ولحناً رقيقْ
نذرتُ مقاطعَهُ لعذوبةِ هذا الجمالْ

دعيني! هنا لا أحسّ سوى روحك الشارده
تُقَبِّل شَعْري، وتُدفئ أحلاميَ البارده
هنا أنت، بنت حقول الجنوب وألوانها
قَبَسْتِ العذوبةَ والدفءَ من سحْرِ غُدْرانها
وهذا الصفاء صفاء الحياه
هناك، وهمسُكِ شدو الرعاه
لقُطْعانها
دعيني! فأنتِ الإله هنا وأنا العابده

ومن أجلِ عينيكِ هاتين حيث يعيشُ الأبَدْ
أعيشُ أؤرّخُ كالآخرينَ بأمسٍ وغدْ
وكالآخرين أعيش أجُرّ قُيودً المكان
وأحملُ فوقَ جبينيَ عبءَ الدجى والدخان
لعينيك أرشفُ كأسَ الغيومْ
وأعبر ليلاً جفتْه النجومْ
وأطوى الزمانْ
مكبّلةً بالأسى الآدميّ وقيدِ الجَسَدْ

ولولاكِ يا شمسُ ماتَ النشيدُ نشيدُ المروجْ
وجف رحيقُ الشذى تحتَ برد الشتاء اللَجُوجْ
ولولاكِ ما كان أخشن مسَّ الفضاء الرهيبْ!
وهذى النعومةُ، هذا الضياءُ الرقيقُ الغريبْ
ألولاهُ كان يعيشُ الخيالْ؟
ومن ذا يوسِّدُ خدَّ الجمالْ؟
ومن ذا يُذيب
بريقَ الحرارةِ فى سَرْوةٍ جمّدتها الثلوجْ؟

ولولاكِ أينَ إذنْ يستحمّ جبينُ السلامْ؟
وهذى المشاعرُ أينَ تصُبّ، وأين تنامْ؟
وبعضُ العيُون التى جمعتْ ألف حُلْمٍ مُحالْ
وقد نَضجَتْ خلف أهدابها نَغَماتُ الجمالْ
دعيها تُرِقْ عَسَلَ الأغنياتْ
فلولاكِ سدّتْ عليها الحياة
رحابَ الخيالْ
ولولاكِ ما وجدَتْ سامعاً غيرَ بَرْد الظلامْ

١٩٥٢/١/٢٨

بقايا

مُرَّ بي إن شئتَ مَسروقَ الرؤى ميْتَ النشيدِ
مُرّ، في نفسكَ أعماقٌ من الصمْتِ البليدِ
حاملاً وجهَ أبي هولٍ جديدِ
ساحباً أعباء قلبٍ من جليدِ
كُنْ، إذا شئتَ، بلا طَعْمٍ، خريفيّاً، مملا
آه لكنْ... الْقِ ظلا

ولتكن عيناكَ أفْقاً فارغاً دون ضياءْ
تملآن الكونَ ضحكاً فارغاً، كالأغبياءْ
أبداً لم تُدْركا معنى البكاءْ
وانطباقَ الجفْنِ فوق الكبرياءْ
لتكنْ عيناكَ خلْواً أفْقُها من كلّ معنى
آه لكن.. الْقِ لونا

وليكن ماضيكَ قد ماتَ وواراتهُ السنينْ
ليكن أصبح في حُضْنِ الثرَى أكداسَ طينْ
ليس في قلبك عِرْقٌ من حنينْ
ليس إلا بعضُ إحساسٍ مُهينْ
ليكن حبّكَ قد فاتَ مع الأمسِ ومرّا
آه لكن... ابقِ ذكرى

وليكنْ ظلّ الغَد القادم موتا وظلاما
لنكن نحن سنُمْسي فيه جُرْحاً وحُطاما
وفمْ الأحداث يمتصُّ العظاما
ثمّ يُلْقيها على الأرض رُكاما
ليكنْ لونْ الغد الآتي ضَبَاباً مُدْلهمّا
آه لكن.. ابْقِ حُلماً

إن يكن قد كُشفَ اللغْزُ عن الأمْس المُهَانِ
وبَدَتْ فيه الأساطير ولاحت للعيانِ
انجلى ما سترتْ كفّ الزّمانِ
عن كيانٍ خَربٍ دونَ كيانِ
ليكن عادَ وضوحاً دون ظلٍّ وتَعَرّى
آه لكن.. ابقِ سرا

لتكن روحاً يطوف العمرَ في صمْتٍ أليمِ
مزّقت حُلْمَ صباه نقمةُ الجُرحِ القَديم
فمضى يلعَنُ آفاقَ النجومِ
ويذيبُ الليلَ أقداحَ سُمُومِ
لتكن هدَّمتَ، لم تستبقِ في صدرِكَ حبّا
آه لكن... ابقِ قلبا

نحن ضيّعْنا طريقَ الغَدِ في الليل الرهيبِ
ونسينا راحةَ القلبيْنِ في الأمسِ القريبِ
اصْغِ لم يبْقَ سوى همْس الذنوب
في سكونِ الكون، في الليل الرّهيب
فخذ الكأسَ إذا شئت ومزّقْ ما تبقّى
آه لكن.. ابقِ عرْقا
ابْقِ عرْقا

١٩٤٩/٤/١٥

ساعة الذكرى

هذه ساعــة التــذكّــرِ، كــاد الـ ـليل يبكي معي ويُصغي مليّا
إنّهــا ســاعــةُ التــذكّــر، والأجـ ـراسُ تطوى كـآبةَ الصمتِ طيّا
وأحسُّ الخُطَى تمرّ حـــيــــارى خلفَ بابى كــمــا مــررنَ مــرارا
وأحسُّ الـوجـــوه هبّتْ من المـا ضى وعـــادتْ مملوءةً أســـرارا
الخُطَى والوجـوهُ أسـمـعــهـا، ألـ ـمحُـهـا فى الدجَى تحدّقُ فـيّـا
الخُطَى والوجـوه يا سـاعــة الذكـ ـرى وقـلـبٌ طَغَى أســـاه وثـارا
خلفَ بابى يـمُـرّ بى مـوكب الأشـ ـباحِ يستصرخ الدموعَ الغزارا
الخُطَى والوجـوه مـن عـمْق مـاضٍ خلتُـــه عـــاد غـــابراً مَطْويّا

وحنين الأصداء يشـهق خلف الـ ـباب فى موكبِ عـميقِ السكونِ
ضـحكاتٌ مبـتـورةٌ تـذرع الظُلْـ ـمةَ والصمتَ فى جمودِ حزين
ودمـوعٌ فى أعـيُن أقـفلَ التـا ريخ أهـدابهـا على ألفِ سـرٍّ
وعــروقٌ تضـجُّ خلفَ ليــال شـردتْ فى الزمـانِ دون مـقـرٍّ
وشـفـاهٌ أمـاتَ ألفـاظَهـا الـصَمْـ ـتُ سـوى رعـشـةِ وبعض أنينِ
وجدارٌ عطشـانُ تـعـصره الشمـ ـسُ وذكـرى الظلّين أعنفَ عَصرِ
وزمـانٌ أفنت مـواعـيـده الفـو ضى وأبقـتـه فى شـرود وذْعـر
ودروبٌ يكاد يصرخ فـيـهـا الظـ ـلّ شـوقــاً لعـابرٍ مـفـتـونِ

ومرور الأشباح يشهَق خلف الـ ـبابِ في همسة ترنُّ طويلا
موكبٌ شاحبٌ شحوبَ غدٍ ما زال لغزاً وعالماً مجهولا
موكبٌ كل خُطْوةٍ من خُطَى أشـ ـباحه رعشةٌ على شَفَتَيّا
كلّ وجهٍ يعود في عمق نفسي زمناً كاملاً عميقاً خفيّاً
في ظلامِ الذكرى أمُدّ ذراعيّ لعلّ الأشباحَ تدنو قليلا
في ظلام الذكرى، وافتَح بابي لأرى الموكبَ الحزينَ مليّا
في ظلام الذكرى، وأدفَع كفّي في جنون عساىَ ألمسُ شيّا
فأحسُّ الفَرَاغَ في جسدَ الأشـ ـباحِ أنّي أصافحُ المستحيلا؟

١٩٤٩/٤/١٢

هل ترجعين؟!

«قصيدة نظمتها لعمّتي التي توفيت سنة ١٩٤٨»

ما زالت الذكرى تَضِجّ وراء إحساسي الدفينْ
إن نمت ألمحها تسير معي يُجَسّدُها الحنينْ
تأويهةٌ ألقى بها الماضي إلى شطّي الحزينْ
معصوبةٌ بعُروقِ أحلامي الحبيساتِ الرنينْ
إن نمت ألمحها فتصرخ لهفتي: هل ترجعين؟
هل ترجعينَ إذا حَلُمْت بما مضى؟ هل ترجعين؟

مازالت الذكرى تضجّ، ولم أزلْ في أسرها
مازالت، تنطفئ ابتساماتي لِمَعَبّرِ ذكرها
يتقاسم الليل الصديق معي حرارة جمرها
وتظلّ تحفر في عروقي الوالهاتِ بظُفْرها
عطشى، أراك ولا أمسّك، أين أنت؟ أتسمعينْ؟
وإذا دعوتكِ من خلال مدامعي، هل ترجعينْ؟

الشّوق يعصرُني إليكِ ويطفئ المرحَ الكَذوبْ
يغتال أفراحي ويُسْلِم كلّ ضوء للغروبْ
إني أموتُ تحرّقاً وتعطشاً، إني أذوبْ

لم يَبْقَ إلا رَجع أصـداء يكفّنهـا الشحـوبْ
عَرَفتْ بها روحى المشوقة بعض تذكار السنينْ
فصرختُ فى ألمٍ خريفى الصدى: هل ترجعينْ؟

والشوق للموتى سُـهادٌ ليسَ يشفيـه الضياءْ
الشـوق للموتـى جراحٌ ليس يقـربَهـا شفـاءْ
أبكى؟ أذوب؟ سدىً؟ فبـعض النار يأبى الانطفاءْ
بعضُ التعطشِ مستحيلٌ أن يطوف به ارتواءْ
يبـقـى يمـزقنى وأنـتِ بعـيـدةٌ لا تُـذْركـينْ
وأنا انتفاضٌ صارخٌ فى حـسْرةٍ: هل ترجعينْ؟

وأنا أُعُـدّ الذكريات وأرقُبُ الزمَنَ الكَسُـولْ
يمـشى عـلى عُكاَزتَيْن من الكـآبةِ والذهولْ
يمشى ويحصى مـا على وجهى المقنّع بالذبولْ
والصمتِ من صُوَرٍ تمـوت وأنجمٍ بيدِ الأفولْ
وأنا؛ وأحـلامى، وقلبى، قـصـةٌ لو تعلمـينْ
ما زلت أحكيها وأصرخ فى الدجى: هل ترجعينْ؟

٩/ ٣/ ١٩٤٨

صلاة الأشباح

تململت الساعةُ البارده
على البرج، فى الظلمة الخامده
ومدّتْ يداً من نُحاسْ
يداً كالأساطير بوذا يحرّكُها فى احتراسْ
يد الرَجل المتصبْ
على ساعة البرج، فى صمته السرمدىّ
يحدّقُ فى وجمة المكتئبْ
وتقذفُ عيناهُ سيلَ الظلام الدَجِىّ
على القلعة الراقده
على الميّتين الذينَ عيونُهُم لا تموت
تظَلّ تحدّقُ، ينطق فيها السكوتْ
وقالتْ يد الرَجُلِ المتصِب:
«صلاةٌ، صلاه!»

ودبّتْ حياه
هناكَ على البُرْجِ، فى الحَرَسَ المُتْعَبينْ
فساروا يجرّونَ فوقَ الثرَى فى أناه

ظلالَهُم الحانيات التى عقّفَتْها السنينْ
ظلالَهُم فى الظلام العميقِ الحزينْ
وعادتْ يد الرجل المنتصبْ
تُشير: «صلاةٌ، صلاه!»
فيمتزجُ الصوتُ بالضجة الداويه،
صدَى موكبِ الحَرَسِ المقتربْ
يدُقّ على كلِّ بابٍ ويصرخُ بالنائمينْ
فيبرزُ من كل بابٍ شَبَحْ
هزيلٌ شَحبْ،
يَجُرّ رَمَادَ السنينْ،
يكاد الدُجى ينتحبْ
على وَجهِهِ الجُمجُمِيِّ الحزينْ

وسار هنالكَ موكبُهُمْ فى سُكونْ
يدّبونَ فى الطُرقات الغريبة، لا يُدركونْ
لماذا يسيرونَ ؟ ماذا عسى أن يكونْ؟
تلوَّتْ حواليْهِم ظُلُمات الدروبْ
أفاعيَ زاحفةً ونُيُوبْ
وساروا يجرّون أسرارهُمْ فى شُحُوبْ
وتهمُس أصواتهم بنشيدٍ رهيبْ،

نشيد الذينَ عيونُهُم لا تموتْ،
نشيد لذاك الإله العجيبْ
وأغنيةٌ ليد الرَجُلِ المنتصب
على البرج كالعنكبوتْ
يدٌ من نحاسْ
يحرّكها في احتراسْ
فترسل صيحتها في الدياجى
«صلاةٌ، صلاةْ»

وفي آخر الموكب الشَّبَحيِّ المُخيفْ
رأى حارسٌ شَبَحَيْن
يسيرانِ لا يُدركان متى كان ذاك وأين؟
تُحزّ الرياح ذراعيهما في الظلام الكثيفْ
وما زال في الشَّبَحينِ بقايا حياه
ولكنّ عينيهما في انطفاءْ
ولفظُ «صلاة صلاه»
يضجّ بسَمْعَيْهما في ظلامِ المساءْ

«ألستَ ترى»

«خُذْهما!»

ثم ساد السكون العميق

ولم يَبْقَ من شَبَحٍ فى الطريق

وفى المعْبَد البرَهمىّ الكبير

وحيثُ الغموضُ المُثيرْ

وحيثُ غرابةُ بوذا تلُفّ المكانْ

يُصلّى الذينَ عيونُهُم لا تموتْ

ويَرْقُبُهُم ذلكَ العنكبوتْ

على البرج مستغرقاً فى سكوتْ،

فيرتفعُ الصوت ضخماً، عميق الصدى، كالزمانْ

ويرتجف الشبحانْ

من القلعة الرطبة البارده

ومن ظُلُمات البيوت

ومن الشُرَف المارده

ومن البرجِ، حيثُ يدُ العنكبوتْ

تشيرُ لنا فى سكوتْ

من الطرقات التى تَعْلك الظُلْمةَ الصامته
أتيناكَ نسحَب أسرارَنا الباهته
أتيناكَ، نحن عبيدَ الزمانْ
وأسراه نحن الذينَ عيونُهُم لا تموتْ
أتينا نَجُرّ الهوانْ
ونسألك الصفْحَ عن هذه الأعين المُذنبه
ترّسبَ فى عمق أعماقها كلُّ حزْنِ السنينْ
وصوتُ ضمائرنا المُتْعَبَه
أجشٌّ رهيبُ الرَنينْ
أتيناكَ يا من يذُرّ السُهادْ
على أعينِ المُذْنبينْ
على أعينِ الهاربينْ
إلى أمسِهِم ليلوذوا هناك بتلّ رَمادْ
من الغَدَ ذى الأعين الخُضرِ، يا من نراهْ
صباحَ مساءَ يسوقُ الزمانْ
يحدّق، عيناه لا تغفوان
وكفَاه مَطْوِيّتانْ
على ألفِ سرٍّ، أتينا نُمرِّغ هذى الجباهْ
على أرض معبدِهِ فى خُشُوعْ

نُناديه، دونَ دموعْ،
ونصرخ: آه!
تعبِنْا فدْعنا ننامْ
فلا نسمْع الصوتَ يَهْتف فينا: «صلاه!»
إذا دقَّت الساعة الثانيه،
ولا يطرق الحَرَس الكالحونْ
على كل باب بأيديهم الباليه
وقد أكلتْها القُرونْ
ولم تُبْق منها سوى كومةٍ من عظامْ
تعبنا... فدعنا ننامْ..
ننامُ، وننسى يد الرجل العنكبوتْ
على ساحة البرج، تنْثرُ فوق البيوتْ
تعاويذَ لعنتها الحاقده
حنانك بوذا، على الأعينِ الساهده
ودْعها أخيراً تموتْ

وفى المعبد البرهمى الكبيرْ
تحرّكَ بوذا المثيرْ
ومدّ ذراعيه للشبحَيْنْ

يُبارك رأسيْهما المُتْعَبَيْنْ
ويصرخُ بالَحرَس الأشقياءْ
وبالرَجُل المنتصبْ
على البرْج فى كبرياءْ،
«أعيدوهما!»

ثم لفَ السكونُ المكانْ
ولم يبقَ إلا المساء،
وبوذا، ووجه الزمان

١٩٤٩

خائفة

ارجعْ فالليل تُثير مخاوفُه قَلَقى
وأنا وحدى والنجْمُ بعيدٌ فى الأفقِ
يخدعنى أملٌ فى فجرٍ لم ينبثقِ
وصُبَابة دمعٍ باردةٍ لم تحترقِ

ومددتُ يدى فرَجَعْتُ بجفنةِ ظلماءَ
وسألتُ الليلَ فبؤت ببضعة أصداءَ
أصداءٌ مغرقةٌ فى سورة إغماءَ
جاءتْ تزحف من أغوار الماضى النائى

دربى حاولتُ سدىً أن أرفع أستارَهْ
تَصْخَبُ فى عتمتهِ أشباحٌ ثرثاره
أنكرت الدربَ كأن لم أعرف أحجاره
يوما بالأمس ولم أستكشف أسرارَه

ارجعْ، أواه ألا تسمع صوتى الموهونْ؟
لن أبقى وحدى فى هذا الدربِ المجنونْ
هذا الأفق المستغلق حيث النجْمُ عيونْ
حيث الأشجارُ هياكلُ أفكارٍ وظنونْ

تتردّد فيه أصواتٌ تُنْذر حبّى
أصواتٌ غادرةٌ تنبح ملءَ الرّحبِ
صدّقنى وارجع أخشى أن تجرح قلبى
صدقنى.. إنى أسمعها تملأ دربى

فى المَعْبَر سعلاةٌ ترمق طيفى بفتُورْ
ووراءَ المفترَقِ المتشعّبِ بعض قبورْ
خذْ بيدى ولنتركْ هذا الأفق المهجورْ
لا تتركنى روحاً صارخةً فى الديجورْ

١٩٤٨/٤/١

دعوة إلى الحياة

اغضبْ، أحبّكَ غاضباً متمرّداً
فى ثورة مشبوبة وتمزّقِ
أبغضتُ نومَ النار فيكَ فكن لظىً
كن عرقَ شوقٍ صارخٍ متحرّقِ

اغضبْ، تكاد تموت روُحك، لا تكن
صمتاً أضيّعُ عندهُ إعصارى
حسبى رَمادُ الناس، كن أنت اللظى
كن حُرْقة الإبداع فى أشعارى

اغضبْ كفاك وداعة، أنا لا أحبّ الوادعينْ
النّار شرعى لا الجمود ولا مهادَنة السنينْ
إنى ضَجرْت من الوقارِ ووجهه الجهْم الرصينْ
وصرخت لا كان الرّماد وعاش عاشَ لظَى الحنينْ
اغضبْ على الصمت المُهينْ
أنا لا أحبّ الساكنينْ

إنى أحـــبك نابـضــاً، مـــتـــحـــركـــاً،
كـــالطفل، كـــالريح الـعنيـفـةِ كـــالقـــدرْ
عطشـــانَ للــمــجـد الـعظيم فـــلا شـــذىً
يـرْوى رؤاك الظـامــــــئــــــاتِ ولا زَهــرْ

الصّــبْــر؟ تلـك فـضـــيلة الأمــوات، فى
بـرد المقــــــــابر تحـتَ حـكـم الـدودِ
رقـــدوا وأعطـينا الحـــيـــــاةَ حـــرارةً
نشـــوى وحُـــرْقـــةَ أعـــينٍ وخـــدودِ

أنا لا أحـبّك واعظاً بل شاعـراً قلق النشيـدْ
تشدو ولو عطشانَ دامى الحلْق مـحترقَ الوريدْ
إنى أحبُّك صرخـةَ الإعصارِ فى الأفق المديدْ
وفـماً تصـبّاه اللهـيب فبـات يحتـقر الجليـدْ
أيـن التــــــحــــــرّق والحـنيـنْ؟
أنــا لا أطـيـق الـــراكـــــــــديـنْ

قطَّبْ، سئمتكَ ضاحكاً، إنَّ الرُّبى
بردٌ ودفءٌ لا ربيعٌ خالدُ
العبقريةُ، يا فتايَ، كئيبةٌ
والضاحكونَ رواسبٌ وزوائدُ

*

إني أحبُّك غُصَّةً لا ترتوي
يَفْنى الوجود وأنتَ روحٌ عاصفُ
ضَحكٌ جنونيٌّ ودمْعٌ مُحْرِق
وهدوءُ قِدِّيسٍ وحسٌّ جارفُ

إني أحبُّ تعطشَ البركان فيكَ إلى انفجارْ
وتشوّق الليل العميق إلى ملاقاة النّهارْ
وتحرُّق النبع السخيّ إلى معانقة الجرارْ
إني أريدك نهرَ نارٍ ما للجُتَّه قرارْ
فاغضب على الموت اللعينْ
إني مَللت الميّتينْ

شجرة القَمر

الطبعة الأولى ١٩٦٨

ملاحظات
حول قصائد هذا الديوان

-١-

حول "شجرة القمر"

أصل هذه القصيدة أن بنت عمتى الصغيرة «ميسون» كانت ذات ظهيرة صيفية من سنة ١٩٥٢ فى غرفتى، فألحتْ علىّ أن أقصّ عليها قصة، وكان عمرها يومذاك إحدى عشرة سنة، وطالما لمست فيها الذائقة الأدبية المرهفة وحبّ الشعر فأردت أن أسرّها فنظمت لها هذه القصيدة وهى جالسة إلى جوارى تنظر إلىّ فى شغف فما انصرمت الظهيرة إلا وقد أنجزت الصفحات الأولى من القصيدة.

وأما أصل الحكاية فيرجع إلى مقطوعة إنكليزية كنت قرأتها سنة ١٩٤٩، وأذكر من ظروف قراءتى لها أننى وقعت عليها فى مجموعة شعرية للأطفال من كتب صديقة فلسطينية عزيزة كنت التقيت بها فى ضهور الشوير ذلك الصيف، فما كدت أقرأها حتى أحببت الحكاية فيها واختزنتها فى ذاكرتى إلى أن بعثتها ميسون بعد ذلك بثلاث سنوات وعلى ذلك فهذه القصيدة ليست ترجمة، وأصلها الإنكليزى قصير قرأته مرة واحدة ثم لم أره ثانية حتى اليوم، فكل ما أخذته عنها هو هيكل الحكاية العارى لا غير، أما الصور والرموز والتفاصيل فكلها لى، وكم يؤسفنى أننى لا أعرف حتى عنوان الكتاب الذى

قرأت فيه المقطوعة، ولا أعرف اسم الناظم، والصديقة صاحبة الكتاب قد سافرت إلى إنكلترا منذ سنوات كثيرة وانقطعت عنى أخبارها.

ويرجع سبب اختيارى للحكاية أننى وجدت فيها بذرة شعرية تصلح حكاية لطفلة ويمكن فى الوقت نفسه أن أحمّلها رموزا شعرية عالية بحيث يقرؤها الكبار والصغار فيجد فيها كل ما يفهمه، ولعله لا يخفى أن الغلام فى قصيدتى رمز للشاعر «أو الفنان»، فهو يحب الطبيعة حباً يفوق حب الآخرين لها، ويريد أن يقترب منها ويذوب فيها ليصوغ منها ألحانه وقصائده، ولذلك نرى الغلام يحلم بأن (يصطاد) القمر ويأخذه إلى كوخه، حتى إذا فعل ذلك كما تمنى، وتخيل أنه حقق سعادته، اكتشف أن الدنيا كلها تحب القمر وتريده، فهى لا تسمح لأحد أن يمتلكه ويحتكره، وتكون ثورة الرعاة والصيادين رمزاً للحق العام فى القمر، فإذا كانوا لا يصلون إلى استرجاع الأسير فإن ذلك لا يتم إلا بخدعة يرتكبها الغلام، فهو يدفن القمر فى الأرض ليستنبت منه شجرة سامقة لا مثيل لها بين الشجر، لأن ثمرها المتدلى من أغصانها ليس إلا أقماراً فضية متألقة، وما معنى ذلك؟ معناه أن الفنان يتناول الطبيعة ويبدع منها فنّه فإذا كان فى المساء قمر يملكه الوجود كله، فان فى وسع الفنان الذى يحب ذلك القمر أن يصنع نماذج منه فى قصائد وصور، وتنتهى القصيدة بأن يعيد الفنان القمر العام إلى الوجود ويكتفى بالأقمار التى تثمرها شجرة الشاعر، ومن الطبيعى أن تكون هذه الشجرة غذاءً روحياً للقرية كلها على الرغم من أنها مما أبدعته حماسة الشاعر وحبه للجمال.

ولكن هل استـوعبت ميسـون الصغيرة، في عـمرها الغضّ سنة ١٩٥٢ هذه الرموز التي رقرقتها في حكايتي لها؟ طبعاً، لا، وإنما أحبتها لأنها حكاية القمر والشجرة التي تثمر أقماراً، ولأنها حكاية غلام شاعري النزعة، روحاني الاتجاهات، يأكل ضـوء النجوم بدل الغذاء ويشرب العطر ويطارد الـفراشات، وذلك هو المستوى الظاهري للقصـيدة، وفي وسع أيّ قارئ أن يكتفي به دون أن ينظر إلى الرموز التي أردتها.

وقد اختـرت لقصيدتي مسرحـاً شعرياً التقطته من ذكـرياتي عن جبالنا السحـرية في شمال العراق، ومن الحـق أن أقول إنني زرت في حياتي جـبالا كثـيرة في تركيا وإيطـاليا، ولبنان، وفلسطين، والأردن فلم أر جبـالاً لها من السحر والروعة ما يضارع جبـال الشمال عندنا، فإن الجمال هناك يأسر روحي حتى أغـيب في سكرة شعـورية كلما زرت لواء أربيـل وتوغلت في مضـايقه ووديانه، وأنا إنما أصـوّر هذه الجبال فـي قصيـدة «شجـرة القمـر» وذلك سرّ الحرارة والانفعال فيها.

-٢-

حول "البعث"

هذه القصيدة من البحر الخفيف وهي جارية على أسلوب الشطرين وقد أدرجتها على أساس من العروض العربيّ؛ فشطرت البيت إلى شطريه وإن كان أغلب أبياتـها مدوّراً، وأي قـارئ قد اطلع على ديواني «قـرارة الموجة» وعلى الطبعة الـثانية من «عاشقـة الليل» و«شظايا ورماد» سيلاحظ أنـني قد خالفت

خطتى فى كتابة البحر الخفيف، فقد كتبته فى تلك الدواوين دونما مراعاة للوقفة العروضية وإنما راعيت فى الكتابة المعنى وحده، ومن ثم فإن قصيدة (حصاد المصادفات) قد كتبت كما يلى:

حينما يرقد الهوى ميّتا

فوق تراب الأيام والأعوام

وتعود الذكرى صدىً جامد الوقع

لعهدٍ مغلَّفٍ بالظلام

وبذلك لاحت القصيدة- خاصة للقارئ الذى لا يحسّ الوزن- وكأنها شعر حرّ أو شعر منثور مع أنها قصيدة موزونة من البحر الخفيف جرت هكذا:

حينما يرقد الهوى ميتّا فو ق تراب الأيّام والأعوام

وتعود الذكرى صدىً جامد الوقـ ـع لعهدٍ مغلفٍ بالظلام

والسبب البسيط كل البساطة الذى دفعنى إلى أن أكتب البحر الخفيف بهذا الشكل فى دواوينى السابقة أن تلك الدواوين طبعت فى حجم صغير لا يزيد عن حجم الكفّ، فعندما جلست أنسخ القصائد لها خفت أن يصبح البيت المدوّر من البحر الخفيف أطول من عرض الصفحة؛ فقررت أن أقسمه إلى قسمين ليلائم الظروف، وعندما وجدت أغلب أبيات وزن الخفيف عندى مدوّره، وأدركت أن علىّ أن أقسم كلمات كثيرة إلى قسمين كل قسم فى

شطر، استثقلت هذا فقررت أن أقسم الشطر على أساس المعنى دون الوزن، وقد قدّرت أن القارئ الذى يقرأ شعرى لابد أن يكون قادرا على إدراك موضع الوقفة العروضية، وهكذا دفعتنى الملابسات المادية للطبعة إلى إدراج قصائد الخفيف دون ملاحظة لوزنها، وقد كان يعزينى فى ذلك أن الوزن لا يتغير مهما كان الشكل الذى نختاره لكتابته حتى لو كتبناه كما تكتب النثر، فهو موزون على كل حال.

وعند ذاك، فى سنة ١٩٥٧، لم يكن يدور فى خلدى أن أناساً من الشعراء سيتخذون عملى الاضطرارى سُنّة يحتذونها فى منشوراتهم الشعرية ودواوينهم، ولكم جزعت عندما صرت أرى فى المجلات قصائد موزونة على الشكل العربى وزنا تاما، ولكنها تكتب كتابة فوضوية وكأنها نثر لا شعر، وقد جمعتنى مجالس غير قليلة بأدباء وقراء يقرأون هذه القصائد الجارية على الوزن العربى كل الجريان ثم يتحدثون عنها وكأنها شعر حر أو شعر منثور.

ومهما يكن من أمر فيهمنى أن أدرج قصيدة البحر الخفيف فى هذا الديوان على الشكل العربى الدارج، منتهزة الفرصة لأرفع صوت احتجاج على زملائى الشعراء الذين أصبحوا يكتبون شعراً موزوناً على الأسلوب العربى، ثم يدرجونه وكأنه شعر حرّ، فإن هذا العمل لا يزيد القارئ العربى إلا بلبلة وجهلاً فى وقت نحب فيه أن ننشئ ثقافةً شعريةً رصينةً نضىء بها طريق الأمة العربية.

-٣-

حول "الشعر الحرّ"

يلاحظ أن في هذا الديوان سبع قصائد من الشعر الحرّ، وقد يعجب بعض القرّاء من قلة هذا العدد بالنسبة لقصائد الديوان؛ لأنهم ألفوا أن يروا طائفة من الشعراء وقد تركوا الأوزان الشطرية العربية تركاً قاطعاً، وكأنهم أعداء، وراحوا يقتصرون على نظم الشعر الحرّ وحده في تعصب وعناد، وأحب أن أذكّر القارئ في هذه التقدمة أنني لم أدعُ يوماً إلى الاقتصار على الشعر الحرّ، وأبرز دليل على هذا ديواناى السابقان، أما (شظايا ورماد) الصادر سنة ١٩٤٩ وهو الذى دعوت فى مقدمته إلى الشعر الحرّ دعوةً متحمسةً فلم تكن فيه إلا عشرة قصائد حرّة بينما كانت القصائد الأخرى جميعا تنتمى إلى الأوزان الشطرية، وأما (قرارة الموجة) ديوانى الصادر سنة ١٩٥٧ فقد اقتصر على تسع قصائد من الشعر الحرّ، ولا أذكر قط أننى اقتصرت على الشعر الحرّ فى أية فترة من حياتى، وسبب هذا أننى أولاً أحب الشعر العربىّ ولا أطيق أن يبتعد عصرنا عن أوزانه العذبة الجميلة، ثم إن الشعر الحرّ كما بينت فى كتابى- قضايا الشعر المعاصر- يملك عيوباً واضحة أبرزها الرتابة والتدفق والمدى المحدود، وقد ظهرت هذه العيوب فى أغلب شعر شعراء هذا اللون، وهذا حاصل أيضاً فى الشطرين فإن له مزايا وله عيوب.

وإنى لعلى يقين من أن تيار الشعر الحرّ سيتوقف فى يوم غير بعيد وسيرجع الشعراء إلى الأوزان الشطريّة بعد أن خاضوا فى الخروج عليها

والاستهانة بها، وليس معنى هذا أن الشعر الحرّ سيموت وإنما سيبقى قائماً يستعمله الشاعر لبعض أغراضه ومقاصده دون أن يتعصب له ويترك الأوزان العربية الجميلة.

ومما أحبّ أن أعلن أسفي له أنني في شعري الحرّ لم أعنَ عنايةً أكبر بالقافية فكنت أغيّر القافية سريعاً وأتناول غيرها، وهذا يضعف من الشعر الحر، لأنه يقوم على أبياتٍ تتفاوت أطوال أشطرها وبذلك ينقص رنينها وموسيقاها فلو زاد الشاعر القافية غنىً ولم يغيّرها سريعاً لأضفى على الوزن موسيقى تمسكه وتمنعه من الانفلات، ولهذا بتّ أدعو إلى أن يرتكز الشعر الحرّ إلى نوع من القافية الموحدة ولو توحيداً جزئياً فبذلك نزيده موسيقىً وجمالاً ونحميه من ضعف الرنين وانفلات الشكل.

نازك الملائكة

البصرة

في ١٩٦٧/٣/٢٨

شجرة القمر

«قصة أهديت إلى ميسون يوم كانت في الحادية

عشرة من عمرها».

-١-

على قمّةٍ من جبال الشمال كَسَاها الصنوبْر
وغلّفـهـا أُفُقٌ مُـخْملـيٌ وجـوٌ مُـعَنْبَـرْ

وترسو الفـراشاتُ عند ذرَاها لتقـضيْ المَسَاءْ
وعند ينابيـعـهـا تسـتـحمّ نجـومُ السَـمَـاءْ

هنالكَ كـان يعيشُ غـلامٌ بعـيـدُ الخـيـالْ
إذا جـاعَ يأكلُ ضـوءَ النجومِ ولـونَ الجبـالْ

ويشربُ عطرَ الصنـوبرِ والياسمـين الخَضِلْ
ويمـلأُ أفكارَهُ من شـذَىَ الزنـبقِ المُنْفـعِلْ

وكان غلاماً غريبَ الرؤى غامض الذكرياتْ
وكـان يطارد عطر الرُبى وصدى الأغنيـاتْ

وكانت خلاصةُ أحلامه أن يصيدَ القَمَرْ
ويودعَهُ قفصاً من ندىً وشذىً وزَهَرْ

وكان يقضّي المساءَ يحوكُ الشباكَ ويَحلُمْ
يوسّدُهُ عُشُبٌ باردٌ عند نبع مغمغِمْ

ويسْهَرُ يرمُقُ وادي المساء ووجْهَ القَمَرْ
وقد عكسَتْهُ مياهُ غديرٍ بَرُودٍ عَطِرْ

وما كان يغفو إذا لم يَمُرَّ الضياء اللذيذْ
على شَفَتيهِ ويسقيهِ إغماءَ كأس نبيذْ

وما كان يشربُ من منبع الماء إلا إذا
أراق الهلالُ عليه غلائلَ سكرى الشَذَى

-٢-

وفي ذات صيف تسلّل هذا الغلامُ مساءْ
خفيفَ الخُطى، عاريَ القدمين، مشوق الدماءْ

وسار وئيداً وئيداً إلى قمة شاهقه
وخبأ هيكله فى حِمَى دَوْحةٍ باسقه

وراح يعُدّ الثوانىْ بقلب يدُقّ يدُقّ
وينتظر القَمَر العذْبَ والليلُ نشْوانُ طَلْقُ

وفى لحظة رَفَع الشَرْقُ أستاره المُعتمه
ولاحَ الجبينُ اللجينىّ والفتنةُ المُلهِمه

وكان قريباً ولم يَرَ صيّادنَا الباسما
على التلِّ فانسابَ يذرَعُ أفقَ الدُجى حالما

وطوّقَهُ العاشقُ الجبلىّ ومسّ جبينَهْ
وقبّلَ أهدابَهُ الذائباتِ شذىً وليونهْ

وعاد به: ببحارِ الضياء، بكأس النعومهْ
بتلك الشفاهِ التى شغلت كل رؤيا قديمهْ

وأخفاه فى كوخه لا يَملّ إليه النَظَرْ
أذلكَ حُلْمٌ؟ كيف وقد صاد.. صاد القمرْ؟

وأرقَـدَه في مـــهـــاد عـــبـيــريّـة الرّونقِ
وكلّـلَهُ بالأغـــانـي، بعـــينيـــه، بالزّنـبقِ

-٣-

وفي القـرية الجبليّـة، في حَلَقَـات السّـمَـرْ
وفي كلّ حقلٍ تَنَادى المنادون: «أين القمرْ؟»

«وأين أشـعّـتُـهُ المُخْـمليّـةُ في مَـرْجنا؟»
«وأين غـلائلُهُ السُـحُـبيّـة في حـقلنا؟»

ونادت صبايا الجبال جميعـاً «نُريدُ القمَرْ!»
فـردّدت القُنَنُ السـامـقـاتُ: «نُريدُ القَـمَـرْ»

«مُسـامرُنا الذهبيّ وسـاقي صـدى زَهْرنا»
«وساكِبُ عطر السنابلِ والورد في شَعْـرنا»

«مُقَبّلُ كلّ الجِراح وسـاقي شفـاه الورودْ»
«وناقلُ شـوقِ الفَـراشِ لـينبـوع مـاءٍ برودْ»

«يضيءُ الطريقَ إلى كلِّ حُلْمٍ بعيد القَرَارْ»
«ويُنْمي جدائلَنا ويُريقُ عليها النُّضَارْ»

«ومن أينَ تبرُدُ أهدابُنا إن فَقَدْنا القَمَر؟»
«ومنذا يرقِّقُ ألحانَنا؟ من يغذِّي السَّمَرْ»

ولحنُ الرعاة تردَّدَ في وحشة مضنيهْ
فضجَّتْ برَجْعِ النشيدِ العرائشُ والأوديهْ

وثاروا وساروا إلى حيثُ يسكُنُ ذاكَ الغُلامْ
ودقُّوا على البابِ في ثورةٍ ولَظًى واضطرامْ

وجُنُّوا جُنُوناً ولم يَبْقَ فوقَ المَرَاقي حَجَرْ
ولا صخرةٌ لم يُعيدا الصُّرَاخَ: «نُريدُ القمرْ»

وطاف الصدَى بجناحَيْه حول الجبال وطارْ
إلى عَرَبَاتِ النجومِ وحيثُ ينامُ النَّهارْ

وأشرَبَ من نارِه كلَّ كأسٍ لزهرةِ فُلٍّ
وأيقظَ كلَّ عبيرٍ غريبٍ وقطرةِ طَلٍّ

وجَمّعَ من سَكَراتِ الطبيعةِ صوتَ احتجاجْ
ترددَ عنـد عـريش الـغـلامِ وراء الـسـيـاجْ

وهزَّ السكونَ وصاحَ: «لماذا سَرَقْت القَمَرْ؟»
فجُنّ المَسَاءُ ونادى: «وأين خَبَأْتَ القَـمَرْ؟»

-٤-

وفى الكوخِ كان الغلامُ يضُمّ الأسيرَ الضحوكْ
ويُمْطِرُهُ بالدموع ويَصْرُخُ: «لن يأخذوك؟»

وكـان هُـتَـافُ الرّعـاة يشُقّ إليـه السكونْ
فيسقُطُ من روحه فى هُوَى من أسىً وجنونْ

وراح يغنّى لـملهـمـه فى جَـوَى وانْفـعـالْ
ويخلطُ بـالدَمْع والملح ترنيـمَـهُ للجـمـالْ

ولكنّ صـوتَ الجـمـاهـيـرِ زادَ جنوناً وثوره
وعـاد يقلّبُ حُلْـمَ الغـلامِ على حـدِّ شـفـره

ويهبطُ في سَمْعه كالرصَاص ثقيلَ المرورْ
ويهدمُ ما شيّدتْهُ خيالاتهُ من قصورْ

وأين سيهرُبُ؟ أين يخبّئ هذا الجبينْ؟
ويحميه من سَوْرة الشَوْقِ في أعين الصائدينْ؟

وفي أيّ شيء يلفّ أشعتَهُ يا سَمَاءْ
وأضواؤه تتحدّى المخابئ في كبرياءْ؟

ومرّتْ دقائقُ منفعلاتٌ وقلبُ الغُلامْ
تمزّقُهُ مُديةُ الشكِّ في حيْرةٍ وظلامْ

وجاء بفأسٍ وراح يشقّ الثَرَى في ضَجَرْ
ليدفِنَ هذا الأسيرَ الجميلَ، وأينَ المفرْ؟

وراحَ يودّعُهُ في اختناقٍ ويغسلُ لونهْ
بأدمعِهِ ويصُبّ على حظِّهِ ألفَ لعنَهْ

-٥-

وحينَ استطاعَ الرُعاةُ المُلحّون هدْمَ الجدارْ
وتحطيمَ بوّابةِ الكوخ في تَعَبٍ وانبهارْ

تدفّق تيّارهم في هياجٍ عنيف ونقمه
فماذا رأوا؟ أيّ يأسٍ عميق وأيّة صَدْمَه!

فلا شيءَ في الكوخ غيرَ السكون وغيرَ الظُلمْ
وأمّا الغُلامُ فقد نام مستَغْرَقاً في حُلُمْ

جدائلُهُ الشُقْرُ مُنْسدلاتٌ على كَتفَيهِ
وطيفُ ابتسامٍ تلكّأ يَحلُمُ في شفَتيهِ

ووجهٌ كأنّ أبولون شَرّبَهُ بالوضاءه
وإغفاءةٌ هي سرّ الصفاءِ ومعنى البراءه

وحار الرُعاةُ أيسرقُ هذا البريءُ القَمَرْ؟
ألم يُخطِئوا الاتهام ترى؟ ثمّ... أينَ القمَرْ؟

وعادوا حَيارى لأكواخهم يسألونَ الظلامْ
عن القَمَر العبقريّ أتاهَ وراءَ الغمامْ

أم اختطفتْهُ السَعالى وأخفتْهُ خلفَ الغيومْ
وراحت تكسّرُهُ لتغذّى ضياءَ النجومْ؟

أمِ ابتلعَ البحرُ جبهتَهُ البضّةَ الزنبقيّه؟
وأخفاهُ في قلعةٍ من لآلئَ بيضٍ نقيّه؟

أمِ الريحُ لم يبْقِ طولُ التنقّلِ من خُفِّها
سوى مِزَقٍ خَلِقاتٍ فأخفتْهُ في كهفِها

لتَصْنَعَ خُفّينِ من جلْدِهِ اللّينِ اللَبنيّ
وأشرطةً من سَناهُ لهيكلِها الزنبقي

-٦-

وجاء الصباحُ بليلَ الخُطَى قمريّ البرُودْ
يتوّجُ جَبْهَتَهُ الغَسَقيَّةَ عِقْدُ ورُودْ

يجوبُ الفضاءَ وفي كفّه دورقُ من جَمالْ
يرُشّ الندى والبُرودةَ والضوءَ فوق الجبالْ

ومـرَّ على طَرَفىْ قـدَمـيْـه بكوخ الغُـلامْ
ورشَّ عليـه الضـيـاءَ وقَطْرَ النَدى والسَّـلامْ

وراح يسـيرُ لينجـز أعـمـاَلهُ فى السُـفُـوحْ
يوزِّعُ ألوانَـهُ ويشـيـعُ الرضى والوضـــوحْ

وهبَّ الغـلامُ من النومْ منتـعشـاً فى انتشـاءْ
فمـاذا رأى؟ يا نَدَى! يا شَذَى! يا رؤى! يا سـماءْ!

هنالكَ فى الساحة الطُحْلُبيَّـة، حيثُ الصباحْ
تعـوَّدَ ألاَّ يرىَ غـيـرَ عُـشْبٍ رَعَـتْـهُ الرياحْ

هنالكَ كـانت تقـومُ وتمتـدّ فى الجـوِّ سـدْرَه
جدائلُهـا كُسِـيَتْ خُضْـرةً خِصْبَـةَ اللون ثَرَّه

رعـاها المساءُ وغـذَّت شذاهـا شفـاه القَمَـرْ
وأرَضَعَها ضـوؤه المختفى فى الترابِ العَطِرْ

وأشربَ أغـصانَهـا الناعـمات رحيـقَ شَذَاهُ
وصبَّ على لونهـا فضَّـةً عُصِـرَتْ من سَنَاهُ

وأثمـــارها؟ أيّ لون غـــريب وأيّ ابتكارْ
لقـد حار فيـها ضياءُ النجـومِ وغارَ النّهارْ

وجنّتْ بهـا الشَجَـراتُ المقلّدَةُ الجـامـده
فـمنذ عـصــورٍ وأثمـارُها لم تـزلْ واحـده

فـمن أيِّ أرضٍ خـياليَّـة رَضَـعَتْ؟ أى ترْبه
سقتْـها الجمالَ المفـضَّضَ؟ أى ينابيعَ عذْبَهْ؟

وأيةُ مـعـجـزةٍ لم يصلْهـا خَـيـالُ الشَجَـرْ
جمـيعـاً؟ فمن كلّ غُـصْنٍ طرىٍّ تدلَّى قَـمَرْ

-٧-

ومرَّتْ عصورُ ومـا عاد أهلُ القُرى يذكرون
حياةَ الغُلامِ الغـريبِ الرؤى العبقرىِّ الجنون

وحـتى الجـبـالُ طوتْ سـرّه وتـناستْ خطاهُ
وأقـــمـــارَهُ وأناشـــيـــدَهُ واندفـــاعَ مُـناهُ

وكـيف أعـادَ لأهلِ القُرى الـوالهين الـقَمَـرْ
وأطلَقَـهُ فى السَـمـاءِ كـما كـانَ دونَ مـقـرْ

يجـوبُ الفضـاءَ وَيَنْثرُ فـيه النَدى والبُـرودهْ
وشِـبْهَ ضـبـابٍ تحدّر من أمـسـيـاتٍ بعيـدهْ

وهَمْسـاً كأصـداء نبعٍ تحدّر فى عـمْق كهفَ
يؤكـد أنَّ الغـلامَ وقـصّـتَـهُ حُلْمُ صـيفِ

١٩٥٢

أغنية للحياة

إذا سـألوا فى غـد عن هَوَانا ... ونحنُ تُرَابٌ مع الذكريات
وراحَ يُجيبُهُم العابرونَ ... بأنّا مررْنا بهذى الحياة
وذُقْنا الهَوَى والمُنى والعَذابَ ... كأسلافنا ثُمَّ عُدْنا رُفَات
وعقَتْ على أثَرينا الرياحُ ... وعُدنا ضَباباً تلاشى ومَات

وقال لهم قائلٌ: إنّنا ... شربنا الأسى فى ثنايا الكؤوسْ
وإنَّ ابتساماتنا كنّ لوناً ... يغلّفُ شيئاً طوتْهُ النفوسْ
وإنّا دفعنا أناشيدَنا ... وأحْلامَنا للرَّجاء العَبوسْ
وكنّا كمن قبلَنا غُرَباءَ ... على الأرضِ ثم طوَتْنا الرّموسْ

فمن سوف يُخْبرهم أنّنا ... شربنا العذوبة حتى سَكرْنا
وأنّا ملكنا ضياءَ النجومِ ... ودجلةَ والفجْرَ فيما مَلَكْنا
وكانتْ لنا من خُدودِ النسيم ... وسائدُ تَسْندُنا إنْ كللْنا
وأنّا تركنا حكاياتنا ... وأخبارَنا للرّياح ونمْنا

وأنّا عَرَفْنا الحياةَ ارتعاشاً ... ونبضاً وأغنيةً خالدهْ
عَرَفْنا الغرامَ الرقيقَ الجبين ... وذقْنا لياليَه الساهدهْ
وكم مرَّةٍ قد ضَمَمْنا السَّعادَ ... ةَ فى هذه الأذرُعِ الهامِدَهْ
وذُقْنا حنينَ الجمالِ اللذيذ ... وملْحَ مدامِعنا البارِدهْ

وكانت لنا قَطَراتُ النَدى ... ومُنْزَلَقُ الضوءِ كلَّ صباحْ
وكان النسيمُ شغاهاً تمرّ ... تقبِّلُ ما جرحتْهُ الرياحْ
وكنا نحبّ الشَذَى والنخيلَ ... وآفاقنا والسُّهولَ الفساحْ
وإن جرحتْنا أكفّ الحياة ... سكبْنا الرضى فى شفاه الجراحْ

وكانَ الوجودُ سخيَّ اليدَين ... فأعطى هوانا ضياءَ القَمَرْ
ولف خيالاتنا بالعبير ... ومَدَّ علينا ظلالَ الشَجَرْ
وروّى صَدانا بخمر الكروم ... وطَهَّرَ أفكارَنا بالمَطَرْ
وتَوَّجنا بغصون البنفْسَـ ... ـج والزنبقِ المُخْمليّ العَطِرْ

وكنَّا له بأناشيدنا ... وأشواقنا المَرحاتِ الوِضاءْ
ومن أجله قد هوينا الحياة ... ومن أجله قد عَشقنا الفناءْ
وها نحنُ بينَ ذراعَىْ ثَراهُ ... نشيدَيْنِ لا يَعْرفانِ انتهاءْ
يعشّشُ فى تُربَتَينا الجَمالُ ... فيا جَهْلَ مَنْ ظَنَّنا أشقياءْ

١٩٥٢

تحية للجمهورية العراقية

«نظمت هذه القصيدة تحية لثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨»

فَرَحُ الأيتامِ بضمّة حبٍّ أبويّه
فرْحةُ عطشان ذاقَ الماءْ
فرْحةُ تموزَ بلَمْسِ نسائم ثلجيّه
فرحُ الظُلُماتِ بنبعِ ضياءْ
فرحتُنا بالجمهوريّه

جمهوريتُنا، نلفظُها بهَوىً وخُشُوعْ
نهمسُها، نغمرُها قُبَلاً ولْهى حرّى
نلمسُ أحرفُها بشفَاه بقيت دَهْرا
تعطَشُ، تأرقُ، تَعْرى، وتجوعْ
جمهوريّتَنا، فرحتَنَا، يا حرْقةَ أشواقٍ وحنينْ
نحنُ عطشْنا لك أعواما
جُعنا وسَهِرْنا، غذّيناها أحلاما
والآن ملكناها دفقةَ ضوءٍ ويقينْ

جمهوريّتنا، طفلتُنا الجذلى العينينْ
مولودتُنا السمراء الباسمةُ الشفتَينْ
سنوسِّدُها فى أذرعنا ومآقينا
سنغذّيها بأغانينا
نحنُ ترقّبناها زَمَناً من دون كَلالْ
ورصَدْنا الأفْقَ، بحثنا ملءَ روابينا
وحَصَدْنا الشوكَ، حَصَدْنا حقْد أعادينا
وأقمنا مَهْداً من حبٍّ وشَذَىً وظلالْ
كم حفّ به كيدُ الأعداءْ
وسقَطْنا حولَ قوائمه الولهى شُهداءُ

جمهوريتنا دفْقَةُ خيرٍ مَسكوبه
تقطُرُ إيماناً وعُروبه
جمهوريّتُنا ضوءٌ، عطرٌ، وعذوبَهْ
تقطُرُ من أحرُفِها الطيبه
كانتْ حُلُماً ضاعَ إلى زرقتهِ البابُ
كانت أشواقاً مشبوبَه
يحجُبُها غيمٌ وضَبابُ
وأخيراً نحنُ لَمسْناها
بأكُفٍ راعشةٍ فرحاً وملكناها

جمهوريّتُنا وردُتنا النَشوىَ العَطِره
أهداها تمّوزُ الطيِّبْ
أعطاها لرؤانا، لربُانا المتَظِره،
للوادى العطشان المجدبْ
وردتُنا البيضاء الغَضَّه
تغمرنا ثلجاً فى تّموزَ وحريّه
تُعطينا عطراً وسلاماً ورؤىً بَضَه
تبعثُنا أغنيةً حيّه
تحيا تحيا الجمهوريَّه

جمهوريّتُنا وردتنا الروحيّةُ يَحْميها اللّهُ
كانت حلُماً، كانت رؤيا
والآنَ غَدَتْ أغلى ما نملكُ فى الدُنيا
وأحبّ، أعزّ، أرقّ الورد وأحلاهْ

فى أضلُعنا يا وردتَنا الجمْهوريَّه
فى أعيُننا نامى فلصوص الورد كثَارْ
أعداءُ العطْرِ العابق، تُجَّارُ الأزهارْ
أيقَظَ عطْرُكِ فيهم أشواقاً ذئبيّه
السّوقَ صَحَا يا وردُ حذَارْ

من نقمته الصهيونيَّه
ومخالبِه الأمريكيّه

جمهوريّتُنا، وردتُنا، لن نُعْطيها
إنّا قد ذُقْنا سُكّرَها بعد الحرمانْ
هل نُسْلمُها للصِّ الآنْ؟
جمهوريّتُنا من دمنا سنُغذّيها
نحنُ لها إيمانٌ يُعْطي ويدٌ تُنْجِدْ
جمهوريتَنا عشْت، سلمْت من الطُّغيانْ
إنا والبعثَ على موعِدْ

طريق حبى

طريقى إليكَ يمُــــرُّ بأودية لا تَبــــينْ
مغيّبة فى ضَبابِ التمنّى وعطْرِ الحنينْ
ويُسْدَلُ فوق ذُرَاها القصيَّة سِتْرٌ ضَنينْ
يلملمُ أسرارَ أصقاعها عن عيون السِّنينْ

طريقى إليكَ، وأىُّ طريق مُشير غريبْ
قُرَىً سربلتْها الظنونُ ومَدٌّ فضاء مُريبْ
وتأوى الشكوكُ إليها، ويسكُنُ لغزٌ عجيبْ
وتصرُخُ أسئلتى فى رُباها، وما من مُجيبْ

وكم مُدُن لا تُفَسَّرُ كم قرية مُضْنيه
ينامُ التناقُضُ فيها ويفترشُ الأوديهْ
فمن فَرَحٍ يتنهَّدُ حُزْناً، ومن أغْنيه
تُذيعُ سُكوناً طويلاً، ومن ذِكَرٍ مُنْسيه

وكم من صحارٍ يعيشُ التعطّشُ في رَمْلها
رَوَيتُ تعطّشهاً بدموعي، ومن أجلها
جمعتُ النَدى قَطْرةً قطرةً وعلى مَحْلها
صَبَبْتُ دمائي ومثلي َيَفْنَى على مِثْلها

طريقُ هوايَ هضابُ غُموض وأرضُ ظلالْ
وبيدُ تُطيلُ التمنّي وتطلبُ ما لا يُنَالْ
هنالك أنهارُ أسئلة وجبالُ مُحالْ
وترسو الليالي شهوراً وينْسى المسيرَ الهلالْ

وبين المحالين: بين وصولي وبين رجوعي
تمرُّ رياحٌ تبلِّلُها قَطَراتُ دُموعي
وأسهرُ أجهَدُ، أحفر في لهفة وخُشوعِ
لعلّي أُشقُ طريقاً لحبّيَ بينَ ضُلُوعي

(١٩٦٠)

خمس أغان للألم

-١-

مُهْدى ليالينا الأسَى والحُرَقْ
ساقي مآقينا كؤوسَ الأرَقْ

نحنُ وجدناهُ على دَرْبنا
ذاتَ صباحٍ مَطيرْ
ونحنُ أعطيناهُ من حُبّنا
رَبْتَةَ إشفاق وركناً صغيرْ
ينبِضُ في قلبنا

فلم يَعُد يتركُنا أو يغيبْ
عن دَرْبنا مَرّه
يتبعُنا ملءَ الوجود الرحيبْ
يا ليتَنا لم نَسقه قَطْره
ذاكَ الصّباحَ الكَئيبْ

مُهْدى ليالينا الأسى والحُرَقْ
ساقي مآقينا كؤوس الأرَقْ

-٢-

من أينَ يأتينا الألَمْ
من أينَ يأتينا؟
آخى رؤانا من قِدَمْ
ورَعى قوافينا

أمس اصطحبناهُ إلى لُججِ المياهْ
وهناكَ كسّرناه بدّدْناهُ فى موجِ البُحَيرهْ
لم نُبْقِ منه آهةً لم نُبْقِ عَبْره
ولقد حسبْنا أنّنا عدْنا بمنجىً من أذَاهْ
ما عاد يُلْقِي الحُزْنَ فى بَسَماتنا
أو يخبئ الغُصَصَ المريرةَ خلف أغنيّاتِنا

ثم استلمنا وردةً حمراء دافئةَ العبيرْ
أحبابُنا بعثوا بها عبْرَ البحارْ
ماذا توقّعناهُ فيها؟ غبطةٌ ورضىً قريرْ
لكنّها انتفضَتْ وسالت أدمعاً عطْشى حِرَارْ
وَسقتْ أصابعَنا الحزينات النّغَمْ.
إنّا نحبّكَ يا ألمْ

من أينَ يأتينا الألم؟
من أين يأتينا؟
آخى رؤانا من قِدَمْ
ورَعى قوافينا
إنّا له عطَشٌ وفَمْ
يحيا ويَسْقينا

-٣-

أليسَ في إمكاننا أن نَغْلِبَ الألمْ؟
نرجئُهُ إلى صباحٍ قادمٍ؟ أو أمْسيه
نشغلُهُ؟ نُقْنعهُ بلعبةٍ؟ بأغنيه؟
بقصّةٍ قديمةٍ منسيّةِ النَغَمْ؟

ومن عَسَاهُ أن يكون ذلك الألمْ؟
طفلٌ صغيرٌ ناعمٌ مُستْفهِم العيونْ
نُسْكته تهويدةٌ وربّتةٌ حَنونْ
وإن تبسّمنا وغنّينا له يَنَمْ

يا أصبعاً أهدى لنا الدموع والنَّدَمْ
من غيرهُ أغلقَ في وجه أسانا قلبَهُ

ثم أتانا باكــيــاً يســأَلُ أن نُحــبّــهُ
ومن ســواهُ وزّعَ الجــراحَ وابتــسَمْ؟

هذا الصــغــيــرُ... إنّه أبـرأ مَنْ ظَلَمْ
عــدوّنا المحــبّ أو صــديقنـا اللدودْ
يا طَعْـنةً تريد أن نمنحَــهـا خُــدودْ
دون اخــتــلاجٍ عــاتــبٍ ودونما ألمْ

يا طفلَنا الصـغـيـرَ سـامـحنا يداً وفَمْ
تحـفـرُ فـى عُـيوننا مـعــابراً للأدمعِ
وتَسْتَثيرُ جرَحنا فى مـوضعٍ وموضعِ
إنّا غَــفَـرْنا الذنبَ والإيذاء مـن قِـدَمْ

-٤-

كيف ننسَى الألَمْ
كيف ننساهُ؟
من يُضىءُ لنا
ليلَ ذكراهُ؟

سوف نشربُه سوف نأكلُهُ
وسنقفو شُرودَ خُطَاهْ
وإذا نمنا كان هيكلُهُ
هو آخرُ شيءٍ نَرَاهْ

وملامحُهُ هي أوّلُ ما
سوفَ نُبْصرُهُ في الصباحْ
وسنحملُهُ مَعَنا حيثُما
حملتنا المُنى والجراحْ

سنُبيحُ له أن يُقيم السُدودْ
بين أشواقنا والقَمَرْ
بين حُرْقتنا وغدير بَرُودْ
بين أعيننا والنَظَرْ
وسنسمح أن يَنْشُر البَلْوى
والأسَى في مآقينا
وسنُؤْويه في ثِنْيةِ نَشْوَى
من ضلوع أغانينا

وأخيراً ستجرفُهُ الوديانْ
ويوسِّدُهُ الصبَّيرْ
وسيهبطُ وادينَا النسيان
يا أسانا، مساءُ الخيْرْ!

سوف ننسى الألم
سوف ننساهُ
إننّا بالرضى
قد سقيناهُ

-٥-

نحن توّجناكَ في تهويمةِ الفجْرِ إلها
وعلى مذبحكَ الفضيّ مرّغْنَا الجِبَاها
يا هوانا يا ألَمْ
ومن الكتّانِ والسمْسمِ أحرقنا بخورا
ثمّ قدّمْنا القرابينَ ورتّلْنَا سُطورا
بابليّاتِ النَغَمْ

نحنُ شيّدنَا لكَ المعبدَ جُدراناً شذيّه
ورشَشْنا أرضَهُ بالزّيتِ والخمرِ النقيّه

والدموع المُحرقه
نحن أشعلنا لكَ النيرانَ من سَعف النخيلِ
وأسانا وَهشيم القمح فى ليلٍ طويلِ
بشفاهٍ مُطبَقَه

نحنُ رتّلْنَا وناديْنا وقدّمْنا النذورْ:
بلَحٌ من بابلِ السكْرَى وخُبْزٌ وخمورْ
وورودٌ فَرِحَهْ
ثمّ صلّينا لعينيك وقرّبنا ضحيّهْ
وجَمَعْنا قَطَراتِ الأدمُع الحرّى السخيّه
وصَنَعْنا مَسْبَحَه

أنتَ يا منْ كفُّهُ أعطتْ لحوناً وأغانى
يا دموعاً تمنحُ الحكمةَ، يا نبْعَ معانِ
يا ثَراءً وخُصوبَهْ
يا حناناً قاسياً يا نقمةً تقطُرُ رحْمَه
نحنُ خبّأناكَ فى أحلامنا فى كلّ نغْمه
من أغانينا الكئيبه

(١٩٥٧)

أغنية للأطلال العربية

من الجـزْع من قلْب سـقْط اللوَى وَوادى الغـمـار وبُرْقـة ثـهْمَـدْ
ومن رَبْع نُعمٍ عـفـتْـهُ الـرياحُ وأقـفـرَ من أهـله وتَبَـدّدْ
ومن طَلَلٍ فى الجـزيـرةِ أقـوَى ومـا زالَ مَنْبَعَ عطْرٍ وعَسـجَـدْ
تعـالتْ هُتـافـاتُ مـاضٍ عـريقٍ يعـيشُ الخُلودَ بجَـفْنٍ مُـسَـهَّـدْ

وتلـكَ المرابعُ حـيـثُ الظبـاءُ سَـرَحْنَ قـديمـاً وتلكَ الطُّلولْ
منـازلُ يعـربَ يَفْنى الـوجـودُ ويلبَثُ منهـا شـذىً لا يزولْ
وشـعـرٌ نَـدٍ عـربىّ القـوافى يَظَلُّ يـبـرعمُ مـثل الفـصـولْ
إذا دَرَستْ دمْـنـةٌ هـبّ ألـفُ امـرئ القـيسِ يدفَعُ عنهـا الذُّبولْ

تُـناديـكَ يا عـربىّ رمـالٌ مُـعَـطّرةٌ بأريج القِـدَمْ
ديارُ العـروبة مـا لامَـسَـتْـهـا قـديمـاً سوى قُـبُـلاتِ الدِّيَمْ
وقـفتَ بهـا اليـومَ: أين الهـوادجُ؟ أين الحُـداءُ؟ وأين الخِـيمْ؟
تَرَحّلَ فـرسـانُهـا وانـطوتْ أناشـيـدُها وزَوَاهـا العَـدَمْ

وتسـتـعـجُم الدارُ يا عــربىّ   وتُغْـرقُ فى صَـمْـتـهـا لا تُجـيبْ
فـإن تَبْك، تَسْـتبـك جُـدْرانُهـا   يـردُّ عـليـكَ الـسـكـونُ الرهـيـبْ
مَـســارحُ آرامـهـا دنّسـتْـهـا   خُطَى الوافــد الأجنبى المُريبْ
وأرضُ نــزارٍ وبــكــرٍ ووائــ   ــلَ خطّـوا على رَمْلهـا تلْ أبـيبْ

ويَصْعـدُ فى الليـل همسٌ كـئيبٌ   تــردّدُه الــدمَــنُ المـاحـلــه
تغلّفــهُ كــبــريـاءُ الطُلول   وعــزّةُ أحــجــارهـا الذابـله
ويُثْــقلُه رجعُ خطْـو القــواف   ــلِ فى رمْـل تلك الرُبى الـقـاحله
مـتى يـا زمـانُ تعـودُ الحـيـاةُ   إلـينا وتـنـطلـق القـــافلَـهْ؟

فــيـــا عـــربىّ أصخْ لـنداء   تحَـــدّرَ من رَحْــبَــة الأبـدّيهْ
وقفْ حـاسراً تحت ضـوء النجـوم   علـى ربْعِ تـلك الـطلول الأبـيّـه
وقُلْ يـا رمـالَ الجـزيرة يا لَـحْـ   ـنَ ملـحـمـة العَـربَ الأزليّـه
غـداً سـتـعـودُ إليكِ الحـيـاةُ   تعــود مع الوَحْـدة العــربيّـه

(١٩٦٣)

مشغول في آذار

يَنامُ الوردُ أو يصحو
ويبسمُ في المَدَى ليلٌ ندٍ أو ينتشي صُبْحُ
سواءٌ ذاكَ أو هذا، حبيبي، أنت مَشْغولُ
سُدىً منيَ أوتارٌ تصلِّي وتراتيلُ
على مكتبك البارد تنكبّ بلا أحلامْ
وتسرِقُ روحَكَ الأرقامْ
وعند رتاجك المَسدودِ ترتدّ المواويلُ
وقد أضحك، قد أبكي، وأسهَرُ في الدُّجى
وأنامْ
سواءٌ... أنتَ مشغولُ
بأوراقكَ، والحبُّ على المكتب مقتولُ،
ألا فلتَسْقطِ الأوراقُ والأقلامْ

وآذارُ النَدىْ وأنا... وراءَ البابْ
نرُشُّ جبينَكَ الجدِّيَّ بالأطيابْ
نُرَقْرِقُ في دواة الحبر بعضَ تحرّق الموجِ
ونُنْجي خَشَبَ المكتب من بَرْدٍ ومن ثلجِ

ونُهْديك النَدىَ والعطْرَ كأسَ شَرابْ
حبيبي فافتحِ الأبوابْ
أنا والقمر المُشتاقُ جئنا نطرُقُ الشُبّاكْ
عبرنا الصخْرَ والأشواكْ
ووِدياناً من الآهاتِ والأوصابْ
أتيناها هنا لنراكْ
حبيبي فافتحِ الشُبّاكْ

ويمضي الوقتُ والأبواب ترفُضنا
حبيبي المرْهَقَ المشغول افتحْها فنحنُ هنا
أنا والشمسُ نحملُ سُمْرَةَ النَهْرِ
وأكواباً من العطْرِ
وحُزْمَةَ أنجمٍ وسَنَا
حبيبي فافتحِ الأبوابَ، نحنُ هنا
جميعاً:
أنتَ، آذارٌ، وفرحةُ حبّنا، وأنا

(١٩٦٣)

ولكنها ستكون الأخيرة

«ترجمة تصرف للقصيدة المعنونة:

It’s not Going To Happen Again

للشاعر الإنكليزى روبرت بروك»

أجلْ أنا أشبعتُ روحى وغذّيتُ هذى الشفاهْ
وأشربتُ قلبىَ حتى سكِرْ
أجلْ أنا أُعْطيتُ أثمنَ ما منحتْهُ الحياهْ
كؤوسَ الهوى البلسمىّ العَطِرْ
وكم قد سَكِرْتُ بأفراحها وبلغتُ الذُرَى
وكم قد سكبتُ الدموعَ الغزيره
ولكنّها ستكونُ الأخيرةَ يا صاحبى
ولكنّها ستكونُ الأخيره

وتعرِفُ هذا بُثينةُ فى دَرَكاتِ الجحيمْ
ويُدْركه توبةٌ وجميلْ
وكم غمغمتْهُ أناشيدُ قيسٍ بصوتٍ رخيمْ
وواست به حُزْنَ ليلى الطويلْ
وكم ردّدتْه شفاهُ كثيّرَ فى نَشْوةٍ

لعزّة وهى تموتُ كسيرَه
ولكنّها ستكونُ الأخيرةَ يا حلْوتى
ولكنّها ستكونُ الأخيرَهْ

وردة لعبد السلام

«نظمت الشاعرة هذه الأغنية فى مساء اليوم الذى أعلن فيه اعتقال السيد عبدالسلام عارف بتهمة التآمر سنة ١٩٥٨».

فى جداولنا فى شفاه روابينا   ريبةٌ وظلامْ
وسؤالُ تحرَّق ملْءَ أغانينا: أينَ عبدُ السلامْ؟

والعروبةُ تسألُ: أينَ أضعنْاهُ؟   صوتُها محزونْ
هل نقولُ لها إنّنا قد رَميناهُ   فى ظلام السُجونْ؟

ولماذا سنسجنُهُ؟ يسألُ الرافدانْ   أىّ ذنب جَناهْ؟
هل نقولُ لها إنّه يا شواطئَ كانْ   عربىّ الشفَاهْ؟

نبأٌ تحملُه المروجُ الخصيبه   بدمِ التمّوزْ
وسيلَبثُ فوق خدود العروبه   خجلاً واحمرارْ

والملايينُ ترقُبُ فى حرْقة وانفعالْ   حافَةَ الكأسِ
صوتُها رنّ يُلْقى السؤالَ متى يا جَمالْ   مَطلعُ الشمْسِ؟

والملايينُ تحـــمـل فى يـدها وردْ لـكَ عــــبـــدَ الـسّـــلامْ
يا نصـيرَ العـروبة والحقّ والوَحْـده يــا عـــــــــدوَّ الـظَّـلامْ

(١٩٥٨)

أغنية للقمر

كـــأسُ حليب مـــثلّج تَرِفِ   أم جـدولٌ سـائلٌ من الصَـدَفِ؟
أم غَـسَقٌ أبيضٌ يـسـيلُ عـلى   خـدود ليلٍ مُـعَطّر السُـدُفِ؟
أم حُقّ عطرٍ ملوَّن خَـضِلٍ   يقطُرُ شـهـداً لكلّ مُـغْتـرِفِ؟
أم أنـتَ خَـدٌ مُـزَنبقٌ أرِجٌ   يَنعَسُ فـوق الأعشابِ والسَعَفِ؟
يا فـضّـةً كـالـضـيـاء ليّنةً   يا لونَ حُـبّي القـديم يا شَـغَفي

مـا أنـتَ يا زورقَ الضـيـاء ويا   كـواكـبـاً في الظلام مُنصَـهره؟
يا قُـبَـلاً سَـوْسنيَـةً سكَبَتْ   شـهـداً مُـصَـفّىً في ليلـة عَطِرَهْ
يا مَـخْبـأً للجمـالِ يا حُـزَماً   من زنبقٍ فـي السـمـاء مُنْعَـصِرَهْ
ويا شـفـاهاً مـن الضـيـاء دَنَتْ   تَمْـسَحُ وجـهَ العـرائشِ النَضِـرَه
يا بـركـة العطر والنعــومـة يا   سـلّةَ فُـلٍّ في الأُفْـقِ منحـــدره

يا زورقَ العـاشـقـين تحـملُهُم   عـبْـرَ بحـار الأحـلام والكَسَلِ
عـلى جَنَاحٍ مـريَّش يـقـظ   يفـرُشُ دربَ الغـرامِ بـالأملِ
يا منبعـاً يسكُبُ النُعـاسَ على   مـا أرَقَـتْـهُ الأشـواقُ من مُـقَلِ
يا سـاقيَ الأعـينِ الرقـاق رؤىً   يا كـوبَ نوم مـخـدِّرٍ ثَملِ
يا إصـبَـعـاً يلمُسُ الجـراحَ ويا   مُـبَـعْـثَـرَ الأغنيـاتِ والقُبَلِ

جزيرةٌ في الدُجى معلّقةٌ   فجريّةُ اللون والتباشيرِ
طافيةٌ فوق جدول عبقٍ   مكوكبِ الشاطئين مسحورِ
تجمّدَ الضوءُ عند شاطئها   مهد حرير وكنزَ بلّورِ
يا توبةَ القُبحِ يا شراعَ هوىً   مُلَوّنٍ ناعم الأساريرِ
يا نَدَمَ الليلِ والظلام ويا   كَفّارة الغيْمِ والأعاصيرِ

أذبْ شظايا أشعّة ورؤىً   في الليلِ واغمُرْ سطوحَنا فضّهْ
وانفُضْ جناحيكَ في الفضاء يَسِلْ   لونُ جَناحِ الفراشة الغضّه
لولاك لم ترقُصِ الظلالُ ولم   تبرُدْ كؤوس الزنابق البَضّه
غزلْتَ أحلامَنا وأرضعَنا   ضياؤكَ العذْبُ ومضةً ومْضَه
يا كُوّةَ الفجْرِ في دُجىً تَعِبٍ   يا مُطعِمَ الياسمينِ في الروْضه

الْبَثْ كما أنتَ عالماً عجزَتْ   أرواحُنا أن تعيْ خفاياهُ
يا ناسجَ الشعْرِ يا بقيّتَهُ   في عالَمٍ أظْلَمَتْ مراياهُ
أيُّ نشيد لم ينبجس عَسَلاً   وأنتَ تفترّ في ثَناياهُ
أنتَ منحتَ الغناءَ لذّتَهُ   يا نبْضَةَ الوزن في حَناياهُ
فابْق وراء الحياة أخيلةً   الشعْرُ فيها والحُبّ واللّهُ

(١٩٥٢)

ثلجٌ ونار

تسألُ ماذا أقصدُ؟ لا، دَعْني، لا تسألْ
لا تَطرُق بوّابَةَ هذا الركْنِ المُقْفَلْ
اتركني يحجُبُ أسراري سترٌ مُسْدَلْ
إنَّ وراءَ الأستارِ وروداً قد تُذبَلْ

إن أنا كاشفتُكَ، إن عرّيتُ رؤى حبّي
وزوايا حافلةً باللهفة في قلبي
فستغضَبُ مني، سوف تثورُ على ذنبي
وسيَنْبُتُ تأنيبُكَ أشواكاً في دربي

وإذا ما رُحْتَ تؤنّبُني، هل أنسحبُ؟
هل يقبلُ ثلجَ عتابكَ قلبي الملتهبُ؟
أترى أتقبّلُ؟ لا أغضَبُ؟ لا أضطربُ؟
لا! بل سأثورُ عليكَ... سيأكلُني الغَضَبُ

وإذا أنا ثرتُ عليكَ وعكّرتُ الأجواءْ
بمرارة لفظٍ جافٍ أو حرفٍ مُسْتاءْ

فستغضَبُ أنتَ وتنهَضُ في صمت وجَفَاءْ
وستذهَبُ يا آدمُ لا تسألُ عنَّ حوّاءْ

وإذا ما أنتَ ذهبتَ وأبقيتَ الشَوْقا
عصفوراً عطشاناً لا يحلُمُ أن يُسْقَى
وليالىَ لا تعرفُ لا فجراً لا شَرْقا
وإذا ما أنتَ ذهبتَ... فماذا يتبقّى؟

لا، لا تسأل... دعني صامتةً منطويهْ
اترك أخباري وأناشيدي حيثُ هيَ
اتركني أسئلةً وردوداً مُنزويهْ
ووروداً تبقَى تحت ثلوجكَ منحنيه

يا آدمُ لا تسأل.. حوّاؤكَ مطويّه
في زاويةٍ من قلبك حيرى منسيّه
ذلك ما شاءتْهُ أقدارٌ مَقْضّيه
آدم مثلُ الثلْج، وحوّاءٌ ناريّه

أغنية حب للكلمات

فيمَ نخشَى الكلماتْ
وهى أحياناً أكُفٌّ من ورودِ
باردات ُ العطرِ مرّتْ عذْبةً فوق خدودِ
وهى أحيانا كؤوسٌ من رحيقٍ مُنعشِ
رَشفتْها، ذات صيفٍ، شَفةٌ فى عَطَشِ

فيم نخشى الكلماتْ
إنّ منها كلمات هى أجراسٌ خفيَهْ
رَجعُها يُعلِن من أعمارنا المنفعلاتْ
فترةً مسحورةَ الفجرِ سخيّهْ
قَطَرتْ حسّا وحباً وحياةْ
فلماذا نحنُ نخشى الكلماتْ؟

نحنُ لُذْنا بالسكونِ
وصمتنا، لم نشأ أن تكشف السرَّ الشفاهُ
وَحسبنا أنّ فى الألفاظ غولاً لا نراهُ
قابعاً تُخْبئُهُ الأحرُفُ عن سَمْع القرونِ

نحنُ كبّلنا الحروف الظامئه
لم نَدَعْها تفرشُ الليلَ لنا
مِسْنداً يقطرُ موسيقىً وعِطراً ومُنَى
وكؤوساً دافئه

فيم نخشى الكلماتْ؟
إنّ منها كلمات مُخْمليات العُذوبَهْ
قَبَسَتْ أحرفُها دفءَ المُنى من شَفَتين
إنّ منها أُخراً جذْلى طَروبه
عَبَرتْ ورديّةَ الأفراح سكْرى المُقْلتين
كَلماتٌ شاعريّاتٌ، طريّه
أقبلتْ تلمُسُ خَدّينا، حروفُ
نامَ في أصدائها لونٌ غنيٌّ وحفيفُ
وحماساتٌ وأشواقٌ خفيّه

فيمَ نخشى الكلماتْ؟
إن تكن أشواكها بالأمسِ يوماً جرَحتْنا
فلقد لفّتْ ذراعيْها على أعناقنا
وأراقتْ عِطْرَها الحُلوَ على أشواقنا

إن تكن أحرُفها قد وَخَزَتْنا
ولَوَتْ أعناقَها عنّا ولم تَعْطفْ علينا
فلكم أبقت وعوداً فى يَدَينا
وغداً تغمرُنا عطراً ووردا وحياة
آه فاملأ كأسَيْنا كلماتْ

فى غد نبنى لنا عُشّ رؤىً من كلماتْ
سامقاً يعترش اللبلابُ فى أحرُفِهِ
سنُذيبُ الشعْرَ فى زُخْرُفِه
وسنَرْوى زهرَهُ بالكلماتْ
وسنَبْنى شرفةً للعطرِ والوردِ الخجولِ
ولها أعمدةٌ من كلماتْ
وممراً بارداً يسبَحُ فى ظلٍّ ظليلِ
حرَستْهُ الكلماتْ

عُمْرُنا نحنُ نذرناهُ صلاة
فلمن سوف نصلّيها... لغير الكلماتْ؟

(١٩٥٤)

ثلاث أغنيات عربية

-١-

الساعة

«لقد دقت ساعة العمل الثورى»

[جمال عبد الناصر]

دقّت الســاعـة فى أرض بلادى العــربيّــه
جلجلت، ضجّت، ودوّت ملءَ وديان قصيّه
غلغلـت عبـر بسـاتين النخـيل العنبـريّه
وتلوّتْ فـى صحـارٍ رَسَـخَتْ كـالأبديّه

دقّت الساعـة واهتزّتْ لها سُمْرُ الصحارى
وارتوت بيـدٌ عطاشٌ لانبـلاجٍ، لانفـجـارِ
ورمــالٌ لم تـزلْ منذ عـصـورٍ فى انـتظارِ
فـتحتْ أذرعـهـا العطشى وألوتْ بالإسـارِ

إنّه الفــجــرُ فـهُــبّى يا مــلايينُ ومــوجى
احـملى أغنيـة الصَحْـو إلى خُضْـرِ المروجِ
ووعــوداً مــورقــات عــربيّــاتِ الأريجِ
نبـضـت بين المحـيطِ المُتـرامى والخـليجِ

اثنتـــا عــشــرةَ مــن دقّــاتهــا هــزّت رُبَانا
أيقظت تـاريخَنا القــوميّ في قـــعْـر دمــانا
غلغلت عــبـر صــحـاريـنا النَشَـاوَى وقـرانا
وســمــعناهـا تنادى وأفَـــقْنا من كـــرانا

-٢-

اللصوص

إنّه الليلُ كلُّ الحدودْ غرقتْ في مَدَى غيهبِهْ
بدياجيهِ لفَّ الوجودْ أيّها العربيّ انتبهْ

رَحباتُ المَدى النائياتْ زخرتْ بخُطَى الأعداءْ
من وراءِ ضفافِ الفراتْ والخليجِ إلى صنعاءْ

ولصوصٌ هناكَ كثارْ كلّهم جَشَعٌ وخداعْ
أقبلوا من وراءِ البحارْ يسرِقون طعامَ الجياعْ

نزلوا أرضَك السمراءْ يسرقون اَلجنى والتمورْ
يأخذون الثَرى والهواءْ يخطفون النَدى والنورْ

يسلبونكَ لو يقدرونْ خضرةَ الشَجَرِ المبتسمْ
يخنقونَ الأغانيْ الحنون يمنعونَ الكَرَى والحُلُمْ

إنّهم يقطعون الطُرُقْ ويسُدّون كلّ سبيلْ
فاستفق من كَرَاكَ استفق أيّها العربي النبيلْ

-٣-

النسر المطعون

حـيثُ النخـيلُ السـامقُ المزدهى ... حيثُ الصحارى المحُرقات الرّمالْ
حـيثُ الينابيعُ وكـاسـاتُها ... تقطرُ شـهـداً وتغـذّى التـلالْ
وحـيثُ أغنيّـاتُ أنهـارنا ... تشدو بها شفـاهُ ريحِ الشـمالْ
هـنـاكَ ألـقى طـائرٌ ظـلّـهُ ... ضـخـماً، إلهيّاً تحـدّى المحُالْ

جُنحـاهُ مبسـوطانِ فوق المدى ... من الخليج للمحـيط السحـيقْ
في كـبـرياء الريش تحـيا ذُرَى ... وأعـصُـرٌ يقْظَى ومـجـدٌ عـريقْ
أقـامَ فـوق الأرض لا يرتقى ... نحـو الأعـالى فى الفـضـاء الطليقْ
والـلانهـايـاتُ تنادى وفى ... ندائهـا همسُ الخلود الـعـميقْ

فى قلبـه النـابض قـد أغمـدوا ... رمحـاً غليظَ الحَدِّ خشْنَ الشّفاه
من صـدره الحـرِّ يغـذّى الثَّرى ... والوردُ يسـتنبـتُـهُ من دمـاهْ
يا رمحَ إسـرائيلَ مـهـما ارتوى ... من جنحـهِ من روحـهِ من مُنَاهْ
يبـقى ثَرَانـا عـربيّ الشـذَى ... والضـوء، يبـقى عـربىّ المياهْ

يافــا وحــيــفــا في غــدٍ نلتــقى   فنحـن والضــوءُ عـلى مــوعــدِ
تبـــقى فلسطينُ لنا نغــمــةً   قـــدســيّــةً عـلى فمِ المُنْشِـــدِ
ونسْــرُنـا الشــامخُ لن ينثنى   أمـــام بابِ الزمنِ الموصَـــدِ
غـــداً فلسطينُ لـنا كـلّهـــا   كـــأنَّ إســرائيلَ لـم توجَـــدِ

خصام

زمانُ الصفَاءِ مضى وتلاَشى مع الذكرياتْ
وها نحن مختصمانْ
وجاء زمانُ الصراَعِ فلا لطفَ لا بَسَماتْ
ولا دفقةٌ من حنانْ

وها نحنُ مختصمانِ دفنّا الوئامْ
وراء التوتّر فى قعر ألفاظنا البارده
ولم نُبْقِ كأساً ولا منهلاً للغرامْ
ولم نُبْقِ عشاً لأحلامنا الساهده

وها نحنُ نكشفُ عمّا انطوَى
بأعماق أنفسنا من عيوبٍ جميله
ويُدْركُ كلّ بأنّ الهوَى
طَوىَ ما طوى من معايبنا المُترَفات الأصليةْ
ولم يبق إلا محاسنَنا الفجّةَ المستحيلهْ

وها نحن نعرف أبعادَنا الشاسعةْ
وما امتدّ فى عُمقها من خُشونه
وكيف ملكْنا عُيوباً منوّعةً رائعهْ
تُخبّئ أوُجهَها خلف ستر الرِضَى والليونَهْ
وخلف الوداعةِ خلْفَ السكينه

وفى لَحظَات الصفاء لَمَسْنا شذانا الرصينا
وذُقْنا محاسَننا السَمْحةَ المُنْعمه
وذاك الطلاءَ الذى لفّ أعماقنا المُبهَمه
وغطّى الحماقَةَ والضَعْف فينا

وفى لَحظات الحنينِ هَوينا
بَساطتَنا وعشقْنا العذُوبه
وها نحن نعشَقُ ما تَخْلُقُ الآدميّةُ فينا
ونلمسُ أعماقنا الشاسعات الرهيبةْ
وما فى حماقتنا من جَمالٍ شذٍ وخُصوبهْ

وكنا عَشقنا انبثاق الحرارة في مُقلتَينا
فدَعنا نُحَبَّ النُضوبْ
وكنا هويْنا التوردَ والشعرَ في شَفَتينا
فلَم لا نُحبُّ الشحوبْ
ولِمَ لا نخلّفُ ركناً من المقْت بين يدينا؟
وكنا عقَدْنا الصداقةَ بين المحاسنِ فينا
فدعنا نُقمْ أُسسَ الحبِّ والودِّ بين العيوبْ
وأفسحْ مكاناً لبعضِ الحماقات بعضِ الذُنوبْ
ودعنا نكُنْ بَشَراً طافحيْن نفيضُ جنونا
وننضَحُ ضِحكاً ودمعاً سَخينا

(١٩٥٤)

أسـفـار

ترجمة تصرف لقصيدة عنوانها Travel للشاعر

الإنكليزى روبرت بروك Rupert Brooke

حـــينَ نزلتُ (تونس) الـكبـيـــرهْ
كُــسِّـرَ قلبـى قِطَعـاً صــغـيــره

ثم استطعتُ بين نَخْل (البصـره)
إلصـــاقَ قلبى كِـسـرةً فكســره

وفى (دمـشـق) عـاد قلبى قـطَعـا
ولاحَ عجـزُ الصمغِ عن أن ينْفَعا

وها أنا فى أرض «مـــصـر» أعلمُ
بأنّ مـــا كُــــسِّـــر لـيسَ يُلْـحَمُ

(١٩٦٥)

نحن وجميلة

جميلةُ! تبكين خلفَ المسافات، خلف البلادْ
وتُرْخين شَعركِ كفَّكِ دمعَكِ فوق الوسادْ
أتبكين أنتِ؟ أتبكى جميلَهْ؟
أما منحوكِ اللحونَ السخيّاتِ والأغنياتْ؟
أما أطعموكِ حروفاً؟ أما بَذَلوا الكلماتْ؟
ففيمَ الدموعُ إذنْ يا جميله؟

ونحن منحنا لوصف جراحك كلّ شَفَهْ
وجَرّحنا الوصفُ، خَدّشَ أسماعنا المرْهَفَهْ
وأنت حملت القُيودَ الثقيله
وحينَ تحرّقتِ عطشى الشفاه إلى كأسِ ماءْ
حَشَدْنا اللحونَ وقُلْنا سَنُسْكتُها بالغناءْ
ونشدو لها في الليالى الطويله

وقُلنا: لقد أرَشفوها الدماءَ، سَقَوْها اللهيبْ
وقُلنا: لقد سمّروها على خَشَباتِ صَليبْ
ورحنا نُغَنّى لمجدِ البُطوله

وقلنا: سنُنقذُها، سوف نفعلُ!» ثم غَرِقنا
وراءَ مدى «سوف» بين الحروف النشاوى وصحنا
تعيشُ جميله! تعيشُ جميله!

وذُبنا غراماً بِبَسمتها وعَشقنا الخدودْ
وأذْكى هوانا الجمالُ الذى أكلتْهُ القيودْ
وهمْنا بِغَمّازة وجَديلَهْ
أمنْ جرحها الثرِّ نطْعمُ أشعارَنا بالمعانى؟
أهذا مكانُ الأغانى؟ إذنْ فاخجلى يا أغانى
وذوبى أمام الجِراح النبيلَهْ

هُمُ حمّلوها جراحَ السكاكين فى سوء نيّه
ونحنُ نحمّلُها- فى ابتسامٍ وحُسْنِ طويّه-
جراحَ المعانى الغلاظ الجهوله
فيا لَجراح تعمّقُ فيها نُيوبُ فَرَنسا
وجُرحُ القرابةِ أعمقُ من كلِّ جُرحٍ وأقسى
فوا خَجلتا من جراح جميله!

(١٩٥٨)

إن شاء الله...

ناديتُ الوردة ذات صباحٍ: «يا وردةُ إنيَ عطشى»
فرنَتْ وانتفضَتْ وابتسمتْ
وجهاً، قلباً، شَفَةً، رمْشا
منحتني العطرَ، اللونَ، الحبَّ، وما بخلَتْ
فرَشتْ لي خدَّيْها وحنت

... ...

وسألتُ حبيبي أن ألقاهْ
فتطلّع فيَّ وقال: أجل، إن شاء اللّهْ...
بضعة ألفاظ ثم مضى
وعدٌ منه وحماسٌ من قلبي ورضَى
وغداً أو بعد غدٍ يحضرُ إن شاء اللّهْ...

إن شاء اللّهْ...
وعدٌ في شَفَةِ الزنبقِ غطّى المرْجَ شَذاهْ
وتألّقُ فجر منبثقٍ خلفَ مسافاتٍ مبهوره
ونسائمُ تعبرُ في وديانٍ مسحوره
(إن شـاء اللّهُ) رؤى أغنـيةٍ طافـحـةٍ ونَدىً

وصلاه
(إن شاء اللّهُ) تسابيحٌ وصَدَى أجراسْ
وبشاشةُ كأسٍ لأمسَ كاسْ
(إن شاء اللّه) تفجّرُ أعيادٍ وحياهْ
وتَلاقى أعنابٍ ومياهْ

(إن شاء اللّه)... وسحّتْ أمطارٌ ثَرّهْ
فجّرتِ العَالمَ بالخُضرَه
(إن شاء اللّه) وجاشَ البحر وأعطانا
سمكاً ولآلئْ ورشاشاً رطّبَ أوجهَنا ورؤانا
(إن شـاء اللّه) وألفُ يدٍ مرّتْ وتيـقّظَ ألفُ
وَترْ
وتألّقَ حولىَ ألفُ قَمرْ
وأنا ما زلت أعيشُ وأحلُمُ أن ألقاهْ
فمتى يُشرِقُ لى فجرُكِ يا (إن شاء اللّه)؟

(هل) و(متى) لحنُ جفونٍ ضارعةٍ وشفاه
وجوابُهما: إن شاء اللّه...
هل تحضرُ؟ هل يأتى اَلمطَرُ؟

هل يسخو العطرُ وينهمرُ؟
إن شاء اللّهْ
إن شاء اللّهْ
ومتى يسْرى نُسْغُ السُكَّرْ
فى الرُمّانِ الحامضِ؟ والفجرُ متى يظهرْ؟
والشاطئُ بعد ضَنَى الأسفارِ متى سنراه
إنْ شاء اللّه؟

حدود الرجاء

«في انتظار إعلان الوحدة الثلاثية سنة ١٩٦٣»

كنا نراها في ضَبابِ الكَرَى ملفوفةَ الهيكل بالمُستحيلْ
كنا شفاهاً عطشتْ والتظَتْ وكانَ مرآها يُرَوّي الغليلْ
كنا ملايينَ نُعاني اللّظى وظلُّها فوقَ مُنانا ظليلْ
وكانتِ الأحلامُ تُلْقى بنا في كلِّ فجرٍ فوق صَحوٍ ثقيلْ

وكم عَبرْنا نحوَها من مَدىً الرِّيحُ فيه تلتقي بالأنينْ
دماءُ مقتولينَ من يَعْرب تضجُّ في أعماقِ ليلٍ حزينْ
وموكبٌ يُعقبُهُ موكبٌ من شُهداء سقطوا هاتفينْ
يا صوتَها، يا وجهَها، يا اسمَها ابقَىْ ضياءً يتحدّى السنينْ

الوحدةُ الكبرَى شَدَوْنا بها ونحنُ في المهْدِ صغارُ المُنى
وكم بَنيْنا صَرْحها المُشتَهَى على تلالِ الرّملِ في أمسنا
وكم حَسبنا أنهّا قد دنَتْ منّا فأخفى ضوءهَا المُنحنى
وجهٌ سَرَابيّ السنّا كم هوَى كلّ رجاءٍ دونَهُ مُثخَنا

من دونهـا ضـعنا فـلا زَهْرةٌ توقـظُنا أشـذاؤها السـارية
لا نَغَمٌ يُسـعـدُ أرواحنا لا نَهْـرَ يروينا ولا سـاقـيـهْ
لا نخلةٌ تـضـحـك فى أرضنا لا زارعٌ يُنشـدُ لا راعـيـهْ
جَـفّتْ أراضـينا وأشـجـارنا وارتحلَتْ أطيـارنا باكـيـهْ

نحنُ عـبـرنْا كلّ أفق نأى نبحثُ عنها عن شَذَاها الجميلْ
عن لونهـا عن روحها عن صَدىً منهـا يُدوِّى فى السكون الثقيلْ
واليومَ جئنا أرْضَـهـا وانطوَى ذاك المسـيـرُ المدلهمُّ الطويلْ
وانصـرمتْ تلك السنينُ التى تاهت خُطاها فى ضَباب العويل

واليومَ حـانَ الفـجـر يا أمّتى فنحنُ قـاربْنا حـدود الرّجـاءْ
تلألُهـا تبـدو وراء المَدَى مُغـرَقـةٌ فى غـمرة من ضـيـاءْ
الوحـدة الكبـرى دنا ركبُهـا منّا فيـا بُشرَى الشفـاه الظماءْ
يا فـرحـة السارينَ تحت الدُجى قـد لاحتِ الدار وحـانَ اللقـاءْ

(١٩٦٣)

الوحدة العربية

«عند إعلان ميثاق الوحدة الثلاثية من القاهرة

في ١٧ نيسان ١٩٦٣»

يا صميم الدُّجى الذى أسدلَ السـ ـرَ على بيدنا الرحابِ النقيّهْ
يا جِراحَ التقسيمِ، يا عارَ إسرا ئيلَ في جبهة الصَّحَارى الأبيّهْ
يا مسيلَ الدماء من عُنُقِ المو صلِ باسم السلامِ والحُريّه
يا صُراخَ الجنوبِ من أرضنا المُشْـ ـبعةِ الرّمْلِ بالدماء الشذيّهْ
يا سنيناً مقتولةً في ثَرَى تا ريخنا لم تَزلْ رؤاها طريّهْ
يا قبوراً تضمُّ قَتْلَى عطاشاً فوق أرضِ الجزائرِ العبقريّهْ
يا مُنى أمّتى جميعاً، ويا آ مالها يا أحلامَها المطْويّةْ
استفيقى من الكرَى إنّ فجراً قد أطلّتْ أضواؤه الزنبقّيهْ
حُزَمٌ من سعادة وضياء دَفقَتْ في الدياجرِ الغَيْهبيّه
طوتِ النيلَ واحتوتْ بَرَدَى وأحـ ـتَضَنَتْ دجلةً بكفٍّ نديّهْ
إنّها ساعةُ المَدَى أعلنتْ دقّـ ـاتُها فجرَ أمّتى العربيّةْ

كم حلُمْنا بوَحْدةِ العَرَبِ الكُبْـ ـرى وهمْنا بفجرها الوُضّاءِ
كم شَدَوْنا بها، عروبتُنا ظَمْـ ـأى إليها تظَلّ دون ارتواءِ
ورأينا ديارَنا مزَقاً دا ميةَ الرَّمْلِ، في يدِ الأعداءِ

لم يَعُدْ زهرُها الطريُّ المُنَدّى ... عربيَّ الألوانِ والأشذاء
وانحنى النخلُ واجماً خجل الخضـ ... ـرة بعد انتصابة الكبرياء
وخرجنا مُشرَّدينَ فمن صَحْـ ... ـراءَ ممتدّة إلى صحْراء
وتركنا أنهارَنا تسكُبُ الما ... ءَ رحيقاً في أكؤس الغُرَباء
ثم جاء الضياء وافترَّ فجرٌ ... عنبريَّ الشُعَاعِ عَبْرَ الفضاء
في سكون الصباح جلجلت السا ... عةُ ملْءَ المهامه السمراء
تُعْلِنُ الوَحْدَةَ الكبيرةَ ضوءاً ... وسَلاماً في ليلة لَيْلاء
أعلنَتْها أمنيّةَ العرب الكبـ ... ـرى وحُلْمَ الأجداد والآباء

واستفاقت بغدادُ نشْوى تُغنّي ... وهي تَسْقي ورودَ أجملِ فَجْرِ
خَفَقَتْ في سمائها رايةُ الوحْـ ... ـدة يا لَلْحُلْم الجميلِ النَضْرِ
قلبُها قلبُها المَشُوقُ إلى مصْـ ... ـرَ طويلاً قد ضمّ تُرْبةَ مصْرِ
والتقَتْ كفّها بكفّيْ دَمشْق ... في صباح العروبة المفتّرِ
إنّه الصبحُ جاء فاستقبلتْهُ ... في أشدٍّ اعتناقة وأحَرٍّ
جاءَ بالراية المثلّثة الأنـ ... ـجم يمحو عارَ السنينِ الحُمْرِ
وبيمناهُ وردةٌ بَضّةُ المَلْـ ... ـمَسِ ريّا البياض نَشْوى العطْرِ
هي منْهُ تحيّةٌ للذينَ اسـ ... ـتُشْهدوا أمس في إباء وكِبْرِ
إيه بغدادُ أيقظي كلّ من ما ... تَ شهيداً على نشيد النَّصْرِ
أنبئيه بأنّ وَحْدتَه قا ... متْ وضمّت من أرضه كلّ شبْرِ
طلع الفَجْرُ من وراءِ الدياجي ... يا عيونَ الشهيد نامي وقَرّي

إنهـا الوَحْـدَةُ الكبـيـرةُ جُـمْعُنَا　　　لشَـذَاها مَـدَى قـرون طوال

أشعلَ الشوقُ حبُّها فى صحاريـ　　　ـنا وحَنتْ لها شَـفاهُ الرِّمال

كم شهيد من يعرب ماتَ عطشا　　　ن إليـها ممزّقَ الآمال

ضيّع الحُلْم فى مكان سحيق　　　بين لفظ اسمها وبين المُحَال

يا حنينَ الأجداد يا شَوْقَ أمّى　　　يا سنينَ الضَّياعِ والأغلال

فجرُنَا لاح فلتَنَمْ حُرْقَةُ الأشـ　　　ـواقِ وليسترحْ جنونُ السؤال

فجرُنا لاح أبيضاً عربيّاً　　　أطلعتْهُ فى الأفْق كفّا (جَمال)

ناصرِ الحقِّ والعروبةِ أحْيَى　　　كلَّ حُلْمٍ مقطّعِ الأوصال

لمّ شَمْلَ الرّمال فى أرضنا السمـ　　　ـراء بعد التمزيق والإذلال

ودعا النَّومَ فاستحالَ حياةً　　　تتلظّى بالخصْب والإنفعال

ثم أهدى ديارَنا الوَحْدَةَ الكبـ　　　ـرى فموجى يا أرضَنا واختالى

(١٩٦٣)

أغنية ليالى الصيف

يا هدوءاً مطمـــــئنّا
يا فــضــاءً مَــرِحــاً لدْنَ البــريقِ
يشرَبُ الأنجمَ كــأســاً من رحيقِ
يــا رؤىً تــقــطُــرُ لــونــا

أنتِ عــطرٌ ونعـــومـــهْ
وحــفــيفٌ وانحــداراتُ أشعّــه
ونجــومٌ عكستْ فى عــمقِ ترْعــه
وأناشـــيــدُ رخـــيــمــه

أنتِ ينبـــــوعُ سكـونِ
وحَــمـــاســـاتٌ وعِطْرٌ وبُروده
يا وِسادَ الأنجُمِ الجـذْلى البـعيـده
يا مَـــصَـــبّـــاً للحنينِ

أيّ بـرد ولُـيـــــــــونَـهْ
يا شَـفـــاهاً قـمــريّات الـقُــبَلْ
تنـثُــرُ الأنداءَ أقــداحَ عَـــسَلْ
فـــوق أشــجـــار المديـنةْ

أيّ نـهـــــــر من عـطـورِ
في شَـــذَاهُ مــسـبَـحٌ للقَـــمَـرِ
وغـــذاءٌ للـرؤى والســـمــرِ
ورحــــيقٌ للـشُــعـــورِ

أنت لـلأحــــلام مــــأوى
يا مــلاذاً بارداً عــذْبَ الجـــوارِ
لخــدود حَــملَتْ عبْءَ النّـهــارِ
وأتـتْـك الآن نَشْـــــوى

اغـــمــــرينـى بالـظلال
واحملى روحى على أعطار نَسْمه
وامنحى خـدّى وسـاداً عند نجـمـه
يا لـيــــالى يـا ليـــــالـى

وإذا نمتُ فمُدّى
بردكَ المُنْعشَ والعطرَ سريرا
وأسيلى القَمَرَ العذْبَ غديرا
وليكنْ لينُكِ مَهْدى

وامنحينى ألفَ حُلْمٍ
من ليال غَسَقيّات الغُلاله
شَرِبتْهاً فرحتى حتى الثُمالة
فهى قيثارى وكرمى

(١٩٥٢)

النهر العاشق

«نظمتها الشاعرة خلال الفيضان الرهيب عام ١٩٥٤»

أين نمضي؟ إنه يعدو إلينا
راكضاً عبْرَ حقول القمْح لا يَلْوى خطاهُ
باسطاً، فى لمعة الفجر، ذراَعيْه إلينا
طافراً، كالريحِ، نشوانَ يداهُ
سوف تلقانا وتَطْوى رُغْبَنا أنّى مَشيْنا

إنّه يعدو ويعدو
وهو يجتازُ بلا صوت قُرَانا
ماؤه البنىّ يجتاحُ ولا يَلْويه سَدُّ
إنّه يتبعُنا لهفانَ أن يطْوىْ صبانا
فى ذراعيْه ويَسْقينا الحنانا

لم يَزَلْ يتبعُنا مُبْتسماً بسمةَ حبٍّ
قدماهُ الرّطبتانِ
تركتْ أثارَها الحمراءَ فى كلِّ مكانِ
إنّه قد عاش فى شرقٍ وغربِ
فى حنانِ

أين نعدو وهو قد لفّ يدَيهِ
حولَ أكتافِ المدينة؟
إنّه يعمَلُ فى بطءٍ وحزْمٍ وسكينه
ساكباً فى شَفَتَيْه
قُبَلاً طينيّةً غطّتْ مراعيْنا الحزينه

ذلكَ العاشقُ، إنا قد عرفناهُ قديما
إنّه لا ينتهى من زحفه نحو رُبانا
وله نحنُ بنَيْنا، وله شدْنا قُرَانا
إنّه زائرُنا المألوفُ ما زالَ كريما
كلَّ عامٍ ينزلُ الوادىَ ويأتى للقانا

نحن أفرغنا له أكواخنا فى جُنْح ليلِ
وسنؤويه ونمضى
إنّه يتبعُنا فى كل أرضِ
وله نحنُ نصلّى
وله نُقْرِعُ شكوانا من العيشِ المملّ
إنّه الآنَ إلهُ
أو لم تَغْسل مبانينا عليه قَدَمَيْها
إنّه يعلو ويُلْقى كنزَهُ بين يَدَيها
إنّه يمنحُنا الطينَ وموتاً لا نراهُ
من لنا الآنَ سواهُ؟

(١٩٥٤)

المدينة التى غرقت

«مرثيـة لبغداد الجديدة التى أغـرقها فيضان عام ١٩٥٤»

ووراء السداد التى ضمّـدوا جرْحها بالحصيرْ
وخلفَ صُفوفِ الصَرائفِ حيث يعيشُ الهجيرْ

يســيــرُ طـريقٌ تدثّر بالـطينِ نحــو المـدينه
وأطلالِها حيثُ باتَ يعيش اصفرارُ السكينه

وحيثُ الشـوارعُ باتتْ وحولاً ومُسْتنْقَـعاتْ
وكـانت تجيشُ وتزخـر سـاحاتهـا بالحـيـاةْ

وكانت تهشّ وتضحَكُ للشـمسِ كلّ صباحْ
فبـاَتتْ يعشّشُ فيـها الدُجَى وصفـيرُ الرِّياحْ

وكـانـت منازلهـا المرحــاتُ تُلاقى القَــمَـرْ
بضحْـكِ نوافذِها فاسـتكانتْ وصـاحَ القَدَرْ

وجـاء الخـرابُ ومـدّ رجلَـيْـه فى أرْضـهـا
وأبصَـرَ كيف تَنُـوحُ البيُـوتُ على بَعْـضهـا

وحدَّق فيها وأصغى إلى الصرَخات الأخيرَهْ
لسقفٍ هَوَى وتَدَاعى وشـرفةِ حُبٍ صغـيرهْ

وأرسَلَ عـينيـه فى نـشوةٍ يـرمُقُ الأبنيـهْ
وقـد ركـعـتْ فى هوانٍ ذليلٍ بلا مـرثيـهْ

وجـاء الخـرابُ وسـار بهـيكله الأسـود
ذراعـاهُ تَطْوى وتَمْـسَـحُ حتى وعـودَ الغَـدِ

وأسنانُهُ الصُـفْـرُ تَقْـضِمُ باباً وتمضَغُ شُـرْفَـهْ
وأقـدامُهُ تطأ الوردَ والـعُشْبَ من دونِ رأفـهْ

وسـار يَرُشُّ الـرَدَى والتـأكّلَ ملءَ المـدينه
يخـرّبُ حيثُ يـحلّ ويَنْشرُ فـيـها الـعفُـونه

وفي الليلِ حينَ يجيءُ الشذَى وضياءُ القَمَرْ
يهُبّ الخرابُ ويضحَكُ نشوانَ بين الحُفَرْ

ويُرْسلُ ضحكتَهُ العصبيّةَ، ملء الفضاءْ
فتنفر منه النجوم ويثقُلُ مسُّ الهواءْ

وتنمو الخشونةُ حيثُ يلامسُ وجهَ الترابْ
وتُنْبِتُ أقدامُهُ طُحْلُباً لَزِجاً وذُبابْ

ويأتي الصباحُ ويختبئ الغولُ في مكمنِ
وتُخفيه مُسْتَنْقَعاتٌ فِساحٌ عن الأعينِ

وتصحو المدينةُ ظمأى وتبحَثُ عن أمسِها
وماذا تبقّى سوى الموتِ والمِلْح في كأسِها؟

(١٩٥٤)

الشيخ ربيع

«ترجمة تصرف عن الشاعر الفرنسي بروسبير بلانشمين»

إنّهُ الشيخُ ربيعْ
ذلكَ الشيخُ المرِحْ
ذو الثياب الخُضْرِ والوجه البديعْ
والجبينِ المُنْشرِحْ
كلّما طافتْ خُطَى نيسانَ بالدُنيا أطلاّ
من كُوَى غرفتِه عذْباً طروبا
هاتفاً: «أهلاً، وسهلا...
مرحباً نيسانُ! قد حانَ لنا أن نظهرا
ونجوبَ الأرضَ ودياناً وبيداً وسهوباً
في رداءٍ أخضَرا.»

أيها الشيخُ ربيعْ
أيها الشيخُ ربيعْ
عُدْ إلينا واطلْ مكثَكَ فينا
عد إلينا أيها الشيخُ ربيعْ

هذه خُطْوةُ نيسانَ على وجْهِ الحقولِ
شربتْ أولَ بَسْمه
من شفاه الشمس، والفجرُ على صدْرِ السُهولِ
لم يَزَلْ يُسْقَى نَدَى الليلِ، وفى الغابات نَسْمه
نقلتْ إنشادَ عصفورٍ صغيرِ:
«عِمْ صباحاً أيها الضوءُ...» وردّ الآخرونْ
«حانتْ اليقْظَةُ فلنمرحْ رِفَاقى
فى حمى الغابِ النضيرِ
ولنُغَنِّ الفجرَ والشمسَ وأعناقَ الغصونْ
وظلالَ الغابِ حتى تشتكى منّا السّواقى»

أيها الشيخُ ربيعْ
أيها الشيخُ ربيعْ
عدْ إلينا واطلْ مكثك فينا
عدْ إلينا أيها الشيخُ ربيعْ

ويردُّ الشيخُ من غرفته عذبَ المَرحْ:

«يا عصافيرى لا تَعْجَلْنَ إنّى أتزيّنْ

بعد حينٍ أرتدى ثوبى الملوَّنْ

كلّ لونٍ فيه من قوس قزَحْ

كل خيطٍ وَترٌ من أغنيهْ

كلّ زرٍّ وردةٌ منتشيه

أمس أعطانيه خياطى، لماذا

تتعجّلْنَ خروجى؟ عجَباً ما سرّ هذا؟

أيها الشيخُ ربيعْ

أيها الشيخُ ربيعْ

عدْ إلينا واطلْ مكثَكَ فيها

عُدْ إلينا أيها الشيخُ ربيعْ

وأخيراً ها هو الشيخُ ربيعْ
يتمطّى قائماً ثُمَّ يسيرْ
ويداه تنثرانِ الوردَ في المرج البديعْ
فوق أعشاش العصافير، على شطِّ الغدير
وله نعلانِ لا مسمارَ في كعبيهما
بل أزاهيرٌ وأوراقٌ، ومن لونيهما
تشربُ الشمسُ وتَسقى المغربا
قبلَ أن تَلوى خُطاها وتضيعْ
في الذُرَى خَلفَ الرُبَى

أيها الشيخُ ربيعْ
أيها الشيخُ ربيعْ
عُدْ إلينا واطلْ مكثَكَ فينا
عد إلينا أيها الشيخ ربيعْ

(١٩٥٢)

البعث

أنا غَنّيتُ للظلال وأعطَيـ ـتُ هوايَ المفتونَ للأشباحِ
وعبرتُ الحياةَ وسنًى وشيّدْ تُ قلاعاً جُدْرانها من رياحِ
وعَصَرْتُ الأوهامَ فى قَبْضتى حيـ ـناً وأهديتُ للطيوف صُداحى
وأخيراً أتيْتَ أنتَ وأسلمْـ ـتَ كؤوسى إلى شِفاه الصباحِ

نَغَمى كان جدولاً سُكّرِيّ الـ ـماء ينسابُ ليس يسقى العطاشا
ضنّ أن تَسْبح العصافيرُ فيه وأهانَ الضُحى وصدّ الفَراشا
ووردى لّمتْ رحيقاً عبيريـ ـاً وآلتْ لا تَمنحُ الأحراشا
خزنتْ فى عُروقها قَطَرات الـ ـعطرِ بُخْلاً بشهدها وانكماشا

أنتَ فجّرتَ أغنياتىَ ينبو عَ حَنانٍ مشوّقَ القَطَراتِ
الفُقاعاتُ فيه ضاقت بما يُثْـ ـقلُها من حرارةٍ وحياةِ
بحثَتْ فى تحرّقٍ وارتعاشٍ عن شِفاهٍ أو أعينٍ عَطِشاتِ
لتَصُبّ الصباحَ فيها وتَسْقيـ ـها كؤوساً مشغوفةَ الحافاتِ

ووردى التى تَغَصّ بما فـيـ   ـها من العطْرِ والرحيقِ الثمينِ
أنتَ أخجلْتَ فى تموّجها الخصْـ   ـبِ عُبُودِيَّةَ العبيرِ السجينِ
أنتَ علّمتَ عطْرَها سَكْرَةَ التجْـ   ـوالِ علّمْتَها اشتعالَ الحنينِ
أنتَ نبهتَ غَفْوةَ الفُلِّ فى حقْـ   ـلى وبُخْلَ البنفسَجِ المَفْتونِ

أنا أغلقتُ بابَ قلبى على كلّ   جمال وكلّ خَلْجَة شَوْقِ
وجَعَلْتُ الهوَى المُزَنْبَق سراً   ضائع الحَدِّ فى امتداد وعُمْقِ
يا لسِّر غذيتُ كتمانَهُ قلْـ   ـبى، دمى، كلَّ قطرة، كلَّ عرْقِ
خفتُ أن يخدشَ النهارُ حواشيْـ   ـه فأبقيتُهُ رهينةَ رِقِّ

ذلكَ الحبّ لم أحدِّثْ به قطّ   غديراً أو ربْوةً أو حقلا
لم أصِفْه لتلّة تُطْعِمُ الليـ   ـلَكَ من قلبها وتَسْقى الظلاّ
غرتُ أن تعرفَ العصافيرُ أسرا   رى فأسلمتُها السكونَ المُملاّ
لم أقلْ للغدير إنّكَ أصفَى   وكتمت الضياءَ أنّك أغلى

يا هوىً ظَلَّ شاحبَ الخدّ خجلا   نَ من الشمس خائفَ الألحانِ
يتوارى عن النجوم ويُخْفى   وجْهَهُ عن زنابقِ الغُدْرانِ
ألحدتْ ذكرياتُهُ بخرير الـ   ـجدولِ العَذْبِ وانفعال الأغانى
وبَنى الصمتَ معبداً كفَرَ المر   ءُ فيه ولاذَ بالكتْمانِ

أنا لولاك كنتُ ما زلتُ سِراً　　خافتَ اللحنِ باهتَ التلوينِ
أنتَ حرّرتَ ذلك الولَهَ الخَصْـ　　ـبَ وأخجلتَ فيه ذُلَّ السكونِ
جئتَ كالضَوْءِ فانحنى لكَ قيدى　　وتلاشى توحّشى وجنونى
وأفاقَ الشعور ينفُضُ عارَ الـ　　ـصَمْتِ عن سِرِّ قلبىَ المكنونِ

أنتَ علّمْتَ قلبىَ المُطْبقَ الكفِّ　　سخاءَ الندَى وبذْلَ اللهيبِ
أنتَ صيّرتَنى هُتافةَ حبٍّ　　ثرّةَ الوقْعِ بعد طولِ نُضوبِ
أنا غنّيتُ باسمكَ العذْبِ فى كل　　انحناءٍ ومفْرَقٍ موهوبِ
لا تَلُمْنى إذا مَلأتُ بكَ الدنـ　　ـيا فصاحتْ معى: حبيبى، حبيبى!

(١٩٦٢)

أغنية لطفلي

ماما ماما ماما ماما ماماما
برّاقُ الحلوُ اللثغةِ ينْوي النوما
والنومُ وراءَ الربوة هيّأ حُلْما
والحُلْمُ له أجنحةٌ ترقى النَجْما
والنجمُ له شَفَةٌ ويُحبّ اللَثْما
واللثمُ سيوقِظُ طفلي:

ماما ماما

بابا بابا بابا بابا بابابا
برّاق الغافي الساهي يسرقُ قَلْبا
والقلبُ سيُمْرِعُ يُنْبتُ ورداً رَطْبا
والوردُ يرُشّ المهْدَ أريجاً عَذْبا
وأريجُ الوردِ لَعوبٌ يَهْوَى الوَثْبا
والوَثْبُ سيوقِظُ طفلي:

بابا بابا

دادا دادا دادا دادا دادادا

الحـقلُ مَـشـُوقٌ للخُـضْـرةِ لا يَهْـدا

والخُـضْـرةُ خـاويةٌ لا تملكُ وردا

والوردُ إلى الحُـمْـرةِ مـرتعشٌ وجـدا

والحـمـرةُ عند صـغـيـرى ثغـراً خَـدّاَ

وسيُصْحى الوردُ صغيرى:

دادا دادا[1]

(١٩٦٣)

(١) (ماما) تقرأ هكذا: مَمّاً» كما ينطقها الطفل العراقى وبذلك تجانس القوافى التالية، وكذلك (بابا) و(دادا).

إلى وردة بيضاء

كنزَ البرودةِ والرحيقِ ومَخْبأَ اللينِ العَطِرْ
يا من عُصرْتِ من الثُلوجِ من الحليبِ من القَمَرْ
يا ضوءَ خدٍّ من حريرٍ أبيضٍ ملءِ النظَرْ
بيضاءُ يا مَلْقَى فَرَاشاتِ الربيعِ المُنْتَظَرْ
الشمسُ ودّتْ لو سقَيْتِ ضياءَها منَحاً أُخَرْ
والفجْرُ تابعُكِ الأمينُ يُرِيقُ ظلّكِ في النَهَرْ
يا مُلْتَقَى حبِّ السّواقي والقنابرِ والشَجَرْ
واحسرتاهُ على البَشَرْ
مرّوا بكنزكِ سائلينْ
مسكينةٌ ما تملكينْ؟

بيضاءُ: نحنُ أنا وأنتِ سنكتم السرَّ المُثِيرْ
سرِّي وسرّكِ لن نبوحَ به إلى الركْبِ الضريرْ
ماذا ملَكْنا؟ لا ضِياعَ ولا عبيدَ ولا قصورْ
لا شيءَ إلا رعشةَ القمرِ المُرَنّحِ في الغديرْ
وغناء أنسامِ المَساءِ المُخْمَليّاتِ المرورْ
وصداقة العُصفورِ والفجرِ الملوّنِ والعبيرْ

ومـودّة الشـمسِ الحنون وقُـبْلة المَطَر الغـزيرْ

ووساد أعشابٍ وثيرْ

وارحمـــتا للســـائلينْ

وسؤالِهمْ: ما تملكينْ؟

(١٩٥٢)

إلى الشعر

من بخور المعابد فى بابل الغابرهْ
من ضجيج النواعيرِ فى فَلَوات الجَنوبْ
من هتافات قُمْرِيّة ساهرهْ
وصدى الحاصداتٍ يغنّين لحنَ الغروبْ
ذلكَ الصوتُ، صوتُك سوف يؤوبْ
لحياتى، لسمع السنينْ
مُثخناً بعبير مساء حزينْ
أثقلتْهُ السنابلُ بالأَرَجِ النَشْوانْ،
بصدىً شاعرىٍّ غريبْ
من هُتافات ضفدعة فى الدجى النعسانْ
يملأُ الليلَ والغدْرانْ
صوتُها المتراخى الرتيبْ

ذلك الصوتُ، صوتُكَ سوف يؤوب
لحياتى، لسَمْع المساءْ
سيؤوبُ وأسمعُ فيه غناءْ
قمرىٍّ العُذوبة فيه صَدىً من ليالى المطر

من هدوء غُصونِ الشجر
وهى تمتصّ سكْرى، رحيق السَماءْ
الرحيقُ الذى عطّرتْهُ الغيومْ
بالرؤى، بتحايا النجومْ

سأجوبُ الوجودْ
وسأجمَعُ ذرّاتِ صوتكَ من كل نَبْعٍ بَرودْ
من جبال الشّمالْ
حيث تهمسُ حتى الزنابقُ بالأُغنياتْ
حيثْ يحكى الصنوبرُ للزَمَنِ الجوّالْ
قصصاً نابضاتْ
بالشذَى، قصصاً عن غرامِ الظِلالْ
بالسواقى، وعن أغنياتِ الذئابْ
لمِياه الينابيعِ فى ظُلَلِ الغاباتْ
عن وقَارِ المراعى وفلسفة الجدْولِ المُنْسابْ
عن خَروف يُحسّ اكتِئاباً عميقْ
ويقضّى النَهارْ
يقضمُ العُشْبَ والأفكارْ
مُغْرَقاً فى ضَبابِ وجودٍ سحيقْ

وسأجمعُ ذرّاتِ صوْتِك من ضَحِكاتِ النعيمْ
فى مساء قديمْ
من أماسىِّ دجلةَ يُثْقلُ أجواءَهُ بالحنينْ
مرحُ الساهرينْ
يرشفونَ خرير المياهْ
وهى ترطمُ شاطئَهُمْ، وضياءُ القَمَرْ
قَمَرِ الصيفِ يملأ جوّ المَساءِ صُوَرْ
والنسيمُ يمرّ كلمس شِفاهْ
من بلادٍ أُخَرْ
ليلةٌ شهرزاديّةُ الأجواءْ
فى دجاها الحنونْ
كلّ شىءٍ يُحسّ ويحلُمُ حتى السكونُ
ويهيم بحبِّ الضياءْ

وسأسمَعُ صوتَكَ حيثُ أكونْ
فى انفعال الطبيعة، فى لَحَظاتِ الجنونْ
حينَ تُثقل رجعَ الرُعودْ
ألفُ أسطورة عن شَبابِ الوجودْ
عن عصورٍ تلاشتْ وعن أمم لن تعودْ

عن حكايات صبيانِ (عادْ)
لصبايا (ثمودْ)
وأقاصيصَ غنّتْ بها شهرزادْ
ذلك الملكَ المجنونْ
فى ليالى الشتاءْ
وسأسمَعُ صوتَكَ كلّ مَسَاءْ
حين يغفو الضياءْ
وتلوذُ المتاعبُ بالأحلامْ
وينامُ الطموحُ تنامُ المُنَى والغَرَامْ
وتنامُ الحياةُ، ويبقى الزّمَانْ
ساهراً لا ينَامْ

مثل صوتك، ملء الدُجَى الوَسنانْ
صوتُكَ السهرانْ
فى حنينى العميق
صوتك الأبدىّ الذى لا ينَامْ
فهو يبقَى معى سهرانْ
وأحسّ صداهُ الملوّنَ يملأ كل طريقْ
بالشذَى بندى الألوانْ

صوتُكَ المجهولْ
أنا أدركتُ- يا فرحتا- سرّهُ المَغْسُولْ
أنا أدركتُهُ أنا وَحْدي وصمْتُ الزَمَانْ

(١٩٥٠)

النهر المغنى

«ترجمة لقصيدة عنوانها Avoca للشاعر
الإنكليزى المعاصر كريسمس همفريس»

وراء انعطاف الرُّبَى والسُّفُوحِ هنالك نهرٌ شجيُّ الضفّتينْ
يغنّى الدُّجى وتخفّ الظلالُ إلى شطِّه من كلا القمّتينْ
على قَدَمَينِ من الياسمينِ حَمَلْنَ إليه هَوَى التلّتينْ
وبلّغْنَهُ قُبُلاتِ السُّفوحِ ورُبَّ حنينٍ بلا شَفَتَيْنْ

هنالكَ نهرٌ يسيلُ بعيداً وينصبُّ أشراكَهُ للقَمَرْ
ويركضُ، نعْلاهُ من فضّةٍ ومن قَطَرات ندىً من زَهَرْ
يخفّ إلى البحْر فى لهفةٍ ويبحثُ فيه عن المُسْتَقَرْ
ليلْقى شواطئَ مسحورةً مبلّلة برَشَاشِ المَطَرْ

هنالك نهرٌ يغنّى المَسَاءَ بأردية من بريقِ النجومْ
يغنّى وليس سُدىً ما يُغنّى فخلفَ الدُّجى ووراء الغُيومْ
يُشيرُ الصَبَاحُ نديّ الذراعِ إلى الفجر خلف الرُّبَى والتُخومْ
ليفتحَ أبوابه الغافياتِ ويسمعَ هذا النشيدَ الرّخيمْ

(١٩٥٢)

ثلاث أغنيات شيوعية

-١-

إذا نَزَلَ الليـلُ هذى الروابى فـقم يا رفـيقْ
نراقبُهُ من ثقوبِ الدُجَى فى السُكُون العميقْ
لعلَّ الـظلامَ يُعـدّ مـؤامـرةً فى الخـفَـاءْ
ويحبـكُها مع ضوء الـنُجوم وصمْـتِ المَسَاءْ
فـهـذى الـروابى وذاك الطريقْ
وهذا الدُجَى، كـلُّهُمْ عُـمَـلاء

وسـوف نفـتّشُ حـتـى الأريجَ وحتّى المَطَرْ
نقلّبُ حـتى خيـوطَ الضيـاءِ ولونَ الزَهر
ونفـضَحُ مـا دّبرتْ كلّ جـاسـوسـةٍ زنْبَـقـه
ومـا روّجَتـهُ العصـافيـرُ بالرَقْصِ والزَقْزقـه
وإنّا لـنعـلَمُ أنَّ الـقَـمَـرْ
تآمَـرَ فلنـنصبِ المشْنَقَـه

رفيقي تعالَ لنسحقَ رجعيةَ الياسمينْ

وتزويرَ سوسنةٍ نَذْلةٍ وعريشٍ لعينْ

وتلكَ الينابيعُ إنّ دسائسَها أبديّة

وهذا الأصيلُ يُذيع أراجيفه الغَسَقيّه

حَذَارِ رفيقي فللوردِ دينْ

وهذا الشَذَى روحُهُ عربيّه

-٢-

تحيّةً شقائقَ النُعْمانْ
يا أختَنا الحمراءْ
يا شَفَةً ساخنة الألوانْ
مترعةً دماءْ

أختاهُ أنت أشرفُ الورودْ
رمزَ الدمِ المُراقْ
يا لونَ ما نُضْمرُ من حُقُودْ
مُحْرقةَ الأشواقْ

وردتنا الشريفةَ الحمراءْ
يا رايةَ الكفاحْ
يا حُمرة القتْلِ لك الدماءْ
فاغرةَ الجِراحْ

إن تظمأى فبالدمِ المُنعش
أختاهُ لا نبخلْ
هيهاتَ يا حمراءُ أن تَعطَشى
وثَمّ من نَقتُل

من أجل هذا اللون نُجرى النجيعْ
جـــداولاً تـنـشـــالْ
وباسـمـه نقـتُلُ حـتى الـربيعْ
ونـذَبحُ الأطـفـــالْ

يـا شَـــفَـــةً تلـمّظـتْ بالـدمِ
يا غـلّةً مُـــخْـــرقـــه
بحــقــدنا نُقــسِمُ أن تَسلـمى
يـا وردةَ المشـنـقـــه

والآن جـئـناك به فــاحـتَـسى
مـن لـونـه المُغـــرى
دمٌ كـثـيـرٌ فـاشـبَـعى وانعَـسى
يا أختُ واحـــمـــرّى

-٣-

ظلمـةٌ، وخـزٌ، صُـراخٌ في وجـودي
الرياحُ السودُ ملحٌ في دمي فوقَ خُدودي
خنجري أغمدتُهُ في رئتَيْ هذا الغُلامْ
وجززتُ الوردَ من خديْهِ حبّاً للسّلامْ
فإذا أشلاؤه تصحو وتحيا من جديدْ
وأراهُ باسماً منتصباً تحت الظلامْ
ومن الآفاق ينهال دَوِيّ
عربيٌّ عربيٌّ عربيّ

ثم ماذا؟ أصبح الدربُ أعاصيرَ وقَصْفا
الغلامُ الأرعنُ الغادر قد أصبحَ ألفا
هبطوا لم أدْرِ من أين: صبايا وشبابا
أوجهٌ أُسْقيت السُمْرةَ والشمس شرابا
بَدّلوا أمني شُكوكاً ومحاذيرَ وخوْفا
وتهاوى حُلُمي الأحمرُ للأرض تُرابا
لاعناً تسعين مليونَ محيا
عربيّاً عربيّاً عربيّا

(١٩٥٩)

إلى ميسون

إن خَبَتْ أعينُ النجومْ وسجَتْ بَسْمةُ القمرْ
واختفتْ خُضْرةُ الكروم وذوى الوردُ وانتثرْ

كنت لى أنتِ كوكباً مُخْمَليّ الـ ـلمسِ ينثالُ نبْعَ عطْرٍ وضوءِ
كان لى من بريقِ عينيك لونُ الـ ـقَمَرِ اللَّدْنِ فى ليالِى الدفْءِ
كان وحْيى حكايةٌ منك فيها من شَذى الورد ألف شيء وشيء
كنت لى أنتِ يا بنفسجتى فجـ ـرَ جَمَالٍ مُطَلْسَمٍ غيرِ مَرْئى

وإذا أطفأ الزَمَانْ كلّ حبٍّ حملتُهُ
وطَوَتْ ظُلْمَةُ المكانْ كلّ ضوءٍ شربتُهُ

كان لى من صفاء وجهك بَدْءٌ لأغانى حُبٍّ وحبٍّ وحُبِّ
ومن الكوكبينِ عَينَيْك تنشقُّ لعمرى آثارُ ألْفَىْ دَرْبِ
من بريقِ الجبينِ من مَلْمَسِ الخدّ الحريريّ من سَوَادِ الهُدْبِ
معبرٌ للجَمالِ من شاطئِ المجـ ـهولِ يُرْسِى ائتلاقُهُ عند قَلْبى

(١٩٥٢)

للصلاة والثوره

الطبعة الأولى ١٩٧٨

تقدمة

- بقلم الشاعرة -

لابد لى أن أقول إن هذه المجموعة الشعرية هى أول قصائد أنظمها بعد انقطاع عن الشعر استمرّ ثلاث سنوات من ١٩٦٩ إلى أواخر ١٩٧٢ وكنت خلال هذه الفترة لا أشعر بدافع يزجّ بى فى دروب القصيدة. وفجأة تفجّر الشعر فى نفسى. ففى يوم ١٩٧٢/١١/١٢ تلقيت بطاقة تهنئة بعيد الفطر من صديق لنا، وكان مرسومًا على البطاقة صورة لمسجد قبّة الصخرة بالقدس الحبيبة.

فما كدت أرى هذه الصورة حتى أحسست انفعالاً عنيفًا زلزل كيانى فقلبت البطاقة وكتبت على ظهرها هذه الأشطر:

يا قبّةَ الصخرهْ
يا وردُ، يا ابتهالةً مضيئةَ الفكرهْ
ويا هدى تسبيحة علْوية النبره
يا صلوات عذبةَ الأصداءْ
جاشت بهاَ الأبهاءْ
يا حُرْقَةَ المجهول، يا تعطشَ الإنسانِ للسماءْ
يا ولَهَ الركوعِ يا طُهْره
يا وردة الخشوع يا نداهُ، يا عِطْرَهْ

وعند هذا انتهت الفسحة الفارغة على ظهر البطاقة فألقيتها على مكتبى وذهبتُ ونمتُ. ولم يكن يخطر لى أن الشعر قد استيقظ فى حياتى بهذه الأشطر المفاجئة. والحق أننى كنت أحسب أننى قد انتهيت شعريًا إلى الأبد،

لأن ثلاث سنوات كاملة من الصمت ليست شيئًا مألوفًا فى حياتى، وإن كانت مألوفة فى حياة غيرى من الشعراء. فقد سكت بول فاليرى ثمانى عشرة سنة كاملة ثم أفاق ونظم قصيدته العظيمة «المقبرة البحريّة» Le Cimctiere marin وسكت وليم بتلر ييتس عشر سنين ثم نظم مجموعة شعرية مهمّة. وسكت شكسبير ست سنين كاملة. فلِمَ لايكون سكوتى من جنس سكوتهم؟ لم يخطر لى هذا. لذلك اندهشت عندما تناولتُ أشطر قبة الصخرة فى الصباح التالى وجلست أتمّها فى حرارة وحماسة فإذا هى تكتمل بين يدىّ قصيدة طويلة عنونتها «للصلاة والثورة». ومن إتمام الفائدة أن أقول إننى منذ ذلك التاريخ أتدفق تدفقًا شعريًا خصبًا لا انقطاع له وقد اكتملت لى هذه المجموعة من قصائد سنة واحدة هى ١٩٧٣ -باستثناء قبة الصخرة- كذلك تجمعت لدىّ مجموعة شعرية ثانية من قصائد ١٩٧٤ وسيكون عنوانها «يغير ألوانَهُ البحرُ» وبدأت الآن مجموعة ثالثة من قصائد ١٩٧٥ وآمل أن أقدم هذه المجموعات للطبع بحسب تسلسلها الزمنىّ.

* * *

وأول ما أحبّ أن أتحدث عنه فى هذه المقدمة عنوان المجموعة «للصلاة والثورة». فهو يمثل فى نظرى جانبى الإنسان الكامل فى هذا العصر. أما «الصلاة» فهى رمز الجانب الروحىّ فينا، هى الورود التى تنبت فى النفس الإنسانية من أثر اتصالها بالمنابع الأزلية الجميلة، منابع اللّه، وهى تشمل كل ما لاتفسير له من حياة الإنسان الغامض الممعن فى الغموض، كالأحلام التى تكشف لنا أحيانًا المستقبل كشفًا لايمكن تعليله علميًا، ومثل انكشاف الغيب للإنسان فى لحظات التجلّى والكثافة الروحية، ومثل أثر الصلاة والدعاء فى تحقيق رغباتنا، ومثل الإحساس الغامض فى القلب الإنسانىّ بأن الموت ليس فناء وإنما وراءه حياة لابدّ منها، وسوى هذا من غيبيات لايمكن تعليلها

بالمحسوس. هذا كله عن (الصلاة). أمـا «الثورة»، الجانب الثانى من العنوان، فهى عندى رفض الإنـسان المكتمل لكل زيف وفـساد وعـبودية وشر وطغـيان وقـبح وظلم فى الحيـاة الإنسـانية. والـثورة مـرتبطة أشـد الارتباط بالصـلاة فالإنسان الذى يصلّى للّه صلاة كاملة الأبعاد، شاسعة التطلعات، هو الإنسان الذى يعرف الرفض الحق والثورة على كل ما يهـين كمال الإنسانية. لا بل إن الصلاة عندى هى نفسها الثورة وقد عبرت عن هذا بالنص:-

متى نصلّى؟ إنما صلاتنا انفجارْ
صلاتنا ستطلع النهارْ
تسلّح العزّل، تعلى راية الثوارْ
صلاتنا ستشعل الإعصار
ستزرع السلاح والزنبق فى القِفَار
تحوّل اليأسَ إلى انتصار
صلاتنا ستنقل الجدبَ إلى اخضرار
وتُطعم الصغار
فاكهةَ الصمود والإصرار
يا قبةَ الصخرةِ من صلاتنا سيرتوى آذارْ
وتنبت الراياتَ والثمار
وتبعث الغناءَ، والليمونَ، والأحرار
تعيدُنا للوطنِ المسروقِ، تمحو العارْ

فـالصلاة هنا مـعادل حىّ لـلقيم الثـورية، والقـيم الجمـالية، والقـيم الإنسانية، وهى تربية للروح والجسم، وإكمال لإنسانية الإنسان. ولهذا سميت هذه المجموعة «للصلاة والثورة» داعـية الإنسان العربى إلى أن يرتفع بالجناحين الاثنين جناح الروح، وجناح القتال. وهما الجناحان اللذان سلح بهما الإسلام

هذا الإنسان فى كل زمان ومكان ليرتفع إلى أعلى ذرى إنسانيته فيدرك أبعاد الروح، ويحقق حريته وحرية أمته، ويمتلك الأرض التى استخلفه الله عليها.

وهذان الجناحان يرتبطان ارتباطًا وثيقًا فى شعر هذه المجموعة ويعبر عن ذلك قولى:

ينتصر الإنسانْ
يرتفع الأذانْ

فانتصار العربىّ على الظلم فى فلسطين هو المعادل القتالى لارتفاع الأذان من قبة الصخرة. ولا يمكن أن تتم انتصارات الإنسانية دون أن تكتمل الروح التى كان ارتفاع الأذان رمزاً لها. وهذه هى الفكرة الأساسية التى قامت عليها هذه المجموعة.

وفيما يتعلق بالقصائد السياسية أحب أن أشير إلى أنها كلها منظومة قبل حرب رمضان (تشرين أو أكتوبر) ١٩٧٣ باستثناء (سبت التحرير) التى نظمتها لحرب رمضان نفسها، وباستثناء قصيدة «عن السلام والعدل» التى عجبت فيها من حديث الأمم المتحدة عما تسميه بسلام عادل دائم مع وجود إسرائيل الجسم الغريب المعتدى فى أرضنا. فهل نسالم اللصّ السفاحَ الذى يقتلنا كل يوم؟ هل نسالم ذلك الذى يبقى شعب فلسطين مشرداً فى الخيام؟ إن السلام والعدل يتناقضان أصلاً مع مجرد وجود إسرائيل فى فلسطين، ولا سلام ولا عدل إذن حتى تزول هذه الدويلة الباغية.

ومع أن ظروفنا قد تغّيرت بعد حرب رمضان، إلا أن الآلام التى صورتها فى القصائد الوطنية ما زالت تجرّحنا فهل من الغريب أن أقول مثلاً:

جنوب لبنان قرىً مروّعه.
أوصالها مقطعه

سكانها إلى القبور جثث مشيّعه
بيوتهم خرائب منثورة، أعمدة مخلّعه
حرائق مندلعه

لا بل إن الفكرة الأساسية فى قصيدة «عناوين وإعلانات فى جريدة عربية» ما زالت واردة حيث نحن فى الوطن العربىّ ما زلنا نهزل ونغنى ونرقص فى حين تراق دماؤنا وتقطع أوصالنا وترمى جثثنا من شبابيك المبانى الصهيونية ونحن ساكتون لا نحتجّ.

ولقد يرد هنا السؤال المشاكس الذى ما زال أنصار نظرية «الفن للفن» يرفعونه فى وجوهنا نحن أنصار الشعر الملتزم. فالذى يلوح لهم أن كل التزام فى الشعر يوثق الرابطة بين الشعر والتاريخ. فى حين أن التاريخ كيان متحوّل، لاثبات له. التاريخ ظلال تأتى مع الشمس وتزول مع النهار. والفنّ يبحث للإنسان عن الثبات والبقاء. فالالتزام فى القصيدة- إذا أردت أن أعبر بلغتى عن فكرة المشاكسين- طعنة موجهة إلى ديمومتها وثبوتها وحياة الخلود التى تتطلع إلى أن تحياها. الالتزام على هذا فكرة مناقضة للدوام.

وأقول جوابًا على هذا الاحتجاج: إن الشعر يمثل نقطة ذات ثلاثة أبعاد وبعدها الرابع هو عواطفنا نحن القراء فى عصرٍ ما. إننى حقًا قد وقفت فى هذا الشعر السياسىّ عند أشخاص زالوا من المسرح السياسىّ مثل غولدا مايير وكانت رئيسة وزراء إسرائيل المزعومة عام ١٩٧٣ فجاء مكانها الآن إسحق رابين، ومثل نكسن وكان رئيس الولايات المتحدة وجاء مكانه الآن فورد فهل سقطت بذلك قصيدتى «عناوين وإعلانات فى جريدة عربية» لأن اسمى غولدا ونكسن قد جاءا فى العناوين البارزة للجريدة؟ إن الزمن قد تجاوز هذين الاسمين، ولكن هل يمحى حقًا كل ما كان فى نفوسنا من قبل؟ هذا ما لا أوافق عليه. إنّ كل ما كان إنما هو كائن وباقٍ فى أبعادنا الداخلية العميقة

الأغوار وإن مسحتْهُ سجلات التاريخ. والزمن المحدد بأبعاد ثلاثة لا يزول ولا يختفي وفي وسعنا أن نعود إليه فنجده في أعماقنا لم يتغير. ماذا قال الشاعر الفرنسي بول جيرالدي من قصيدة جميلة له عنوانها «ستيريو سكوب» قال يخاطب حبيبته:- (إن ذاكرتي أكثر أمانة من السجلات فأبعديها عني. إن سجلاتك تجرد الماضي السحري من عطره ولونه وموسيقاه) ثم يقول: «إن التذكار شاعر فلا تجعلي منه مؤرخًا» وهذا يعني أن عواطفنا وذكرياتنا، نحن الذين كرهنا سلوك غولدا ونكسن عام ١٩٧٣، باقية ولها طعمها المرّ في شفاهنا مهما تبدّلت سجلات التاريخ. والتذكار شاعر لأنه يحمل إلينا طعم أحاسيسنا فإذا جردناه من شاعريته وصيّرناه مؤرّخًا جامدًا ليسجّل الأحداث ولا ينقل موسيقاها فبذلك نجرّد القصيدة من شعريّتها. ومعنى هذا أن ديمومة القصيدة لا تأتي من التاريخ وإنما من نفوسنا نحن الذين عايشنا هذا التاريخ. ولهذا فإن امّحاء الأسماء التي رافقت فترة من عمر ذكرياتنا لا يبدّل طعم القصيدة النابع من خفايا النفس الإنسانية وماضيها الراسخ في عقلها الباطن لا يتحول.

يبقى أن نسأل: ماذا سيعني هذا الشعر السياسيّ لمن يأتون بعد مائة عام ويجهلون أحداث ١٩٧٣ التي عشناها نحن؟ وهنا يجب أن نتذكر أننا نحن كلنا لن نعني شيئًا عندهم. إننا سنكون قد حملنا مع أعاصير الزمن إلى غير رجعة. ولم يبق من شعرنا إلا ما يمكن أن يتذوقه إنسان مجرّدٌ من التأريخ أصلاً: وهو شعر الحبّ والبغض والجمال والفكر والفلسفة وأمثالها مما يقتصر عليه اهتمام أنصار الفنّ للفن.

والسؤال عند هذا هو: هل ينبغي أن نطمس أحاسيسنا اليوم من أجل أن يتذوق قصائدنا حفيد شاعر سيعيش عام ٢٠٧٥؟ هل نترك دماءنا تراق وجثثنا ترمى من شبابيك الطابق الرابع من المباني الصهيونيّة دون أن نصوّرها في

شعرنا لمجرد أن نرضى هـذا الحفيد الذى يعيش أبعاداً ثلاثة أخـرى غير أبعادنا الثلاثة؟ الجـواب لا. إن ذلك سيكون منا انتحاراً. لا بل إن سكوتنا قـد يقتل هذا الحفيد ويحرمه فرصة يولد فيها فنحن نقاتل بشعرنا وقوافينا من أجله.

كذلك يمكن أن يقـال: إن الصورة البغـيضة لغـولدا ونكسن يمكن أن يسلط عليـها حفـيدنا شـاعر ٢٠٧٥ أضواء حـمراء تشـخصهـا فى جرائمـها وأعمالهـا المنكرة فتنبثق القصـيدة حيَّة حارة كـما انبثقت مدينة (كـامبرى) من كوب الشاى فى قـصة مارسيل بروست. والصـفة العظيمة للتـاريخ الممتدّ فى داخل الحياة الإنسانية أنه سـاكن فقط وليس ميتًا. فهو قابل لأن يقـفز ويتهجر بمجرد أن نسلّط عليه الضياء. والقصيـدة الحية تديم التاريخ بكل أبعاده وتعطيه الخلود. وهذا حل المشكلة الفكرية المثيرة التى يبقى أنصار (الفن للفن) يثيرونها فى أوجهنا نحن الملتزمين.

وأحب أن أقف دقائق عند مسألة الشعـر الحرّ، ولسوف يجد القارئ أن كلَّ قصائد هذه المجموعة شعراً حرّاً عدا قصيدة واحدة يتيمة هى «الخروج من المتاهة» فهى من شعر الشطرين الخلـيلىّ. وهذا الموقف قد يتعارض مع دعوتى المعـروفة إلى أن يُـبقى الشاعـر على الشكلين مـعًا: الشكل القـديم والشكل الحديث. والواقع أنـنى بتّ أكثر تمسّكًا بـآرائى المتطرفة التى وردت فى كـتابى «قضايا الشـعر المعاصر» فى الفصل المعنون «الجذور الاجـتماعية لحركـة الشعر الحرّ». فـإن طراز تفكيرنا اليوم يبتـعد عن فكرة النموذج المحـدد الثابت الذى يمثله شعر الشطرين كما ينأى عن فكرة التناظر الهندسية الصارمة مما ألفناه فى شعـرنا القديم طوال العـصور السـابقة. وإنما هذه فيـنا اليوم لفتـة مزاجـية، والإنسان مـيال إلى التغيـير والتبديل بطبـعه. فهو فى كل مـرحلة من مراحل حضارته يستبدل طرائق البناء والزينة والديكوات، ويغير أشكال السجّاد وطراز أثاث البيـوت. والشعر الحـرّ، بأشطره المتفاوتة الطول، الثـائرة على الوحدة

الثابتة والـنموذج المقنن، وبمساعدته على الاسـترسال وطول العبـارة، يساعدنا اليوم فى الانطلاق من قيـود الشكلية الصارمة التى ننفر منهـا فى مبانينا وطراز مـدننا. إننا نجنح إلى عـدم التـقيّـد، وإلى التـمـرّد على النمـاذج الصارمـة المتحكمة، وهذا هو السـرّ فى إقبالنا على الشعر الحرّ، ومحـاولتنا التهرب من الثبات والنموذجية فى شكل الشطرين.

وليس معنى أحكامى هذه أن أحد الشـكلين: القديم أو الجديد خلو من الجمـاليّـة فى ذاته، أو مقـترن بالشناعـة والجمـود فى ذاته، لأن إقبـالنا على أحدهمـا وفتـورنا إزاء الآخر ليس إلاّ لفـتة مـزاجيّـة عارضة. وقـد يأتى فى المستقـبل زمان نعود فيـه فنرى الجمال كل الجمال فى فكرة الـنموذج الثابت. ذلك أن الإنسانية لاتثـبت على لفتة ذوقية أبدًا. وكل ناقد مـوضوعىّ رصين، يملك نظرة ذات أربعة أبعاد لابد أن ينتهى إلى حكم معتدل مضمونه أن إقبالنا اليوم على الشعر الحرّ لايعنى أن الشكل المقـيَّد قد مات إلى الأبد، لأن لفتات الذوق تتبدل تبدلاً محـتومًا من عصر إلى عصر وكثيـرًا ما تنتقل الإنسانية من جهة إلى عكسها مع انصـرام الزمن. وفى هذا التنقل تنشيط للنفس الإنسانية، وتجديد لحـياتها، كـما أن فيـه تعميـقًا للملامح الحـضارية وتنويعًا لوجـوهها وطرائقها وأشكالها.

وأما تزمت المتزمتين من أنصار الشطرين وتمسكهم بما لديهم وتعصّبهم له وظنهم أنه الدائم الأوحـد، وأما تطرّف المتطرفين من أنصـار الشعر الحـرّ وما يذهبـون إليه من أنه سـيكتسح الشكـل القديم ويحلّ مـحله إلى الأبد، فكلا هذين الموقفـين يصدر عن نظرة محـدودة بالمكان والزمان والظروف، ينقصـها البعد الرابع الذى قـرره عبقرىّ الرياضيّات أينشـتاين. كل هذا أقوله مع أننى، منذ ثلاث سنوات كاملة، ملتصقة أشد الالتصـاق بالشعر الحر، غير راغبة فى تخطيـه والعودة إلى شىء من الشطريـن. مع أن هذا يؤلمنى لأنه قد يظهـرنى

بمظهر الخارجة على دعوتى إلى ضرورة استعمال الشكلين معًا. ولعلى سأستطيع العودة إلى شكل الشطرين فى المستقبل مع تطورات العصر وتنوع أمزجته. أقول «لعلى» ولايدرى أحد كيف سيتطور مزاجنا، وكيف ستتشكل لمسات إحساسنا بالأشياء وتعاملنا مع الأشكال. ومعنى قولى هذا أن ظروف العصر المدنية تؤثر فى تكويننا الذوقىّ تأثيراً غير واعٍ. إن طراز المبانى فى شوارعنا الحديثة، وتخطيط مدننا، وتنسيق الغرف التى نعيش فيها تؤثر فى لفتات اختياراتنا الأدبية. ولذلك أعتقد أن إقبالنا على الشعر الحرّ اليوم مفروض علينا نفسيًا من العصر كله فلا حيلة لنا فيه. إننا مجبرون على هذا لمجرد أننا نعيش بين هذه المبانى، ونرى هذه اللوحات والصور، ونخطو فى هذه الشوارع. والأمران مرتبطان أشدّ الارتباط.

ومهما يكن من أمر فإن الشكلين القديم والحديث محدودان اليوم بظروف عارضة تعرقل تقدمهما، وتجعل الفئة المناهضة لكل منهما تسىء الحكم عليه. أما شكل الشطرين فإن كثيراً من نماذجه يقف الآن موقفًا متزمتًا رجعيًا يجعلنا نزيد نفوراً منه، فليس مجرد الشكل فيه هو الذى يتعارض مع مزاجنا العصرىّ، وإنما يستثيرنا أيضًا أن لغته تقليدية -فى أغلب الأحيان- وصوره بالية، وأسلوب صياغته ميّت. ويهمنى أن ألحّ هنا على أن الجمود والرجعيّة ليستا صفتين كامنتين فى شكل الشطرين مرتبطتين به ارتباطًا محتومًا، وإنما هما من الملامح العارضة التى يلقيها عليه شعراء جامدون ينظمون هذا الشعر. أو لنقل إن شكل الشطرين ليس باليًا فى ذاته، وإنما أذهان بعض شعرائه -لا كلّهم- هى البالية. ولابدّ لنا أن نؤكد هنا أيضًا أن هذه الشكلية البالية يمكن أن تعشش فى الشعر الحرّ أيضًا لو وجد الشاعر البالى التفكير. ومن شعراء الشكل الجديد اليوم من يأتوننا بقصائد مستهلكة اللغة، بالية الأساليب. وهذه الحقيقة ينبغى أن تشجع شاعر الشطرين وتجعله يفتح قلبه للحياة فيأتينا بشعر

خليليّ عصريّ جديد تجرى فى عروقه دماء حارّة حيَّة فيها فورة هذا العصر وألفاظه وموسيقاه وصوره ورموزه. وإلا فأنا أخشى أن يموت شعر الشطرين -ولو موتًا مؤقتًا- وذلك أمرٌ خطير يعزّ علينا. والمسألة هى ألا ينظم الشعر المعاصر بلغة ابن الفارض والبهاء زهير لأن ذلك سيكون شططًا لاقدرة لنا على استساغته. وإنما على الشاعر الحديث أن يعبّر بلغة عصره وإلاّ ولد شعره ميتًا. ولقد كان شعر ابن الفارض جميلاً وشدّ إعجابنا لأنه عبر بلغة عصره وتخطاها بالإبداع، فلنكتب مثله بألفاظ معاصرينا ونكف عن التلّفت إلى وراء. وأقول أخيرًا، إن بين شعراء الشطرين اليوم جماعة ينظمونه حديثًا معاصرًا وهؤلاء نستثنيهم مما قلنا وإنما قصدنا شعراء التكرار البالى والتعابير السقيمة.

أما الظروف التى تعرقل مسيرة الشعر الحرّ -وهو لايخلو من مثلها شأنه فى ذلك شأن شعر الشطرين- فهى استهانة بعض شعرائه بالعروض واحتقارهم له، مع ازدرائهم للغة العربية وقواعدها، وتحقيرهم العامد للتراث، ومحاولة الإغراب وإثارة الدهشة على حساب العقل الإنسانيّ. ومن أبرز هذه الظروف المعرقلة ما أسميّه بالتعمية -ولا أقول الغموض لأنّ الغموض ستار جميل فنىّ يشفّ ولايحجب، فى حين أن التعمية مأخذ فنىّ وعيب ينتقص القيمة الجمالية للقصيدة- وكل هذه المعايب لاتنبع من شكل الوزن الحرّ وليست ملازمة له. ذلك أنها كلها يمكن أن ترتكب فى شعر الشطرين أيضًا لو وجد الشاعر. ولذلك فإن حملات المتزمتين على كثير من الشعر الحرّ تلقى الوزر على شكل هذا الشعر فى حين أنّ الضعف كامن لدى بعض شعرائه لا فى الشكل نفسه. إن الشعر الحرّ شكل جميل مكتمل وهو غير مسئول عن ضعف طائفة من شعرائه وجهلهم وإغرابهم. تمامًا كما أن شكل الشطرين جميل فى ذاته وهو غير مسئول عن تقليدية الذين ينظمونه وجمودهم. ولذلك أؤمل أن يكون رأيى هذا دعوة فعليّة إلى الفصل بين (الشكل) المجرّد وعيوب الشعر الذى ينظم فى إطار هذا الشكل.

إن الشكل -بصفته المطلقة- صيغة جمالية مبرّأة من العيوب، سواءٌ أكان حرًا أو خليليًا. وإنما تأتى العيـوب منا نحن الشعراء. هذا مع الاتفاق على أن لكل عصر لفـتة مزاجيّة قد تجـعله يؤثر شكلاً من الأشكال على سواه. وهذه اللفتة -كما قلنا- ترتبط بسمة العـصر الحضاريّة وليست مجرّد نزوة طارئة فى نفوس الشعراء كما قد يظن ذوو النظرة العجلى السطحية من النقاد.

* * *

ثم أحب أن أقف عند قصيدتين فى هذه المجموعة هما (الملكة والبستان) و(سبت التحـرير) وسيلاحظ القارئ الذى يتـحسس الوزن أنهما غـريبتان فى شكلهما العـروضىّ. والحقيقة أنهـما كلتيهـما (بند) وليستا من الشـعر الحرّ. والبند ضـرب من الشعـر شاع فى الرسـائل الإخوانيـة فى العراق منذ الـقرن الحادى عشر الهجرىّ. ولعله لم يحاول شاعر قبلى أن يحوّله إلى شعر خالص يخرج عن إطار الشعر الإخوانىّ، ورتابة موضـوعاته وجمود صوره، وتقليدية أفكاره. وقد اجتذبنى هذا اللون من الشـعر الحرّ، الذى تتعدد أطوال أشطره، اجتـذابًا شديدًا وتساءلتُ لماذا لم يحـاول شاعر معـاصر أن ينظم منه قصـيدة حديثة، فـهو وزن حرّ اعتـيادىّ طبيعىّ، وإن كـانت فيه صعوبـة. لأنّه -كما أثبتّ بالدليل القاطع فـى كتابى قضـايا الشعر المعـاصر- يقوم فى كل قصـيدة بنديّة على وزنين اثنين هما الرمل والهزج. يستعمل الشاعر من الرمل ضربين همـا (فـاعلاتـن) و(فاعـلاتان) فـإذا اسـتـعمـل الأول بقى على وزن الرمل لايتخطاه. حتى إذا جاء فجأة بشطر ضربه (فاعلاتان) انتقل حالاً إلى الهزج. والشاعـر يستـعمل من الهزج ضـربين أيضًا همـا (مفاعـيل) و(فعـولن) فإذا استعمل الأول بقى على وزن الهزج ولـم يتجاوزه. وهو لايتخطاه إلا إذا جاء فجأة بشطر هزجى ضربه (فعولن) فإذ ذاك يعود حالاً إلى الرمل.

وهذا التنسيق قد يبدو صعبًا لمن لم يمارس نظم البند. ولكنه حين يمضى فيه سيجده سهلاً جذابًا خاصة لأن وراء هذا الشكل منطقًا موسيقيًا دقيقًا. فإن الشاعر لاينتقل من الرمل إلى الهزج إلا لأن (فاعلاتان) التى جاءت ضربًا للرمل تأتى بالمقطع (علاتان) المساوى للتفعيلة (مفاعيلْ) تفعيلة الهزج. أما كيف تتمّ النقلة من الهزج إلى الرمل فبورود ضرب الهزج (فعولن) الذى هو الجزء الأول من (فعولن فا) المساوية فى حركاتها وسكناتها للتفعيلة (مفاعيلن) نفسها فكأن الشاعر لم ينتقل من الهزج أصلاً مع إنه انتقل. إن الموسيقية العذبة الجميلة فى هذا الوزن قائمة على هندسية دقيقة تجعل السمع يقبلها قبولاً تامًا. لذلك يتم الانتقال دون أن يقصد الشاعر. أو أن الشاعر ينتقل -إن كان لايعرف العروض- بالسليقة دون أن يلاحظ أنه انتقل. وتلك، فى نظرى، هى الطريقة التى نشأ فيها البند أول مرّة، فلا أظن الشاعر جلس وقنن ونسّق ورتّب للانتقال من وزن إلى وزن وإنما تمّ ذلك بفطرة موسيقية موهوبة، كما نشأ الشعر كله فى الحياة الإنسانية.

وسآتى بمثل على البند من قصيدة (الملكة والبستان) فى هذه المجموعة وهذا أولها مع تفعيلات كل شطر:

أرضهُ تبرٌ وأسرارْ

فاعلاتن فاعلاتان (رَمَل)

وفيه تثمر النار

مفاعيلن مفاعيلْ (هزج)

سيولاً من تسابيح وليمون وأسلحة وثوّارْ

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعلتن مفاعيل (هزج)

وفيه يدفق الضوء إلى قلب العناقيدْ

مفاعيلن مفاعيلُ مفاعيلن مفاعيلْ (هزج)

وتخضلّ المواعيد

مفاعيلن مفاعيل (هزج)

تدوس الريح إذ تعبر في المرج سجاجيدْ

مفاعيلن مفاعيلُ مفاعيلُ مفاعيلْ

من العشب الطريٍّ

مفاعيلن فعولن (هزج)

إنه بستان نوّار وزيتون شذيٍّ

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن (رمل)

في ثراه القمريٍّ

فاعلاتن فعلاتن (رمل)

ولابدّ لى أن أنّبه إلى أننى وقعتُ فى استعمال (مفاعلتن) تفعيلة مجزوء الوافر فى الشطر الثالث. وهذا يعتبر خطأً عروضيًا لمجرَّد ورود مفاعيلُ -بضمّ اللام- المكفوفة فإنها تفعيلـة هزجية لأن الكفّ لايرد فى مجزوء الوافر. أقول هذا وأعتبره خطأً مع أن القـدماء من شعرائنا قد وقعوا فيـه قبلى مثل السراج الورّاق، كما وقع فيه الشعراء المعاصرون أيضًا. وليس فيه ضير كبير فى نظرى ولذلك استعملته فى كل قصائد البند التى نظمتها ففيها ترد التفعيلة (مفاعلتن) الوافريّة، مع الكفّ الذى هو ظاهرة هزجيّة خـالصة. كذلك يجب أن أعترف بأن شعراء البند القدماء لم يأتوا بتفعيلة الوافر فى سياق البند -فيما أعلم- فإن بنودهم كانت كلهـا من الهزج والرمل، أو من الهزج وحده أحـيانًا، فى حين جاء بندى أنا أحيانًا من مجزوء الوافر والرمل وهذه إضافة أضفتها أنا إلى البند وأرجو أن تكون مـستـساغة. وسـبب استسـاغتـها أن تفعـيلة مجـزوء الوافر (مفاعلتن) يصيبها العصب فتتحول إلى (مفاعيلن) تفعيلة الهزج نفسها. ونحن العروضيّين لانسـتطيع التمييز بين مجزوء الوافـر المعصوب، والهزج إلا بشيء

واحد هو أن الكفّ -وهو حذف السابع من مفاعيلن- يدخل الهزج ولايدخل مجزوء الوافر المعصوب. ومن ثم فـأنا عندما أنظم بندًا من مجزوء الوافر -مع ورود تفعيلة أو تـفعيلتين مكفوفـتين- فلست أرتكب شططًا وهذا ما احـتملته حتى أسماع القدماء من شعرائنا أحيانًا.

ومهمـا يكن فإن محاولاتى فى إدخـال البند إلى شعرنا الحـديث مجرد احتمال أطرحه فى ساحة هذا الشعر، فإذا وجد الشـعراء فيه موسيقية وجمالاً فليستعـملوه. إنه يفتح لنا مجالات جديدة فى الشعـر الحرّ. ولمن شاء التوسع فى دراسة البند أن يرجع إلى كتابى (قضايا الشعر المعاصر) حيث درست خطة وزنه بتفصـيلٍ كاف يساعد الشاعر الذى يـحبّ أن يجرّب قلمه فى هذا اللون المتفرّد.

ولابدّ لى أن أشير فى هذه العـجالة إلى أن لشكل البند -مثل كل شكل شعرىّ- تأثيراً أكيدًا فى مضمون القصيدة التى يحتويها، فليس استعمال وزنين مجرد غواية عابثة وقعتُ فيـها. وإنما اخترتُ لوزن البند -فى هذه المجموعة- قصـيدتين انتـفعتـا بشكله. ولا أريد الآن أن أكشف الأسرار التـعبـيريّة التى يضمُّها هذا الشكل، وإنما أكتفى بطرح الموضوع الذى سيجابهه الجمهور العربىّ أول مرة. تاركة التقنـين والتحليل إلى فرصة أخرى، ومرجـئة دراسة تأثيرات شكل البند فى مـضمون القصـيدة إلى المستـقبل لأنّ شكلاً مـا ينبغى أن يشقّ طريقه أولاً بموسيقاه وبمعزل عن تحليلات الشاعر له وتقنيناته.

وأقول إن الجمهـور العربىّ سيجابه البند أول مـرّة، لأننا قبل اليوم ألفنا أن نعتبره كما عبّر الناقد عبدالجبار داود البصرىّ (ظاهرة دواوينية ميّتة) والأدباء كلهم لايرون أملاً فـى أن نبدع شعـرًا معاصـراً من هذا الشكل «البالى» كـما يظنونه. وأنا -كما سبق أن قلت- لا أجـد ارتباطًا بين الشكل والتقليدية وهذه مسألة نقدية أؤمن بها أعمق الإيمان. لذلك حاولت تحويل (البند) إلى قصيدة

حديثة. وكل ما أرجوه أن يكتب النجاح لمحاولتي فنضفي على هذا الشكل الجميل روحًا حديثًا ولعله أن يستعمله في المستقبل شعراء أحدث مني فيعطوه من الجدّة مقدارًا قد لا أكون حققته أنا. وكل بداية قد تتصف بالوهن. هذه هي الصفة العامة لكل البدايات على العموم إلا إذا شاء اللّه غير ذلك، وحقق شاعرٌ الكمال منذ البداية.

* * *

أحبّ أن أقف كذلك عند الوزن الغريب الذي كانت منه قصيدتي «أغنية للصغيرة دالية»، ودالية هي طفلة صديقنا الشاعر الدكتور عبده بدوي، وحكاية هذا الوزن أنني كنت أكتب رسالة إلى عبده فذكرتُ فيها طفلته (دالية) وسألت اللّه أن يجعلها كما قلت نصًا «خضراء برّاقة مغدقة». وعندما انتهيت من كتابة الرسالة وراجعتها لفتت نظري هذه الكلمات الثلاث لأنّها رنّت في سمعي موزونة على «مستفعلن فاعلن فاعلن» ومع أن هذا وزن غير مستعمل سابقًا في الشعر العربيّ فقد لاح لي موسيقيًا إلى درجة مقبولة. ولذلك أمسكت بالقلم فورًا ورحت ألعب بالوزن في تحية للطفلة (دالية) أكملت بها الشطر الأول الموزون الذي جاء عرضًا دون أن أزنه عامدة فكتبتُ:

خضراء براقة مغدقَهْ ... كأنها فلقة الفستقَهْ

شفاهها شفق أحمر ... كم حاول الورد أن يسرقه

الشعر سبحان من لمّه ... والصوت سبحان من رقّقه

وسرعان ما اكتملت القصيدة. وليس من عادتي أن أثبت شعر الإخوانيات في مجموعاتي الشعريّة. ولكني في هذه الحالة معنيّة بالوزن الجديد الذي اخترعته دون أن أتعمد الموسقة. وقد راق الوزن للصديق الشاعر عبده بدوي فردّ على قصيدتي في رسالته الجوابية المؤرخة ٣٠/١٢/١٩٧٣م بأبيات عارضها بها وتغنى بطفلته ومنها قوله:

كانـــت وراء المـــــــنى وردة　　وفى ضمير السنا سقسقــه
وحـــين زفّـــت شـــدا نورهـا　　فهـــزّ أيامــــى المطرقــه
حـتى إذا كـان مــــنها الشـــذى　　والخطو والبسمــة المورقــه
والكـــرم فــى لثغـــة عذبـــة　　والطير فى أحـرف مطبقــه
هـــزّت مـــن الشـــعر ينبوعـه　　ومن رفيـف السنا أعمقـــه

وقد رأيت أن أطرح هذا الوزن على الجمهور الأدبى، كما قد تطرح كل تجربة فى الوزن، لعلّ فـيها مـاينفع فإذا كـانت غثاء ذهبت جـفاء ولن نأسف عليها. أما إذا شاء شعراء آخرون أن يستعملوا الوزن فسنكون قد أضفنا جديدًا ما إلى أوزاننا فى هذا العـصر، وسأسمى هذا الوزن «الموفـور» لوفور أوتاده، مثل الوافر، جريًا على طريقة المقنن الأول الكبير الخليل.

* * *

ومما أحب أن أشـيـر إليه أيضًـا أننى كنت فى عـام ١٩٥٣ قـد نظمت قصيدة فى ثلاث أغـانٍ سميتها «ثلاث مراثٍ لأمي» وقـد نشرتها مجلة الآداب إذ ذاك ودخلت فيما بعد فى مجموعتى «قرارة الموجة» وفى سنة١٩٥٧ نظمت قصـيدتى المعـروفة «خـمس أغانٍ للألم» ونـشرتها مـجلة الآداب أيضًـا وقد ترجمت هذه القـصيدة إلى لغـات أوربية مخـتلفة. وراقت فكرة نظم قصـيدة موحدة فى أكثر من أغنية واحدة للشعراء فـاستعملوها كثيرًا ونظموا أربع أغانٍ وستًا وعـشرًا ونحو ذلك. وقد بقـيت منذ ذلك الحين أتمنى لو اختـرعنا اسمًا لهذا الصنف من القصائد، واهـتديت الآن إلى أن نقول بدلاً من «ثلاث أغان» مثـلاً «ثلاثية» وبدلاً من خـمس أغانٍ «خـماسـيّة». ومضـيتُ فى تنفـيذ هذا فأطلقتُ على قـصيدتى فى هذه المجـموعة «ثلاثيـة فى زمن الفراق» وهى فى الواقع ثلاث أغان نظمتـها خلال فترة فراق. وأنا أرى أن هذه التسـمية أفضل

من ذكر عـدد الأغانى ويمكن الوصـول بها إلى أى عدد فنقـول: «سباعـية» و«تساعية و«عشارية» و«اثناعشريّة» على الصيغ العربية. ومن حق اللغة والشعر علينا أن نحـاول دائمًا وضع تسـميـات للأنماط الجـديدة ننمى بها لغـتنا إنماءً معاصراً نضيف به جـديداً إليها ونسهل على أنفسنا مهمة الـتعبير عن الأشكال الحديثة التى لم يعرفها أسلافنا.

وبعد فهـذه قضايا شعـرية أثارتها فى ذهنى مجمـوعتى هذه وهى على وشك أن تلقى القـرّاء. وقد ألفتُ ألاّ تطبع مـجمـوعة لى إلا بعـد أن أكون تخطيتـها بما فيها من قـيم شعرية بمجمْوعة تالية لها تبـدو لى أكمل وأحبّ. وهذا قَدَرى ومصـيرى. فكل مجموعـاتى السابقة بلا استـثناء قد عانت هذا. وهو أمر فلسفـتُهُ فى مقدمة الطبعـة الثالثة لمجموعتى (قـرارة الموجة) الصادرة بالقـاهرة عام ١٩٦٨ -والواقع أن إنسـانة جديدة قد ولـدت فىً عام١٩٧٤ لا أدرى ما أسميها الرابعة أو الخامسة أو العاشرة. وستولد بعدها أخرى وأخرى، وأنا ذاهبة للقـاء شاعرة جديـدة تنبع من خفايا المسـتقبل وتحلّ محلّ الشـاعرة القديمـة فى نفسى. وهو الحـدث الذى يتكرر بلا انتهـاء لأن حياتى صـيرورة مستمرّة لاتوقف لها.

نازك الملائكة

الكويت في
١٠ ربيع الآخر ١٣٩٥هـ
٢١ نيسان ١٩٧٥م

سوسنة اسمها القدس

إذا ما عويلُ رياح المنايا
غداً مرّ يمحو صدى عُمْرِنا
وصيّرنا الموتُ مائدة الدود،
واستنبتَ العوسجَ المتشعّب في شفتينا وفي شعرنا
وسافر طوفانُهُ في شواطئنا الخُضْر
غَلْغَلَ مسراه في جُزْرنا
إذا نحن مُتْنا وحاسبنا اللّهُ:
قال: ألم أعطكم موطنا؟
أما كنتُ رقرقتُ فيه المياهَ مرَايا؟
وحلّيتهُ بالكواكب؟ زيّنتُهُ بالصبايا؟
وعرّشتُ فيه العناقيدَ، بعثرتُ فيه الثمرْ؟
ولوّنتُ حتى الحَجَرْ؟
أما كنتُ أنهضتُ فيه الذُرَى والجبالْ؟
فرشت الظلالْ؟
وغلّفتُ وديانَهُ بالشَّجَرْ؟
أما كنتُ فجّرتُ فيه الينابيع، كَلّلتهُ سوسنا؟
سكبتُ التألّق والإخضرار على المنحنى؟

جعلتُ الثرى عابقاً ليّنا؟
أما كنتُ ضوأتُ بالأنجم المُنحَدَرْ؟
وفى ظلمات لياليكمو، أما قد زرعتُ القَمرْ؟
فماذا صَنَعْتم به؟ بالروابى؟ بذاك الجَنَى؟
بما فيه من سكَرٍ وسنا؟

سيسألنا اللّهُ يوماً، فماذا نقولْ؟
نعم! قـد مُـنحنا الذُرَى والسـواقـى ومـجـدَ
التلولْ
وهُدْب النجوم، وشعر الحقولْ
ولكنّنا لـم نَصنُها
ولم ندفع الريحَ والموتَ عنها
فباتت كزنبقة فى هدير السيولْ
نعم! ودفعنا بأقمارها للأفولْ
وقامر جُهَّالنا بالضحـى،
بالربى،
بالسهولْ
بسوسنة اسمها القُدْسُ، نامتْ على ساقيه
إلى جانبِ الرابيه
وفوق ثراها انحنتْ داليه

وتُمْطر فيها السماءُ خُشُوعاً، تُصلّي الفصولْ
ويركعُ سُنْبلها، تتهجَّدُ فيها الحقولْ
وعبر مساجدها العنبريّة أسْرَى الرسولْ
فماذا صنعنا بوردتنا الناصعه؟

إلهي تعلم أنتَ، ماذا صَنَعْنا
بوردتنا، قد نزعنا، نزعنا
وُرَيقاتها ودلَقْنا شذاها الخجولْ
وهبنا صِباها لأذرع غولْ
لأشداق عقربة جائعه
فكيف إليها الوصولْ؟
ونخشى غداً أن يجيء الضبابُ،
وليلُ الضباب يطولْ
ويفصل ما بين أقدامنا والوصولُ
وقد تتمطّى عصور الضباب بنا، وتزولْ
كواكبُنا ثم تأتي السيولْ
وتجرفُ شتّلاتنا، وتطولْ
ظلالُ الكآبة نغرقُ في غَمَرَات الذُهُولْ
وتأتي الرياح وتمسَحُ جنتنا الضائعه

وتخبو أمانيُّنا، وامتداداتُها الشاسعه
ويطوى الذبولْ
سنابلَنَا ربِّ عفوَكَ، ماذا نقولْ
وفى عَتَبَاتك كيف تُرَى سيكون المُثُولْ؟
فأنتَ منحتَ الجناحَ الطليقَ، ونحن اخترعنا القيودْ
وهبتَ لنا القُدْسَ أنتَ، ونحنُ
دفعنا بها لليهودْ
دفعنا بها يا إلهى، نعم،
دفعنا بها لليهودْ

الكويت فى

١٢ ربيع الآخر ١٣٩٣هـ

١٤/٥/١٩٧٣م

سَهَر

حبُّكَ يا سَهَرْ
يسكنُ في الشغاف والبَصَرْ
حبُّكَ أم صلاهْ
والهةُ الخشوع؟ أم رعشةُ شوق تُشْعلُ الشفاهُ؟
أم رقصةٌ سحريّةٌ يرقُصُها غَجَرْ؟
أم أنتَ سكرُ الدموعِ عند صوفيّ يحبّ اللهُ؟
في سَهَرى تخطفُني عينان؟
أم تسرقُني إغماءةُ الألحان؟
أم يَصْرعُني وَتَرْ؟
يُضيعُني في غابة الصُّوَرْ.

حبُّكَ يا سَهَرْ
أم فرحةُ المَطَرْ؟
على الثَرى الولهانِ تحت حرقة الهجيرْ
بعد شهور ستّة من لَمسَات المطر الأخيرْ
حبُّكَ يا سَهَرْ
عطرُ زنابقٍ نديّا قد انهمر

على مسائى ناثراً فجراً من الأنغام والصُّوَرْ
وباسطاً تحت خدودى الضوءَ والحريرْ
مُضَيّعى فى سكرة العبيرْ

وأنتَ يا سَهَرْ
ضوءٌ من السماء فوق هُدْبى انتثرْ
كواكبٌ بنفسجيةٌ،
قد نعستْ فى وَهَج المياهْ
تسبيحةٌ تهمسُها مآذنٌ فى وله الصلاهْ
يا لذةً حزينةً، يا قُبْلةَ الإبَرْ

خذنى يا سَهَرْ
حبيبةً تضمُّها، تأسُرها، تُطْلقُها،
تقتل ما تشاءُ منها أنتَ يا سَهَرْ
تلمس خدَّيها شفاهاً تشرَبُ الدموعْ
وتُشْعل الشُّموعْ
فى مقلتيها بانعكاساتٍ من القَمَرْ
جوِّعْ دموعى،
أو أذقْها ثمر الضوءِ

وذوبٌ عبرها الصُّوَرْ
يا أنتَ، يا هوايَ، يا سَهَرْ

يا سهرى، يا فجرُ، يا ميلادْ
سنبلتى المُغْمَى عليها من أريج المرج والحصاد
يا مطلع الحنان من أفق العيون السودْ
تغطس فى بحور أشواقى شفاه الوتر المشدودْ
وهُدْب عينى نابتٌ فى جُزُر السُّهادْ
وليلتى رَمادْ
وفى دموعى اغتسلَتْ كلُّ جراح العودْ

أهواك يا سَهَرْ
يا لمعة القَمَرْ
فى عمق مرآة دموعى، يا رؤى النَّظَرْ
ويا اختلاجات الندى فى ورق الشَّجَرْ
أهواكَ يا ارتواءتى، يا عَطَشى
يا حُرْقةً معصورةً من ليلىَ المرتعشِ
يا فرحةَ الدمعِ، ويا قساوةَ المطر

مَن أنتَ يا سَهَرْ؟
أحضْنُ حبٍّ يحتوينا فى الدُجَى؟
أم إصبَعُ القَدَرْ؟
هل جئتَنا بخنجر الجراحْ؟
هل تسكبُ الدموع فى جرارنا، وتُتْرع
الأقداحْ؟
يا شفرَةَ الرياحْ
يا مُمْطر الأحزان والأفراحْ
لن ينفع الحَذَرْ
ونحنُ ما أسرعَ ما يصرعُنَا السَّهَرْ
سكّينُهُ يُهْدى لنا العَتْمَةَ والمصباحْ
ويمسَحُ الدماءَ عمّا
فى أغانينا من الجراحْ
واللونُ فى شفاهنا يزدادُ وهجاً
فى الدياجير ويُحْتَضَرْ

يحملنى السَهَرْ
إلى حبيبى فى أراجيح من الزَهَرْ
وحول وجهينا الحزينين السماواتُ ارتمتْ

أبعدَ مما يصلُ النَّظَرْ
تكسّرت من حولنا أشعَةُ النجومْ
وانتثرت غدائرُ الغيومْ
وامتقع القَمَرْ
ونحن ضعنا، لم نجد
لنا، لشخصيْنَا بوادي الليلِ من أَثَرْ
ولم نَزَلْ نجمين مفقودين في مجاهل السَّهَرْ

خذنيَ يا سَهَرْ
إلى حبيبي تحت نصف الضوء في السَّحَرْ
عبْرَ المسافات لنا لقاءْ
مُضَيّعين في سماوات من الضياءْ
ولا نهايات غريقاتِ المَدَى زرقاءْ
مَوْسَقَهَا القَمَرْ
خذنيَ يا سَهَرْ
إلى حبيبي واقطف القلب لهُ
تعريشةً مبهورةَ الثَمَرْ
فتحتَ عينيه أنا سأسهَرُ القَدَرْ
وأسهَرْ الزمان أطوي اللانهاياتِ

على أجنحة الوَتَرْ
وأدمعي العذبة لي رفيقةُ السَّفَرْ
وبسمة شاحبة على فمي، ودمعةٌ خرساءْ
ووردةٌ حمراءُ تحت الثلج في شتاءْ
ومنيةُ المَطَرْ
في شفة الصحراءْ

أنا ومن أحبُّ يا سَهَرْ
أرجحنا القَدَرْ
وانذرف القلبان دمعاً،
سخن الشَّوَقُ،
وساقُ الوردة انعصَرْ
ونحنُ يا سَهَرْ
طفلان مرميّانْ
طفلان سهرانانِ ضائعانْ
يلملمانِ الدمعَ والأصدافَ عند شاطئ البَحَرْ
طريقنا الساهرُ مزروعٌ بورد الحُزْنِ والحنانْ
والعود في أحضاننا انكسَرْ
تقطّعتْ أوتارُهُ، وانفرطَتْ

كلُّ المفاتيح على الحَجَرْ
تساقَطَتْ جنائزُ الحجاز والصبَّا
وانهمرتْ فى البُعْد غيمةٌ،
وانكسرتْ من حولنا الربُى
وانتثرت أقمارنا،
أعمارنا،
أشعارُنا
واللونُ فى خدودنا خَبَا
وأنتَ ما أهدى لنا القَدَرْ
يا مَطَرَ الحنانِ، يا سَهَرْ

صباحنا سَهَرْ
وليلنا سَهَرْ
ضياعُنا فى لا نهايات الهَوَى سَهَرْ
من سَهَرٍ أهدابُنا مبلولةٌ
من سَهَرٍ أنغامُنَا مقتولةٌ
والسَّهَرُ الوسنانُ فى عيوننا فَتَرْ
وانهمر المَطَرْ
واغتَسَلَ القَمَرْ

فى دمعنا، ونجمُنَا،
فيما وراء الأفُق انحَدَرْ
والغَسَقُ الوالهُ، ألقى شوقَهْ
فى البحر وانتَحَرْ
حبيبَنَا، يا قُبْلَةَ السكّينِ، يا سَهَرْ
عيونُنا باتت سريراً والهاً
فارقُدْ وعشّشْ أنتَ والقَدَرْ
قد خشع الوَتَرْ
يا طفلنا العَذْبَ وقد تهجّدَ النَّظَرْ
مختبئاً فى أدمعٍ غريقةٍ فى سُحُبِ الصُّوَرْ
نحنُ تصوّفنا هنا،
وأنت صوفىٌّ أغانينا السَّهارَى،
أنتَ يا سَهَرْ!

الكويت فى

٤ ذى الحجة ١٣٩٣هـ

٢٨/ ١٢/ ١٩٧٣م

أقوى مِنَ القَبرِ

«يوم ٥/ ٥/ ١٩٧٣ - انبعث صوت أمي مسجلاً على شريط وهي تلقي شعرها، بعد أن فقدنا صوتها عشرين عاماً، منذ وفاتها شهيدة سنة ١٩٥٣ ودفنها في لندن».

بجناحين من حُرْقة وحنانْ
صَوتُ أمّي أتَى عابقاً من وراء الزّمانْ
من وراء مدى اللانهاية، من شُرُفات مكانْ
خلف أُفْق رؤايَ، وخلف العيَانْ
من وراء حُطَام المزارع، من عَطَش الإنسانْ
في سهول فلسطينَ، في ليلها السَّهرانْ
من وراء حقول الضبابْ
وجدار العذابْ
من متاهات لندنَ، حيث الدجى والدخانْ
جاثمانِ على صدرها جاثمانْ
وعلى قبرها ينحني كوكبانْ
وترفُّ على حزنه وردتانْ
في متـاهات لندنَ حيثُ السنونو يموتُ
ويحيا الغرابْ

حيث كنّا عطاشاً إلى شفة الأكوابْ
فسُقينا السَّراب
حيث جَرَّحَنا الموتُ، واحترقت شَفَتانا
وأكلنا أسانا
وغمسنا أناشيدنا في الضباب
ونَسَجنَا لأعوامنا كَفَناً وقبرنا رؤانا
وتَعَقَّبنَا دمعُنَا واشترانا

صوتُ أمّي أتى دافئاً كأريج الترابْ
في مروج فلسطينَ، صوت انسيابْ
لجداولَ مُغْمًى عليها من العطر. صوتُ
انسكابْ
لرحيق كواكبَ فجريّةٍ بيضاءْ
بضّة الأشذاءْ

ينحني كوكبانِ على القبر يا أمّي
وترفُّ على صمته وردتانِ، فمن أينَ يا أمّي
جاء هذا الشحوبْ؟
ما تُرَاه إذن سرُّ هذا النضوبْ؟
فجبينُكِ ليلٌ، ولونُ الشفّاه قطوبْ

ووراء عيونك حُزْنُ غروبْ
يختفى وجهكِ العذب فى غيمِ
يتساقط نجم على نجمِ
وأهلّتُكِ الغامراتُ تصير إلى فحمِ

كلّ يوم تموتين فى القُدْس، كلَّ صباحْ
يقتلونكِ، تنقل أخبار موتك سودُ الرّياحْ
تسقطينَ شهيده
فى الشِّعاب القريبة والطُرُقات البعيده
ترقدينَ مُخَضَّبَةً بدماء العقيده
تقعينَ بنابُلُس مُثْخَنَةً بالجراحْ
وتهيمين ظمأى شريده
فى دروب الظلام وحيده
تسكنينَ جراحَ القصيده
فالخيامُ البريئةُ يُقْصَفُ سكّانُها وتباحْ
والجراحُ التى نَشفت حفرتْها جراحْ
والدموعُ القديمةُ تغسلُها
كلَّ يومٍ دموعٌ جديده
خَسِئَ الدمعُ، إنّ الخيامَ عنيده

وأماني العدوّ بليده
والنجومّ بعيده

كَثُرَ القتلُ يا أمّي
وتعدّدَ موتُك حينَ رأيتِ حمانا
يُستباحُ ونُرْمَى ولانَرْمي
والعدوّ يصادرُ حتى تسابيحنا وكرانا
وطفولتَنَا ودُمَانا
ويعشّش ملء بساتيننا وقُرَانا
يسكن منّا مزَقَ الدم والعظمِ
وترينَ عدوَّكِ يا أمّي
يتبادلُ أرضَكِ، أرضَ الجدود، هدايا
وله النصر في كلّ حربٍ، ونحن الضحايا
المآذنُ والعتَبَاتُ تُسَاقُ سبايا
والقرائينُ حول نحور الصبايا
يقطعونَ سلاسلَها بالسكاكينِ يا أمّي
وتثورينَ في القبر يا أمّي
تستحيلين جُرْحاً ينابيعهُ القانيه
تصبغُ الحُلْمَ والموتَ، أمطارُهُ تَهْمي

وقصائدُكِ الداميه
ملحُهَا يُشْعِل الحزنَ والنار فى عظمى
وأحسُّ لَظَى غَلَيانك فى جسمى
وأُضيع كيانى وأغنيتى واسمى

وأحسُّك، أمّىَ، فى قبرك العربىّ الحزينْ
فى الثَرَى الأجنبىِّ، أحسُّك ترتعدينْ
تدفعين الرَّدَى فى عناد، وتنتصبينْ
يستحيلُ ترابُك عاصفةً، يُصْبحُ الياسمينْ
فوق قبرك لغماً يُقَاتِلْ
وعظامُك تُصْبح تكبيرة وقنابلْ
وقصائدُك المُحْرقات تهزّ كرى الحالمين
تنهضينَ من القبر غاضبةً تنهضينْ
من دمـــائك يـنطلق الصـــاروخ وتـنـتــفض السكّينْ
من شفاهك تنمو المروجُ، وتعلو السنابلْ
وعلى رَجْع شعرك يورق غُصْن الجليلْ
تنهضُ القُدْسُ، تزحفُ أنهارُنا، يستحيلْ
صمتُنا خنجراً، مدْفعاً، ويصيرُ النخيلْ

لَهَباً زاحفاً ويُقَاتِلْ
وتُحارِبُ أعداءنا شُرُفاتُ المنازلْ
والشبابيك،
والبحر،
والمُنحَنَى،
والمناجل
ويحاربُ حتى النسيمُ البليلْ
وعلى رجع شِعْرِك ينهض كلّ قتيلْ
يتحدّى صواريخهم، يتحدّى المقاصلْ
وعلى رجع شعْرِك سوف تسيلُ الجداولْ
وتحنّ الحقولُ لوقع المعاولْ
ويصير الظلام نهار مشاعلْ
آه، أمّي، وتستقبلين
يومَ نصرٍ، وخصْبٍ وضِيءَ الجبينْ
عربيّ الجدائلْ
عربيّ الجدائلْ

الكويت فى

٨ ربيع الأول ١٣٩٣هـ

١٠/٥/١٩٧٣م.

الهجْرَة إلى اللّه

عرفتُكَ في ذهول تهجّدي، وقرنفلي أكداسْ
عرفتُكَ في اخضرار الآسْ
عرفتك في يقين الموت والأرماسْ
عرفتك عند فلاّحٍ يبعثر في الثَرَى الأغراسْ
وتُزْهر في يديه الفاسْ
عرفتُكَ عند طفلٍ أسود العينينْ
وشيخٍ ذابل الخدّينْ
عرفتك عند صوفيّ ثرى القلب والإحساسْ
عرفتك في تعبّد راهب في خَشْعة القدّاسْ
عـرفـتـك ملء مـوج البـحـر يـركض حـافى
القَدَمَيْنْ
وأهداب العيون الزرق واستغراقة الشفتين
عرفتك في صدى الأجراسْ
عرفتُكَ ملء ليلٍ يُمْطر الدنيا
خيوط رؤىً، وعطر نُعَاسْ
وتُلقى في طريقى الورد أكداساً على أكداسْ

وتسقيني بأغلى كاسْ
وجدتُكَ ماثلاً في ضلع أغنيّه
وفي حُزْن الدياجير الخريفيّة
وجدتك تحت جرح الوردة العَطْشى
وجدتُكَ في التراتيل المسائيّة
وتبني تحت أستار الدجى عشّاً
لقبّرة مروّعة وقمريّه
للاجئة مشرّدة وأضلعها على الأحزان
مطويّة
لقافلة مهاجرة عن الأوطان منفيّه
وجدتُكَ ترسل المَطَرا
ترشّ يباب أرضٍ غير مسقيّه
وترويها بأكواب سماويّه
تعلّق في سماء وجودنا قمرا
وتهديه إلى ليلة أحزان ضبابيّه
وتمنحه إلى بيّارة ظمأى
حشائشها من الأمطار منسيّه

وجدتُكَ تَبْذر الإصرارَ ملء سواعد العمّالْ
رأيتك تردَعُ الزلزالْ
عن القرية والصبيان والمسجدْ
رأيتك سكّراً فى لثغة الأطفالْ
وتعطى اللحن سحريّاً وإن لم يسأل المُنْشدْ
وتأتينا بلا موعدْ
وتفتح مُغْلَقَ الأقفالْ
مليكى، أنت طعم الصيف فى عُمْرى
وأنت تألق الأقمارْ
هواك كواكبٌ وبحارْ
طموحُ المدّ أنت، وأنتَ سرٌّ تحرّق الجزرِ
وأنت خصوبة الأشعارْ
وأنت عذوبة الواحات فى قَفْرى
وأنت تبلّج الأسرارْ
وأنت تدفّقى أنت انبثاق الضوء والعطرِ
نثرت الخصب واللؤلؤ فوق شواطئى الخُضْرِ
وفى روحى سكبت النارْ

لك الأورادُ والصلواتُ أنثرها
فدا عينيكَ يا ملكي، يواقيتي أكسّرُهَا
وبين يديك أوراقي وأعوامي أبعثرها
أجيء وعودي المبهور منخطفٌ من العطر
يصلي الوتر المشدودُ ولهاناً
ويهمس باسمكَ الشِّعري
لعلّكَ مُمْطري ورداً، لعلّ رؤاي تغمرها
شذىً فتفيض بالأصداف والمَرْجان أبحرها
ويركعُ نشوةً ياقوتُها القاني ومرمرها
زوارق حاضري في جدول الذكرى تسيِّرها
وأيّامي بعطر ضيائك الشفّاف تُمْطرها
ينابيعي تفجّرها
وأعماقي تطهّرها
وأشعاري السماويّات ينبع منك سكّرها
وحسبُ لحونيَ الولهاتِ أنّ حبيبي الملكيَّ يذكرُهَا
ولمس اللّه، لمس الله
يلوّنها، يعطّرها
يرقرق سرَّه فيها وينثرها
على القارات، فوق عرائس الغابات والأمواه
أريج هدىً، ولمس صلاه

مليكي طالت الرحلة، طالتْ، وانقـضت أحقابْ
وبين عوالمٍ مقفلة أبحرتُ، أسألُ، أسألُ الأبوابْ
حملتُ معي جراحات الفدائيينْ
وطعم الموت في أيلولَ، طعم الطينْ
حملت معي همـوم (القُدْس) يا ملكي وجُرْحَ (جنينْ)
وليلاً شاهق الأسوار لا ينجابْ
فأين البابُ؟ أين البابْ؟
قرابيني مكدّسة على المحرابْ
وقرآني طواهُ ضبابْ
وذلّة مسجدي الأقصى تقلّبني على سكّين
ولا معتصمٌ أدعوهُ، لا فينا صلاح الدينْ
ننام الليلَ، نصحو الفجر مجروحينْ
ومطعونينَ، مقتولينْ
وأنت غضبت يا ملكي، تَبَارَكَ وجـهُكَ الغضبانْ
فكيف نهادن الطغيان؟
وكيف نصافح الشيطان؟
ألـم تُخْصب مدائنَنَا بعطر الورد والقرآنْ؟
فكيف نبيت مَسْبيّين؟

وكيف ننام منفيّين
عن الأوطان؟
أكاليل الزهور ذَوَتْ سوى زنبقة الأحزانْ
مساكنُنَا على فُوَّهة البركانْ
وأنت تظل يا ملكى، مع القَتْلَى، مع الجرحَى
تَظَلُّ مرابطاً سهرانْ
ونحنُ هنا أضعنا الدينْ
وقاتلنا أحبّتنا الفدائييّنْ
سكبنا الدمَ فى بيروتَ، أهرقناهُ فى عمّانْ
بأيدينا جعلنا أرضَنا مقْصلة الإنسانْ

الكويت فى

٢٨ جمادى الآخر ١٣٩٣هـ

٢٩/٦/١٩٧٣م.

الملكَة والبُستَان

[أذاعت وكالات الأنباء يوم ٨/ ٤/ ١٩٧٣ أن اليهود في إسرائيل أهدوا إلى الملكة اليزابيث ملكة بريطانيا قطعة أرض في فلسطين المحتلّة وأنّها قبلت الهدية تعبيراً عن صداقتها مع الطائفة اليهودية]..

أرضهُ تبرٌ وأسرارْ
وفيه تُثمرُ النارْ
سيولاً من تسابيحَ، وليمون، وأسلحة، وثُوّارْ
وفيه يَدْفق الضوء إلى قلبٍ العناقيدْ
وتخضلّ المواعيدْ
تدوس الريحُ- إذ تعبر في المرج- سجاجيدْ
من العُشْب الطريِّ
إنه بستان ثوّار وزيتون شذيٍّ
في ثراه القَمَريّ
سنديانٌ، ونهورٌ، وتواريخُ قديمة
لم تزل فيها بقايا غمغمات من تراتيل رخيمه
نقلتْها شَفَةُ الريح وألقى
عبرها ليلُ فلسطين همومَهْ
ونداهُ وغيومَهْ

وقع البستان فى الأيدى اللئيمة

صادر الباغى نسيمَهْ

ويداهُ بعثرت نسرينَهُ، جزّتْ كرومَهْ

حصدت حنطَتهُ، أوراده الحرَّى، نجومَهْ

وعلامات الجريمة

أغمض العالم عنها مقلتيه، وطواها فى الأضابير

زواها بين أكداس التقاريرْ

ومالكُ ذلك البستان قد شُرِّد فى تيه الأعاصيرْ

فلا تذكره إلا العصافيرْ

ولا تبكى عليه غير أخشاب النواعيرْ

يرى تربتَهُ مسبيّةً، يُبصر تهويدَ الأزاهيرْ

وبلّور سواقيه مُبَاحُ للخنازيرْ

وأهلوهُ عطاشٌ فى الخيامِ

سكنوا فى شفة الجُرْح بقايا من عظامِ

ويريد العالمُ الناسى لهم أن يتغنَّوْا بالسلامِ

ويعيشوا فى وئامِ

ثم ماذا؟ هُرِعَ السارقُ يهدى الملكه
قلنةً من حقلنا مخضلَّةً عذراء مثل الليلكه
وتلقّتْ بالقبول الملكه
وانحنت تغمُرُه بالبركه
بهرتها ظُلَلُ الخُضْرة فى أشجاره المشتبكه
واستباها قمرٌ فى ليلِه، من فضّة منسبكه
لم تر البستان مصبوغاً بأنهار الدمِ المنسفكه
وتناست يدُها أن تسألَ اللصَّ:
وهل تُهْدَى الربُّى المنتهكه؟
ألف عذر منكِ يا سيدتى، واعلمى أن الصهايين لهم
منطقُ الذئب، وذَوْقُ السمكه
واسألى يا ملكه!
دمُ قومى من تُرى قد سفَكَهْ؟
واصبرى حتى نلاقيهم غداً فى غليان المعركه
فعميقٌ وطويلٌ دربُنا، وفقيدٌ ضائعٌ من سلكه
يعبر التيه وسيناء خطىً مرتبكه
ثم يَهْوِى ميّتاً يا ملكه!

واسمعي سيّدتي صوتي أنا، صوت فلسطينْ
حقولي لم تزل ملكي بما فيها من القمح، من الشمس،
من الطينْ
وأرضي هذه دربُ النبوّات وميلادُ القرائينْ
حصاها خاشعٌ لله، والوردُ قرابينْ
فلن أتركها مصلوبةً عند الصهاينْ
ممزّقه، مفتحةَ الشرايينْ
وعرش البغي لن يطلع من جرح الملايينْ
فأجراحي ستنمو بين أيديهم ثعابينْ
وأنهاري سكاكينْ
وآباري - إذا اغترفوا - براكينْ
وما لهمو على رملي عناوين
وليس لهم - إذا دقّقتِ سيّدتي - بساتينْ
وليس لهم بساتين

الكويت في

١١ جمادى الآخر ١٣٩٣هـ

١١-٧-١٩٧٣م.

رحلة على أوتَار العُود

يأخذني من يد أحزاني في رحلة حبٍ صيفيه
ويداً بيدٍ أنا والأوتارْ
نرحل نحو بلاد الأقمارْ
في غابات الأنجُم، في بيدٍ منسيهَ
ورؤانا تسبَحُ في بِركَ مَرْجانيّة
نُبحر محمولين على موجة أغنيّه
نرحل في رؤياً غَسَقيّه
وشراعُ سفينتنا أذيالُ المغرب فوق رُبىً وبحارْ
أبعدَ مما تصل الأشعارْ
أنا والأوتارْ
ضعنا في غيم محطّاتٍ لا مرئيه
في مُنْعَرَجاتٍ بيضٍ من إغماءة وجدٍ صوفيّه
وسكبنا الدفءَ ولونَ النارْ
في برد الأرصفة السهرانة تحت رياحٍ ثلجيّه

يحملني العودْ
بطفولته، وبراءته، نحو بلاد الظّل الممدودْ
نحو الشَفَق المفقودْ
والعودُ صبيٌ يضحكُ، يلثَغُ، لَثْغَتُهُ تَشْرِينيّه
وله سبُحاتٌ روحيّه
وعيونٌ سودْ
طافيةٌ فوق سحابة دمعٍ شتويّه
والعودُ إلهٌ إغريقيٌ يرحَلُ في آفاق ورودْ
ويجوبُ العالم في مركبةٍ قمريه

العود يصلّي يا ربّي، وصلاة العود سماويّه
ورؤى الأوتار معطَّرةٌ قرآنيه
اللحنُ خشوعٌ وتسابيحْ
فيه تمتمةُ النَّبعِ وفيه عصفُ الريحْ
فيه هَمَسَاتُ قُرُنفلتين للوح وورود جوريّه
من بين يدَيّ يسيلُ الرَّسْتُ تراتيلاً سمفونيه
وأصابع كفّي دَفْقُ صلاة صوفيه
ألآهُ تسيلُ ملوّنةً بأريجِ الله
فالموسيقى درب ممتدُ نحو الله

الموسيقى شمسٌ زرقاءُ أثيريّه
سُفُنٌ بيضاءُ شراعيّه
أنشودةُ حب غجريّه
وأنا والعودُ لحونٌ ولَهى واستغراق صلاةْ
ينحدرُ اللحنُ نهاونداً، وَصَباً، وبكاهْ
يتفجّر من نبع يَدَيَّهْ
شوق التحميلة:
إنى تهتُ وراء بحور من سيكاه
والمرسى عند شواطئكَ النورانيّه
يا مرفأ روحى، يا ربّاهْ
المسنى لمستَكَ الحيّه
أَوْدِعِ فى كفّى حسَّ شفاهْ
ابعثنى أغنيةً خضراءَ ربيعيّه
قطِّرنى أنغاماً وصلاهْ
وقصيدةَ شوق عَسَليّه
حطِّمْ مجدافى عند شواطئ جُزُرِ الرَّسْت الورديه
ضيِّعْنى فى أَبَدِ الدوكاهْ

الكويت فى

١٧ جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ

١٧-٧-١٩٧٣م.

ثمّ يَتفجّر العَسَل

«سمعت الشاعرة أن فى الخليج العربى، وسط الماء الملح، عيون ماء عذبة كان يعرف أماكنها الملاحون الكويتيون ويشربون منها خلال رحلاتهم الطويلة المضنية لصيد اللؤلؤ».

قالت محدّثتى الحزينة فى شرودْ:
إن الظلام سلاسل خنقت مرافئنا،
أغانينا،
كواكبنا،
وجرّتْ كل أعناق المدائن والحدودْ
إن الضبابَ مُرابطٌ يأتى علينا،
جارفاً دعواتنا الحَرَّى ويجتاح السدودْ
قالت: سيقتلُ ركبَنا هذا الظلامُ
وفجرُنا عنقاءُ ليس لها وجودُ
أعداؤنا متربصونْ
من بين أيديهم تُسَاقطُنَا السماءُ حجارةً
والشمسُ حمراءُ العيون
والبحرُ إعصارٌ يسيلُ،

ووجهُهُ مُدُنٌ غريقاتٌ

وهدأتُهُ جنونْ

ويفحّ حولَ خيامنا شدْقُ المنونْ

أسنانُّها يقْطُرْنَ من دمنا، ونحنُ مقطّعونْ

قالت: فضانا شاحبُ، وعلى الظهيرة غيمةٌ،

وثمارُ كلِّ كرومنا عنَبُ الزوابع والرعودْ

ووجُوهنَا ممسوحةٌ،

وظلالُنَا معقوفةٌ

ويُطلّ حتى من مرَاياناا اليهودْ

قالت: ويحسُبنا الوجودْ

أشتاتَ جزّارينَ، مصّاصي دماءْ

رغباتُنَا محمومةٌ، وقلوبنا خَشَبٌ فليس لنا ضياءْ

وعيونُنا فرغتْ، وأذرعُنا سواعدُ مومياءْ

قالت: وإسرائيلُ ظنّوها تُسَاقينا البشاشةَ والورودْ

تُهْدى لنا قُبَلَ السلام، تلُمُّنا من عُمْقِ أودية الشرودْ

فنرشُّ نحن سماءها

بالنفط، والدم، والحقود

وخيالنا المسعور يطعنُها، يبعثر فى الثرى أشلاءها

قالت وهذا العالم الحرُّ الكبير يظن أنّا معتدونْ
ويظنّ إسرائيلَ فرخَ حمامة، ودماً يسيلُ،
ونحنُ نحن السافكونْ

قالت: إذن من أين ينبعث الأَمَلْ؟
واليأسُ عشّش فى أغانينا، وفى دمنا اشتعلْ
والحزن نجمٌ مُطفأٌ فى أفق أعيننا ارتحل
من أين يأتينا الضياءُ إذن؟
وكيف ترى سينثالُ العَسَلْ؟
من أين تنبثق السنابلُ والشُّعَلْ؟

وأجبتُهَا: لا تجزعى حتى إذا
ضربت شواطئنَا سياطُ الريحِ،
واغتالت قوافلَنَا مَفَازاتُ الضياع بلا حدودْ
حتى إذا ما عشّشتْ فى جلدنا مُدُنُ اليهودْ
لا تحزنى أختاهُ، إن راحت تطاردنا الرياحُ الناقماتُ
ويقتفى خطواتِنا الغيمُ اللدودْ
فَالأُفقُ فيه لنا وعودْ
ومن الليالى الثعلبيّات العدوّة،

سوف يَنْبُتُ حولنا الفجرُ الودودْ
والضوء يكحل هُدْبُ أعيننا وتلثمنا شفاهٌ من ورودْ
مثل الخليج الملح تقطَعُهُ طَوَال الصيفِ سُفْنُ
وتظُنُّ أن خليجنا عَطَشٌ وحُزْنُ
جهلتْ ففى أغواره فَرَحٌ وأَمْنُ
فى مائه ضوءٌ ولحنُ
سَمَكٌ، وياقوتٌ، وغُصْنُ
ويَظَلُّ للآمال فى أمواجه ركنٌ...، وركنُ
فوراء آماد الملوحة والضباب،
عيونُ ماء كالعصيرْ
فيها العذوبةُ، والبرودةُ، والعبيرْ
عذراءُ باردةٌ تغنِّى للعطاش
ومَذَاقُ سكّرها يحلّى البحر فى ولَه،
وشوقٍ،
وارتعاشْ
يعلو كبلّور يثرثر صافياً فى غَوْر هاتيك المياهْ
ينسابُ منتشراً كأشرعة الحياه
يا حُرْقَةً عربيّةً ذوقى ثلوجاً،... يا شفاهْ!
البحر منسكبُ أمامَكِ عنبراً،

عسلاً،

ومداً من رَشَاشْ

إن كان قد دَفَقَ الرحيقْ

فى عُمْق أعماق الملوحة، فالطريقْ

من حيثُ نحنُ إلى فلسطينَ السليبه

سيهلُّ نبضٌ فيه من جُثَث القُرَى السودِ

الكئيبه

وستُمْطر الدنيا على المُدُن الجديبه

ومن اليباب سيطلُعُ الغصنُ الوريقْ

وسنبلُغُ البيّارةَ العُشبيّةَ الحضْن الحبيبه

ونُنيم حُرْقَتَنا على حبَّات تربتها النقيّه

ويسيلُ نُسْغُ الضوء فى أعنابها الشُّقْر النديّه

وتُفيقُ مقبرةُ الأغانى فى حناجرنا الشقيّه

وخيامنا الرثّاتُ تخرج من متاهتها الرهيبه

وتزول إسرائيلُ من قلب العروبه

الكويت فى

١٠ شعبان ١٣٩٣هـ

٧-٩-١٩٧٣م.

الأميرَة النّائمَة

«يرد فى قصص الأطفال أنّ أميرة مسحورة بقوة شرّيرة تنام مائة عام، ويكتب لها ألا تستفيق من نومها إلا إذا اقتحم قصرها أميرٌ يحبّها ويصل إليها ويقبّلها فتستيقظ».

الكلمه
فى صفحة القاموس مثلُ وردةٍ ملثّمه
عطورُهَا خفيّةٌ مُطَلْسمه
ألوانُها مستورةٌ، مثل الظلال المبهمه
والكلمه
أميرةٌ نائمةٌ مبتسمه
أغفت عصوراً فى انتظار العاشق الأميرْ
يأتى من المجهول، يُضْحى الصيفَ والعبيرْ
يوقظُ تلك الحُلْوَةَ المهوِّمه
والكلمه
حوريّةٌ، غافية، مُنَعَّمه
يُخْرجها الشاعر من عُزْلَتها لآلئاً عُذْرِيّة الأصدافْ
فى أبحرٍ بعيدةٍ تائهة الضفافْ

ينثرها عرائساً مائيّة فى أفُقٍ مفقودْ
وشُرْفةٌ مسحورةَ الأستارِ لم يسمعْ بها الوجودْ
تفَتحُ شبّاكاً على عوالمِ الأطيافْ
كم لفظةٍ تنامُ فى القاموسْ
أحرفها براعمٌ، أجنحةٌ، شموسْ
مَحَارةٌ كنوزُها مطويّه
عبيرُها محبوسْ
أصداؤها أجواءُ سمفونيّه
ولفظةٌ عروسْ
ولفظةٌ جنِّيَّة
ولفظةٌ سوسنةٌ بريّه
ولفظةٌ شفاهُهَا كؤوسْ
ولفظةٌ تُفّاحةٌ طريّه
ولفظةٌ زنبقةٌ مبلولةٌ نقيَّه
فى شاطئيها أبَدُ
إشراقةٌ روحيّةٌ ومَوْلدُ
ولا نهاياتٌ سحيقاتُ المَدَى منسيّه

ولفظةٌ صبيّةٌ عذراءْ
نائمةٌ على ضِفاف ساقيه
فكلُّ حروفٍ قصّةٌ،
وشمعةٌ،
وداليه
ولفظةٌ حروفُها شتاءْ
ولفظةٌ إغماءْ
ولفظةٌ بركةُ ماء صافيه
ولفظةٌ سُنْبلةٌ ترقُصُ ما بين المروج حافيه
ولفظةٌ في رَجْعها تموّجُ الرمالِ في الصحراءْ
يكمُنُ فيها عصْفُ ريحٍ نائيه

ماذا تقول الكلمه؟
في صفحة القاموس نمتُ طفلةً مشتاقةً مُتيمه
فمن ترى يوقظُني لأكشف الأسرارْ؟
وأرفع الأستارْ
عن عالمٍ أبعادُهُ المُطَلّسمه
عميقةُ الأغوارْ

ماذا تقول الكلمه؟
إنى أنا طريّةٌ ومُلهَمه
جميلةٌ وخصْبةٌ مثل نَدَى آذارْ
ومثل لونِ النارْ
إنى أنا لذيذةٌ مثل صلاةٍ عَذْبة مُتَمْتمه
فى الكعبة المكرّمه
إنى أنا عاطرة كالبُرْعُمه
إنّى أضىءُ مثلما تشتعلُ الأقمارْ
أنير للثوّارْ
دربَ الليالى المعتمه
أفتحُ فى وجوههم نافذةَ النهارْ
أرشُّ فى أنغامهم طعمَ ضياءٍ سائلٍ
أذيب فيه نكهةَ البَهَارْ

ماذا تقول الكلمه؟
فى عَتْمةِ القاموس أبقى طفلةً دميتُها محطّمه
تاريخها مختبئٌ، أحرفُها مُيتّمه
أبقى أنا أميرةً مسحورةً منوَّمه
حتى يجىء شاعرٌ يوقظُنى من غفوتى

يعيد لي حرارتي وفتنتي
يكتشف التاريخَ في حروفيَ الولهى وفي أشعّتي
يعشني أغنيّةً مُغَمْغَمه
يمطرني رَشَّةَ خِصْب وشذىً،
وفِقْرةً من ملحمه

القاهرة في

١٢ رجب ١٣٩٣هـ

١٠-٨-١٩٧٣م.

الخُروج مِنَ المتاهَة

أين نمضى وحــولنا التيـهُ والـعَتْـ ـمـةُ فـى غـابة الضبــاب الماحى،
زحف الـليلُ مـلء أعـــيننـا، مل ءَ هتـــافـــاتنا، ومـلء الجـــراحِ
والدهــاليـــز تحت أقـــدامنا تُعْـــ ـولُ ملوّيةً كـــدرب كـــفـــاحِ
يتـقــاطعن، يتـركُ الـغـيـهبُ الغـيـ ـهَـبَ شِلْواً، نَـهْبَ الرَّدَى والـرياحِ

دربُنَا تـائهٌ: ســـــلالمُ تمتـــدُ دُ ولا تـنتـــــــــهى لأىّ مـكـانِ
كلَّما صَعَّدتْ خُطَانا مضى السُّلْـ لَمْ يـرتجّ ضـــاربـاً فى الدخـــانِ
سُلَّـمٌ صـــــاعـــــدٌ بنا، لولـبىٌّ يـتلـوّى تلوِّىَ الأفـــعـــــوانِ
سُلَّـمٌ هابـطٌ إلى جُـــرْف نهـــر زئبـــقىٍّ، إلـى فـم الـبُــرْكَـــانِ

ووجـــدنا أنَّـا دخلنا إلـى ســـجـ ـنٍ رهـيبٍ، مكهـــربِ الأســـوارِ
أىُّ جـــوٍ مـــــعكّرٍ شــبــــحىّ راسخِ الليل، مــستـحـيـل النهـارِ
ليس يُفْضـى إلى دياجــيــهِ بابُ لا ولا فـــيــه كــوةٌ فى جِــدارِ
كـيف جـئناهُ؟ أين مـخــرجُنا أيـ ـنَ إذَنْ يـا بُرُودةَ الأحـــجـــارِ؟

عن يمـــين، وعن يَسَـــار ثعــــابيـ ـــنُ، حــــقـــودٌ، مطـامعٌ ذئبـــيّــه
فـــيــمـــينٌ مكشِّــر الفـم عن أنـ ـــيـاب وحش أحـداقُـهُ همـجيّـهـه
ويَسَــارٌ يُصيـبٌّ في جُـرْحـنا الملـ ـــحَ، ولَمْـسَـّـاتُ كـفّــه دمـويّه
بيـن هولين حـــاقــدَيْن، إلى أيـ ـــنَ سنمـضى فى العَتْـمة اللولبيّه؟

بينمــا نحنُ فى مـــتــاهتنا الـنكـ ـــراء بيـن الأشــبـــاحِ والأغـــوال
جُــرْحُـنا ممطرٌ، ونـأكلُ شـــوكـــاً وكَـــرَانا مـــفــاوزٌ وسَــعَـــالى
وطريقٌ أنّـى مَـشَـيْنا مـــخـيفٌ أســودُ الضـــوء مـخلبـىٌّ الظلال
بيـنمــا نحنُ.. إذ تدفّـقَ فـجــرٌ نابـضُ العطْـرِ من وراءِ الليـــالى

وتُشـيـر الـسـهـامُ هـامـســة تكـ شفُ درباً مُـسَـرْبلاً بالضـيـــاء
صـاحـيــاً ليّنَ الثـرَى كـوكــبـيّــاً بعــد تلك المفـــازة الصـــفــراء
مـن تـراه هـنـاكَ يـنـتـظـر الـركـ ـــبَ المـدمىَّ المعـــذَّبَ الأشـــلاء؟
من تراه هـذا النصـيـــرُ الأثيـرىٌّ تجلَّـى فى أفْـــقـــه اللانـهـــائى؟

شـــاطئٌ مـــا له حـــدودٌ ويخـبـو عنـد أمـــواج بـحـــره كـلُّ نوء
جْـبـهــةٌ تُمطـر الوجــود وكفٌّ نهـــرُ حب ولُجَّـــةٌ مـن ضـــوء
أيّهـــا العطْـرُ! يا ســمـــاءَ أغــانيـ ـــنـا! ويـا وردةَ الـرؤى والـدفء!
يا دليــلاً نُـحسّ إصـبَـعَـــهُ فـو ق أسـانـا ووجـهُـهُ غـيـرُ مـرئى

كَـــفَّـــهُ فى المَتَــاه ممدودةٌ نـحـ ـوَ أعــاصـيــرنا تُضىءُ دُجَــانا
حــــبُّــــهُ عـــابقٌ ولكنّنا نـهـ ـرُبُ مـنه إلى جـــمـــود أســـانا
نُغلـق البــابَ دونَهُ، نُـسلم التـيـ ـهَ مـــفـــاتيحَ عُــمْـــرنا ومُنَـانا
فــمــتى نتـبـع السـهــام إليــه؟ ومـتى تعرف الضــيــاءَ خُطَانا؟

وإلامَ ابتــعـــادُنَا عـنكَ يـا أجـ ـملَ وعــد فى تيـهنا المكـفـهـرِّ؟
نتـــحــاشَى نبعَ العــدالـة لا نقـ ـطفُ منه وردَ السّنيـنِ الخُــضْــرِ
إنّ هذا الجـبـينَ مُـسْتَنْبَـتُ النصـ ـرِ ومَـسْــرى سناً عـمـيـق الغـورِ
فى ثـنايا بـريقـــه رقـــدتْ أحـ ـلامُنَا فى ضـــبــــابةٍ من عِـطْرِ

وسننجـــو من المتــاهة مـبــهـــو رينَ تقـــتــادُنا يـدٌ مـجــهـــوله
لا الدهــاليـــزُ تحت أقـــدامنا تنـ ـهـارُ، لا نُبْـصـر الوجـوه القـتـيله
لا الأغـانى عبء على القلب لا الحبُّ غــريبُ ولا رحـــيقُ الـطفـــوله
وسنبنى لنا غـداً من ضـيــاءِ الشـ ـمسِ، مـن كلّ مُنْيَــةٍ مـعـســوله

القاهرة فى

٢٤ رجب ١٣٩٣هـ

٢٢-٨-١٩٧٣م.

ثلاثية فى زمَن الفَراق

-١-

فى دروب الرياح

هل يا حبيبى بعثرتنا شاسعات البلادْ؟
هل فرّقتنا الرياحْ؟
وهل ترى قد سكتت شهرزادْ
عن الكلام المُبَاحْ؟

من يا ترى ألقى بنا للرياحْ؟
عصفورتين دون عشّ دافئ أو جناحْ
ترمقنا الجوارح الكاسره
بنظرةٍ أهدابها مسمومةٌ، أحداقها باتره
تشربنا كأنما دماؤنا بحيرةٌ تُسْتباحْ
من يا حبيبى قد بنى بيننا
هذا الجدارَ من ترى أسلمنا للجراحْ؟
ومن ترى أودع أشعارنا
أستارَ هذى الظلمة الناخره؟
وهل ترى يأتى إلينا الصباحْ

بعد ليالى السَهَر العاصره؟
وهذه الصحراءُ هل بعدها
تسقى رؤانا غيمةٌ ورديّةٌ ماطره؟
برشّة من حبّنا عاطره؟
ترطّبُ الأشواقَ، تَشْفى كل جرح حفرتهُ الرياحْ
وكل ليلٍ قاتمٍ خلّفوا
أشواكَهُ فى الظَهْر والخاصره

ويا حبيبى هل ترى قد صمتتْ شهرزادْ
عن الغناء المباحْ؟
هل أسلمتنا للبلادِ البلادْ؟
واستعبدتنا الرياح؟
فلا شذىً من أمسنا يُسْتَعادْ؟
ولا يُطلُّ الصباحْ؟

-٢-

رسالةٌ منه

رسالةٌ منه نهورُ اخضرارْ
مثل الدوالى، والرؤى، مثل انبلاج النهارْ
رسالةٌ أنا إليها سُفُنُ تائهةُ في بحارْ
تأتى إلىَّ من حبيبى كشفاه المَطَرْ
كقبلة الثلج على قوافلٍ قد أحرَقتْها القفارْ
رسالة تأتى: ورود الشوقِ فيها، ومَذَاقُ السَّهَرْ
حروفها محطة إلى مراسيها سيأوى القطارْ
رسالة مثل صلاة الوَتَرْ
مثل انبهار دجلةٍ فى أمسيات القَمَرْ

تمضَغُنى ليلتىَ الساهدة
أنتظر الصباح يأتينى بها، بالشَفَةَ الوافده
رسالةٌ من يده، دفءُ منى لأدمعى البارده
سطورها أصابع تحوى يدى فى ولَهٍ واحتراقْ
ألفاظُها شفاهُ حبٍ عطشت وراء ليل الفراقْ
حروفها سنابلى الواعدة

بأننا سنلتقي عن قريبْ
أنا ومن أحبُّهُ، نخرجُ من هذا المتاه الرهيبْ
من ظُلُمات هذه المفازة الراكده

بعد رحيلٍ شاسع ذاهلِ
بعد دُجَىً ماحلِ
بعد روابي الظمأ القاتلِ
بعد ذرىً ممحّوة، بعد تلال انتظارْ
قطار أحلامي يُداني شُرُفاتِ الديارْ
يأوي إلى محطّةٍ من أنجمٍ، من مطرٍ هاطلِ
من فضّةٍ، من كهربٍ، من بَهَارْ
ومن عبيرٍ دافئٍ سائلِ

-٣-

رسالة إليه

أسقيها من موجة شوقي
أبقَى أسقى
في حُلْمى، ومسافة صحوى
أسقى أسقى
أطْعمها أعنابَ دموعى
أمنَحُها إيقاعَ خُشُوعى
أسْكنها كلَّ مدائنِ قلبى، لا أُبْقى
أمْضغها شفتى، أشعارى، سُفُنى، طُرُقى
سأغمّس أسطُرَها بدواة من عَبَراتى ونجيعى
وفواصلُهَا سيسجّلُها قَلَمٌ من أحطاب ضلوعى
أبحرُهَا سوف تضيّعُنى لا أعرفُ غربى من
شرقى
ينكسرُ المجدافُ وأبْحر دون قلوعٍ
حَبْلى من هُدْبى المنزوعِ
صاريتى غيمة أحزان، بيرقُ شوقِ
يا أمواجُ انشقّى، انشقّى

عن ساحرة وعروس بحورِ
تمسَحُ جُرحى ودموعى
تضمنُ أن أعبر كالبَرْق
للشاطئ، حيث حَصَادُ نجومى وزروعى

لحبيبى أكتب تحت الليل رسالة حُبْ
والظلمةُ كلبٌ وحشىٌّ يجثم قربى، والريح تَهُبْ
هل أكتبها بفمى؟ بفمى؟
أأريقُ على الصفحاتِ حُرُوقى؟
إعصارى؟
وَصُراخَ دمى؟
أأصورّ شوقى أم أرَقى؟
ورمادَ مسائى المحترق؟
أم أسقيها عبراتٍ تنزفُ من قَلَمى؟
تذرو أنقاضى وخرائب روحى فى أودية الورَقِ؟

كلا، لا يكفى، لا يكفى
سأكونُ أنا الكلمات، سأكمُنُ فى الحرفِ
سأكون إليه أنا (الساعى)

و(الطابع) هُدُبى وذراعى
و(العنوان): عمارة حبّى
شارع قلبى
و(المرسلة) الولهى المسجونةُ خلف متاهات الأبعادْ
عبر الصحراء بلا مطرٍ يشدو، وبلا ضوءٍ لا زادْ
وبريدى جوىٌ فلتخدشنى الريحُ
ولتجمدْ من بردٍ كفّى
إنى أتحدّى أوردتى، أقتُلُ خوفى
أصرع ضعفى
ولتحلكْ ظُلُماتى فالشوقُ مصابيحُ
ونجومٌ، وهواى فسيحُ
وشتاءٌ حولى ووداعةُ وجهكَ صيفى
وليَكُ جسمى من صلصال، فالحبّ لمركبتى روحُ
ولتكُ أجوائى غامضةَ الجَبهة،
إن هواكَ وضوحُ
والظلمة بابُ مفتوح

وسأهبط فى شارع قلبى
وأطوّفُ خاشعةً حول عمارة حبّى

السُّلَّمُ معْراجى، والشقّة لى محرابْ
وأدقُّ، أَدَقُّ، أدق البابْ
افتح يا من هو أغلى من كل الأحبابْ
لكَ عبر الجوّ رسالةُ شوق من لحمِ
من أعصابِ، من قلب يرقُصُ، من عظمِ
ولها شَفَةٌ تنبَضُ باسمكْ
باسمكَ، باسمكَ، باسمكَ، باسمكْ
فتلقَّ بريدك من شرفات الليلِ،
ومن شَعْر الغيمِ
يا ضوئى!
يا عطرى!
يا مجدى!
يا نجمى!

٨ رمضان ١٣٧٣هـ

٤-١٠-١٩٧٣م

عناوين وإعلانات في جَريدَة عَربيّة

صيدا تقضّى ليلة مروّعه
خريطةٌ جديدةٌ موسَّعه
لدولة العدوّ. غولدا صرَّحتْ بأن إسرائيل لن تلينْ
بأنها ستقتفي خُطَى الفدائيينْ
تسقيهمو من كأسِ موت مُتْرَعه
لبنانُ ينهارُ جنوباً. غارةٌ
فوق القنال مُزْمَعَه
سيّدتي ماذا ستلبسين؟
في سهرة الليلة في أيّ وشاحٍ سوف تظهرينْ؟
سيّدتي كوني شَباباً ساخناً وزوبعه
استعملي عطور باريسَ اكرعي من خمرنا المشعشعه
فخمرُنَا قد قطّر الربيعُ فيها عطرَهُ وأدْمُعَه
تمتَّعي فالعمر يمضي راكضاً، والسَنَواتُ مُسْرِعه
وأنتِ تتهرمينْ
والخمر يا سيّدتي زنابقٌ وتينْ
بريجنيف باسمٌ لنكسن
بُشْرى غدٍ للعالمينَ عاطرٍ ملّونِ

مستعمراتٌ جُدُدٌ ستُبْنَى على حدود الأردنِ
أظفارك الطوال يا سيّدتى اطليها
بصبغٍ قرمزى ليّنِ
كأنه رجعٌ غريقٌ ذاهلٌ من تمتمات أرغنِ
يهاجر اليهودُ من موسكو- ويُعْفَوْن من الضريبه-
لأورشليمَ الحلوةِ الحبيبه
راقصةٌ فى مسرح البجعة كالأغنية المسكوبه
جَنُوبُ لبنانَ قُرَىً مُرَوَّعه
أوصالُهَا مُقَطَّعه
سُكّانُها إلى القبور جُثَثُ مشيَّعة
بيوتهم خرائبٌ منثورةٌ، أعمدةٌ مُخَلَّعه
حرائقٌ مُنْدلعه
راقصةُ البجعة مَيْسَاءُ كأغصان الكروم الممرعه
خدودها من حمرةٍ مبقّعه
شبابُهَا ما أروعَهْ!
وخصرُها ما أبدَعَهْ!

أغنيةٌ جديدةٌ تُنْشدها نجاةْ
هذا المساءَ، حفلةٌ ساهرةٌ وعَشْرُ راقصاتْ

عُرْىٌ وخمرٌ، خاسرٌ مَنْ لم يَذُقْ
الكأسُ تلوَ الكأسِ حتى يترنَّحَ الأُفقْ
حتى نكونَ قد تخلّصنا من اليهودْ
وبالأغانى قد رصفنا دربنا الحرَّ، غداً نعودْ
إلى فلسطينَ فبالكؤوس حررنا ترابَ الوطن المفقودْ
فى هذه الليلة، تُحيا سَهَرَاتٌ ممتعه
نخب العدوّ نخب آلياته المدرَّعه
وطائراتُ فانتومٍ تخرق حُجُبَ الصوت فى سمائنا
ثم تعودُ فرحةً مندفعه

أمريكةٌ تَدْعم تل أبيبَ من أرصدة العروبة المجمَّعَه
لبنانُ طفلٌ ضائعٌ، خدودُهُ ممتقعه
ألفاظُهُ راعشةٌ متّقده
ويستجيرُ كلَّ يوم صارخاً بالأمم المتّحده
يصبّ ما بين يَدَيْها أدمعَهْ
يشكو لها ما يصنَعُ العدوُ يرجوها سدىً أن تمنعه
يسألُهَا أن تَصفَعَهْ
أمريكة سيّدة الفيتو ونحنُ لم تزل خيامنا مهدّده
سلاحنا ألفاظُنا الهادرةُ المعربده

ذلّتنا بين يَدَى عدوّنا تصبح فى عيوننا
تضجٌّ ملءَ الأورده
ولم تَزَلْ أعناقُنا تحت سكاكين اليهود
لم تَزَلْ ممدّده
فى مطعم الوادى خمورٌ جيّده
يا سيدى وتنتقى من تشتهى: آنسةً أو سيده
ونحن تحمينا حكوماتٌ شدادٌ وَرعه
تسهَرُ طولَ ليلها، تعمل لاسترجاع كلِّ قريةٍ مُضيَّعه

والعربى لم يَزَلْ يصطافُ فى العالم شُهُوراً أربعه
منهجُهُ هذا الصباح رحلةٌ نهريةٌ وأشرعه
والأمسيه
فى مسرح الأوبيرج بين رقصة وأغنيه
حول الكؤوس المُنْسيَه
بين ذراعى بضّةٍ مُسْترخيه
دافئةٍ من أجل عينيها تطيبُ المعصيه

جرائدٌ منوّعه
ما بين حدّ الحقّ والباطل تبقى إمّعه

وللعناوين صَدَىً وقرقعه

ثم تذوبُ فى ثوانٍ، تتلاشى الزوبعه

القاهرة فى

١٩ رجب ١٣٩٣هـ.

١٧-٨-١٩٧٣م.

القَنَابل وَالياسَمين

في ليلة ١٠-٤-١٩٧٣ دخل الجيش الصهيوني بيروت وصيدا، ونسف البيوت وقتل ثلاثة من قادة الفدائيين، ثم هاجم مخَيّمات اللاجئين، وغادر البلاد دون أن يعترضه أحد. والشاعرة هنا توجّه العتاب إلى الأمة العربية كلها لا إلى الشعب اللبناني وحده.

من البحر أقبلَ، هاجم بيروتَ تحت الظّلامْ
وجاسَ الشوارعَ يَنْسفُ، يذبَحْ
ويصدَحُ في كفِّه طائرُ الموتِ يصدَحْ
وبيروتُ وَسْنَى تقاتلُهُ في المنامْ
وصيدا، على البحر، عشُّ حمامْ
أما في ديار العروبة كلبٌ فينَبحْ؟
أما من نعاجٍ فتنطَحْ؟
وهل نحنُ أعمدةٌ من رخامْ؟
وحتَّى الرخامْ،
له عَصَبٌ، ويَمُجُ المذَلَّةَ، ينهض للانتقامْ
وحتَّى القبورُ المُهَانَةُ ترتجُّ فيها العظامْ
وتغضبُ، تهجمُ، تجرحُ

وبيروتُ وسنى بأوديةِ الحُلْم تَسْبَحْ
ويسرح فيها العدوّ ويمرحْ
وفيها دمٌ فوق أرصفة الليل يُسْفَحْ
وعبر شوارعها شوكةٌ من لظىً تتفتّحْ
فكيفَ تنامْ؟
فكيف، بحقّ الكرامة، كيف تنام؟

وهل نحن طينُ؟
وهل لحمنا ودمانا من الخَشَب المائت؟
فلا الجُرْحُ وِرْدٌ، ولا الموتُ دينُ؟
ولا الكبرياء سوى النبض فى معدنٍ صامتَ
لماذا يُغَارُ علينا ونَرْضَى؟ ويسقط منّا المئاتْ
ونستقبلُ القصفَ والطائراتْ
كأنّ القنابل فوق مدائننا ياسمينُ
كأنّ إهاناتهم برتقالٌ وتينُ
كأنّ المذلّة دفءٌ،
وأغنيةٌ،
وحياة
لماذا يضيع الدم العربىُّ؟ وكيف يهونُ؟

وجذر القرابة فوق ثرانا متينُ
وفيم نشرَّدُ من أرضنا؟ وتمرّ السنينُ
تليها سنينُ
ونسكت لا نتمـرَّدُ، لا نتـمزَّق، لا يعتـرينا
الجنونُ
كأنّا بلا ذكرياتْ
ولا حُرُماتْ
نشيّع بالرقص والبسمات
جنائزَنا الشاحباتِ الخضيبه
نكفّنُ من دون رعشه
ولا ولهٍ شُهَداءَ العروبه
ونُرْقدهم من شعاراتنا في توابيتَ هشّه
وينسج حـولهـمـو الصـمتُ ليـلاً عـريضـاً
ووحشه
أتلكَ الوجوه المُدَمَّاةُ؟ تلك الرؤوسُ الحبيبه؟
نبعثرُها في مقابرَ من كلماتْ؟
نحاربُ قاتلَهَا بالمواويل والأغنياتْ؟
فليس لنا بين ضوء النجوم جبينُ
ونضحَكُ في وجه أعدائنا ونلينُ

ونحن على جذع أنفسنا فى الشوارع نُصْلَبْ
ولا قلبَ فينا يثور ويغضَبْ؟
ولا ليلُنا فوق شوك وسائدنا يتقلَّبْ
ولا الجُرحُ يصخَبْ
ولا أكؤسُ الذلِّ تنضَبْ
ولا الخدُّ يشحَبْ
ولا يعترينا إلى أمسنا الكوكبيّ حنينُ
ولا نتذكّرُ أنّ الحضارة كانت لنا، والوجودُ جنينُ
ولا نحن نخلَعُ ثوب الحرير المذهّبْ
ولا حُزْننا يترَهَّبْ
وموطن آبائنا فى السّلاسل ثاو حزينُ
كقبّرة فى الدياجير ترقُبُ ومضَ ضُحىً لا يحينُ
وتَسْخَرُ منّا الوجوهُ الغريبه
وتجلدُنا بالسِّياط رياحُ رهيبه
ويحجُبُ جبهتَنَا فى الليالى ضبابٌ مُهينُ
ونزعم أنّ الزمانَ غلامٌ لعوبٌ خؤونُ
وأنَّ العدوَّ لعينُ
ويَسْرِقُ أنهارَنا ودمانا العدوُّ اللعينُ

ونحن امتثالٌ، ونحن سكونُ
وأيامُنا سَهَرٌ ومجونُ
تمرّ علينا الرياح الجديبه
بلا مَطَرٍ أو خصوبه
ويحملُ واحدُنا نعشَهُ وصليبَهْ

سنقسم بالله،
بالقُدْسِ،
بالثأر، لا نتطيَّبْ
ولا في خصور الأغاني نبيتُ الدُجَى نتقلّبْ
ولا من عبير البيادر نشربْ
إلى أن نعود إلى الوطن المستباح المعذّبْ
ويصحَبُ عودتَنَا ألفُ كوكب

الكويت في

١٠ ربيع الأول ١٣٩٣هـ

١٢-٤-١٩٧٣م.

اختلاجات نحو القمَّة البَيْضاء

-١-

صوتُهُ يأتي
من خفايا ديار البنفسجْ
مثل أصداء حُلْم تموّجْ
مثل موجة أغنيةٍ تسقي شاطئَ الصمتِ
صوتُهُ أبداً يأتي
كبياض شراعٍ، كفجرٍ تبلَّجْ
كسراجٍ توهّجْ
مُغرقاً في وضاءته بيتي
كاندفاع حياةٍ يفيق على نبضها موتي

صوتُهُ المورقُ الغامضْ
صوتُهُ الوامض
عابراً كرفيف جنَاح فَرَاشَهْ
في دمي أتحسّس نبرَتَهُ وارتعاشَهْ
ساكباً في صلاتي رشاشَهْ

-٢-

هو وردى وتسبيحتى وشروقى
هو سكرُ أدعيتى وانخطافى العميقِ
هو ضوءُ هلالى الذى يلمعْ
آهِ لو أننى أسمَعْ
خطوَهُ فى سكون طريقى
مثل ضوءٍ خفىٍّ الشعاع، ملفَّعْ
عبر صحراء عُمْرى المضيَّعْ
آهِ لو كنتُ ألقط موجتَهُ فى عروقى

-٣-

يتعقّبنى دافئاً كالنشيدْ
يملؤ الكأسَ لى ألقاً ويزيدْ
من سماواته يتفجّرُ لى مَدَدُ
يتلقّفُنى أبَدُ
ويلمُّ شتاتىَ من مُدُن التشريدْ
فمتى سأكونُ له؟ إننى أنأى وأضيعْ
فى شؤون نهارى البليدْ

برقُ مشترياتيَ يخدعني عن سناه الرفيعْ
من خلال أصابع كفّي يفرُّ اخضرار الربيعْ
لا أذوقُ نَدَى ذلك الترجيعْ
لا أعي الأغنيات الأثيريّة الناديه
وهداياه في غفلتي تتبدد في نهر أيّاميه
وأضيعْ
مثل كلّ القطيعْ
في التوافِه، تَسْرِقُني مُتَعُ الأهواءْ
ومليكي يرشُّ ازرقاقاً،
وشمساً،
وحباً على صمتِ أوتاريه
من سماواته الصافيه
ناثراً رشرشات غناءْ
فتضيّعُها لَمسَاتُ أصابعيَ الوانيه
وأضلُّ طريقي إلى القمّة البيضاءْ
يتعطّلُ وِرْدي ويُحْجَبُ قرآنيه
يستحيل وصولي إلى الشُّرَف الزرقاءْ
وصلاتيَ تسقطُ أوراقُها عـن شفاهي الترابيّة
اللاهيه

وأظل حبيسة مملكتى الخاويه
ومسالكها العاريه
وهنالكَ، عندكَ، تنتقل الريحُ والأشذاءْ
من سماءٍ ملوّنةٍ لسماءْ

-٤-

يا ضياعى وعُقْم وجودى
بين تهويمتى وصليل قيودى
تتقاذف روحى رياحُ جمودى
وأجوبُ بحار جليد
ومُحَالٌ وصولى، مُحَالٌ ورودى
تتقطَعُ أوتارُ عودى
وألمَ حُطَامَ نشيدى
وأضيع حدودى

-٥-

فيم أغرقُ طول النهارْ؟
خلف غفلة أىّ جدارْ؟
أىّ قبر غليظٍ حوانى؟

وحَجَّبَ روحىَ أىَّ ستارْ؟
كيف أصعَدُ؟ إن جبينى صباحٌ مكبَّلْ
طيلة اليوم فوق صحائف كُتْبىَ أرحلْ
عبر أودية الحرف أبحث عنكَ وأذهَلْ
عن ترقرق أمواجِ خطوكَ قُرْبى
أتعطّشُ فى غُرْبتى، أتحرقُ فى جَدْبى
وعلى عالمى – دون أن أدرى – تهطل الأمطارْ
يتساقطُ بُرْدُ نَدَاكَ، يلامسُنى آذارْ
فى جبينى، فلا تتيقّظُ فى عودىَ الأوتار
لا يَمَسُّ النَدَى قلبى
آه يا مَلكى، آه يا ربّى
إن قيدى عارْ
وجمودى انتحارْ
ودمى صامتٌ، والتقاطى معطَّلْ
آه لو أتحلَّلْ
من قيودى لكى أتذوقَ ضوءكَ
وأشارف نوءكَ
إنّ عطرك أعذب من كل شىء وأجملْ
وضياؤكَ منسكبٌ، ونشيدُك جَدْوَلْ

ونسيمُكَ مُخْمَلْ
فمتى سوف أرحلْ؟
لضفافكَ؟ كيف أذيبُ قيودي؟
وأنقّي وجودي؟
كيف أهرُبُ؟ إن طريقيَ مُقْفَلْ
وستاري البليدُ الكثافةِ مُسْدَلْ
وستاريَ مُسْدَلْ

الكويت في

٥ من ذي القعدة ١٣٩٣هـ

٣٠/ ١١/ ١٩٧٣م.

للصّلاة وَالثورَه

«تلقت الشاعـرة بطاقة تهنئة بعـيد الفطر عليهـا صورة
لمسجد قبة الصخرة بالقُدْس».

يا قبّة الصخره
يا وردُ، يا ابتهالةً مُضيئةَ الفكره
ويا هُدَى تسبيحة علويّة النبره
يا صلوات عَذْبةَ الأصداءْ
جاشت بها الأبهاءْ
يا حُرْقَةَ المجهول، يا تعطُّشَ الإنسان للسماءْ
يا ولَهَ الركوع، يا طُهْرَهْ
يا وردةَ الخشوع، يا نداهُ، يا عطره
يا مسجداً أسكت تسبيحاته صهيونْ
من أجل حُلْمٍ وقح مجنونْ
كبّل فى أرجائه الصلاة والخضره
ولوّث المحراب والحضره

يا قبّةَ الصخره

يا جرحُ،

يا ضمادُ،

يا زهره

يا سَهَرَ الجراح فى ارتعاشة الشفاه

يا حرقة الدعاء، يا تنهّد الصلاه

هل تَنْبِضُ الحياه؟

فى هذه الأذرع والجباهْ؟

هل تدفق العطورُ والألوانُ والمياهْ؟

ينبجس النبعُ من الصخره؟

ويُنْبِت الفداء ورداً ساخن الحمره؟

نسقيه من تمتمة الدعاءْ

من حمرة الدماءْ

نُطعمه سنابلَ الفداءْ

نختصِرُ الزّمانَ فى تسبيحة ثَرَّهْ

يصرخ فيها عَطَشُ الثوره

يا قبة الصخره

حيث الخرابُ مُسْدلاً شعرَهْ

يا أثر السّجود فى الجباه

يا صلوات لامستْ عطورُها الشّفاهْ

يا وردةً روحيّةَ الخدودْ

قد ذَبَلَتْ ولم يُحسَّ موتَهَا الوجودْ

يا مسجداً عطشانَ للقرآن والسجودْ

مُسَائلاً كيف اختفى تهجّدُ الرُّواقْ؟

وأين تسبيحاتُهُ الصوفيّةُ الأشواقْ؟

ولهفة الجدران، وارتعاشة العمود

ورحلة البخور فى تسبيحة سائحه

وراء أهداب العيونِ السودْ

كم ضرعتْ نوافذ، وأمطرتْ أدمعها أبوابْ

فى صرعة العذابْ

كم رتّلت حكاية الإرهابْ

لوردة يتيمة، عذراءَ، مصفرّه

عطورها اضْطُرّتْ الى الهجره

دماؤها تحدّرتْ وانسكبتْ

على المصلّى قطرةً قطره

يا قبة الصخره

يا حقُّ، يا إيمانُ، يا ثوره

شمسُ حَزيرانَ طوتْها غيمةٌ في الفجر

فانطوتْ

وأُسْدل الستارُ والرواية انتهتْ

أقمارُها هَوَتْ

أنجُمُها قد أغمضتْ عيونَها، آفاقُها خَوَتْ

ورودها تحت ثلوج الظلمة انحنتْ

ودولة اللصوص والقرودْ

ترشّفَتْ دماءنا الحمراءَ وارتوتْ

ومزّقتْ أظفارُها ليونة الخدودْ

وأنشبت مخالبَ الحقودْ

في لحمنا،

في كبرياء الأرضِ،

في مراقد الجدودْ

غداً غداً، تزغردُ الرعودْ

فلتسقطي يا دولة اليهودْ

ما زلتِ في سكْره

ميّتة الضمير فى تهويمة قَذْرَهْ
تبعثرين السُمَّ والأشلاءَ بين الماء والخُضْرَه
وتملأين الكأس بالدماء والخمره
وباسم ماذا تُمْنَعُ الصلاةُ فى الحضره؟
وباسم ماذا يُسْرَقُ الأردنُّ والبيّارةُ النضره؟
وباسم ماذا تُقْتَلُ الزّهره؟

يا قبّة الصخره!
يا حقلَ قمحٍ نادبٍ عطْرَهْ
يا أرغُناً مقطَّعَ الأوتارْ
يا معبداً مروَّعَ القبابِ والأحجارْ
بينَ يَدَيْ جزّارْ
يقاتل الورودَ والسّلامَ والأقمارْ
يسطو على الثمارْ
وينسف البيوت ظلمًا، يحرق الأشجارْ
يشرِّدُ الصغارَ والكبارْ
من أرضهم فى ليلة ضائعة النهارْ
أصابع للغَدْر إرهابيّة الأظفارْ
يا قبّة الصخرة

يا جُنْحَ ليلٍ فاقد فجرهْ
متى تُرَى ستنفُضُ الغُبارْ
عن وجهنا، ونرفع الحصارْ؟
متى ترى نقتحم الأسوارْ؟
وغنوةُ الأمواج والخلجان والأغوارْ
تهمسُ في أسماعنا بأعذب الأشعارْ
هُتافها ينبض بالأسرارْ
فلنبدأ الإبحارْ
قلوعُنا والهةٌ والدَّفَّةُ انتظارْ
وفي المَدَى جزائر المرْجان والمَحَارْ

يا قبّة الصخره!
متى نصلّى فيك؟ هل ستُنبتُ البذره؟
هل نعبر المسالك الوعره؟
ترمقنا ذئابُها بالنظرة الشَّزْره
يا قُبّة الصخره
وجهك هل نحظى به يا عَذْبة النظره؟
ونحن قد شَطَّ بنا المزارْ
تقاذفَتنا البيدُ والبحارْ

وطوّحت بركبنا وأهلنا الأسفارْ
ترفضنا الكهوفُ، والغابات، والأمصارْ
خيامنا على خطوط النارْ
وزادُنا التقوى وملح الأدمع الغزارْ
يا قبّة الصخره!
متى نرى أبوابَكِ القدسيّةَ البَرَّه؟
وننتهي إليكِ عبر الشُعَب الخَطِره؟
يا قبّة الصخره
يا صمتُ، يا ضياعُ، يا حيَره
جرارُنا خاويةٌ، متى تُرَى تمتلئ الجرارْ؟
حقولنا قد يبست، فهل تُرَى ستسقُطُ الأمطارْ؟
وعند بوّاباتنا تنتظر الأقدار
متى نصلّي؟
إنما صلاتنا انفجارْ
صلاتُنَا ستُطْلع النَّهارْ
تسلّح العُزَّلَ، تُعْلي رايةَ الثّوارْ
صلاتُنَا ستُشْعل الإعصارْ
ستزرع السِّلاحَ والزنبقَ في القفارْ
تحوّلُ اليأسَ إلى انتصارْ

صلاتُنَا ستنقل الجَذْبَ إلى اخضرارْ
وتُطعم الصغارْ
فاكهةَ الصمود والإصرارْ
صلاتنا إنذارْ
إلى عدوّ خادعٍ غدّارْ
تاريخُهُ قد كُتِبت سطورُهُ
بريشةِ المكر وحبْرِ العارْ
يا قبّةَ الصخرةِ من صلاتنا سيرتوى آذارْ
وتَنْبُتُ الرّاياتُ والثمارْ
صلاتُنَا تفجِّرُ الأنهارْ
وتبعث الغناء والليمون والأحرارْ
تُعيدُنا للوطن المسروق، تمحو العارْ

يا قبّة الصخرة
يا رمزُ، يا تاريخُ، يا فِكْرَةْ
غداً غداً يختلج اسم الله فى القُدْس وفى الخليلْ
ينتفض العَدلُ المُدَمَّى صارخاً، يستيقظ القتيلْ
تنبت من دمائه، زهره
فى عطرها سُمٌّ، وتُخْفى كأسُها جمره

تَسكُبُ فى أشداق إسرائيلْ
مذاقَ هولٍ زاحفٍ من الفرات العَذْب حتى النيلْ
عندئذ ينطفئُ الغليلْ
وترتوى جدائلُ الزيتون والنخيلْ
وتَنْعَسُ الثاراتُ بعد السَّهَرِ الطويلْ
كأنما خيامُنَا عُدْنَ من الرحيلْ

يا قبَّةَ الصخره
يا لُغْمُ، يا إعصارُ، يا سجينةً خَطِرَه
على الذى يسجنها، غداً يصير سجنُها قبرَهْ
يا قبّة الصخره
حاشاكِ أن تَرْضَىْ هوان الأمّة الحُرَّه
سيهبطُ النصر على مرتّلى القرآنْ
على المصلّين، وفى صوامع الرُّهْبانْ
على الفدائيين فى أودية النيرانْ
غداً، هنا، ينفجر البركانْ
ويبدأ الطوفانْ
ينتفض الشهيدُ فى الأكفانْ
ويكسرُ القُضْبانْ

يقاتلُ الآسرَ والسجّانْ
ينتصر الإنسانْ
يرتفع الأذانْ
حُراً عبيريّ الصدى من قبّة الصخره
يرطِّبُ المهامةَ القَفْره
ويُعْلن الصلاة، والجهادَ، والثوره
في القُدْس، في الجولان، في سيناءْ
في المُدُن العذراءْ
في الريف، في سجون إسرائيل، في الصحراءْ
في الأرض، في السماءْ
سيستحيل الماءُ والترابُ والهواءْ
مدافعًا فاغرةً، وثورة حمراءْ
تزلزلُ العصابةَ السوداءْ
فيسقُطُ الطُغْيانْ
ويزهَقُ الباطلُ والبهتانْ
ويمكرونَ مَكرَهُمْ، ويمكُرُ الرحمنْ

الكويت في

٧ شوال ١٣٩٢هـ

١٢-١١-١٩٧٢م.

سَبتُ التحرير

«يوم السبت ١٠ رمضان الموافق ٦ تشرين- أكتوبر- بدأت قواتنا العربية تحريرها لسيناء والجولان وسجلت نصرًا كاسحًا وعند هذا نادت أمريكا أن على العرب أن ينسحبوا إلى مواقع ما قبل يوم السبت».

قبل يوم السبت كنّا مستذَلّينْ
وفي أعيننا يبكي ويُمْطر ليلُ تشرينْ
وكان الحزنُ، خلف شرود نظرتنا، سكاكينْ
تسوّلنا على أسوار بيّاراتنا، عشنا
جياعاً تحت ظل نخيلنا المُضْنى
وفوق مشارف الأوهام شيّدنا
مَسَاكننا، وفي أروقة الكلمات خيّمنا
وفي الحُلْم ملكناها، فلسطينْ
وبيّاراتُها كانت لإسرائيلَ، كان لها
شذى الزيتون والتينْ
وعطرُ الرمل كان لها، وكانت نكهة الطينْ
وشيّعنا جنائزنا وبين قبورنا تِهْنا
مشَيْنا فوق أرصفة اللظى في طور سينينْ

أكلنا الثلجَ والريحَ شتاءَ
وصباحَ السبتِ أصبحنا ضياءَ
وتوهجنا، أنرْنا ليلَ سيناءَ الحزينْ
وتفتحنا وروداً،
ورصاصاً،
وغناءَ
شَفَةُ الجولان غنّتنا، وحرّرنا لواءً فلواءَ
من مغانينا السبيّه
وانتزعنا أرضنا من بين أشداق الذئاب الهمجيّه
انتزعناها من الإرهاب، من ذلّ سراديبِ الطُغَاة
البربريّه
وجعلنا رملها كحلاً لأهداب العيون العربيّة
لم نعد تحت سَمَاها غرباءَ
والدجى، عبر صحارى عُمْرنا الدامى أضاءَ

فى صباح السبت صارت عيننا صفحة مرآهْ
وأومض خلف شاطئها سنا الله
وعبر بحار ذلّتنا أطلّتْ جزُرُ النصرِ
عرَفْنَا المدَّ بعد مُلُوحة الجزْرِ

أحاط بنا شذى هَمْسِ
يقُصُّ حكايةً من دفتر الأمسِ
عن المجد الذى غَمَّسَ بالضوء ربَّى (بَدْرِ)
وحيث (محمدٌ) معصوبةٌ يُمناهُ بالشمسِ
وفى الجولان والأودية المصعوقة الخُرْس
بريقُ صمودنا أو مضَ فى الصدر
وفى الشعر
وفى سيناء أورقنا وأزهرنا
وسالتْ من أصابعنا بحيراتٌ وأمواهْ
تدفّقَ سيلُنا والسهلُ منهمرٌ صواريخاً
وليلُ عدوّنا تاهْ
حملنا الشمسَ فوق أكفّنا، صرنا رؤىً فى
شَفَةَ العصر
وأمطر نصرُنا الخِصْبُ على الجولان فُلاّ
بعد ستٍّ من سنينٍ كالحاتٍ
عبرها كنا قُتلنا نحن قتلا
ومُضغنا تحت أنياب الصهايين نهاراً
ومُضغنا نحن ليلا
أطعموا أطفالنا (النابالم)،

لا، لم يُطعموا الأطفالَ عنقودَ عنبْ
لا ولا أعطوا صغيراً كيسَ حلوى،
أو قطاراً من قَصَبْ
تركوهم في دهاليز الدُجى جرحى وقتلى
مـزّقـوا صدر العـذارى ليـروحـوا بقـرائين
الذَهَبْ
يا عيوناً من زجاجٍ! يا قلوباً من خَشَبْ!

وأطلَّ السبتُ يا صهيونُ مَهْلا
سبتكم أنتم؟ مضى!
ضاعَ!
تولّى!
وأتانا سبتُنا ينثر تحريراً وفُلاّ
حقدُنا صام وصلَّى
دَمُنا المسكوبُ فى غزّةَ قد أصبح أغلى
طعمهُ فى فمنا قد صار أحلى
صوتُهُ أصبح أعلى،
فتلقَّوْا، إننا اليوم صواريخُ غَضَبْ
ومتاريسُ لَهَبْ

قبل يومِ السبتِ كنا،
في صباحِ السبتِ أصبحنا،
وأمريكا تُريدْ
مَحْوَ يومِ السبت من أعمارنا
خسئتْ فالسبتُ ميلادٌ جديدْ
ومياهٌ غسلتنا، طّهرتْ كلَّ زوايا عارنا
سبتَنا يا شَفَقَ الورد على أشجارنا
سبتنا يا طائراً أخضرَ يا إطلالة الفجر الوليدْ
إن يوم السبت تفجيرُ براكينَ وألغام نشيدْ
لامستنا فيه كفُّ الله،
واجتثَّتْ جذورَ العار من أغوارنا
وأتانا رمضانُ، هلّ بالضوء،
وبالنصر على أقطارنا
بللتْ حرقَتَنا رشّةُ ثلجٍ،
من شذى أمطارنا
أنعشت ما أيبستهُ الريحُ والأحزانُ من أشعارنا

كان يوم السبت للأعداء عاراً وأراجيحَ جنونْ
وسنُبقيه لهم حائطَ مبكى عنده يبكون، يبكونْ

على أحجاره السود يطوفون
ويوم السبت درب قاتل فيه لصهيون
سَعَال ومتاهاتْ
ذُرَاهُ وَعْرة وله زوايا وانحداراتْ
[على أشجاره ثمةَ كنَّاراتُهم] خرساءَ ملقاة(*)
فلا فَرَحٌ يناغمُها،
ولا تنسابُ من أوتارها أيّة آهاتْ
ويومَ السبت نُهديه لصهيونَ: دقائقُهُ البطيئاتْ
ستجعلُهُمْ يلوبون
وفي سيناءَ ثانيةً- كما تاهوا- يتيهونْ
إلى أبد الزمان وليس من موسىَ- لِيُنْقذَهُم- وهارون
فموسَى غاضبٌ يلعنُهم،
والسُخْط قد ألهبَ هارونْ
سلام الله والحبّ على موسى وهارون

ويومُ السبت للعُرْب شبابيكُ من الخُضْرة والنورْ
أزاهرهُ تتوِّجُ رأسَنا، أضواؤه شذرٌ وبلّورْ
برودتُهُ ترطِّبُ جُرْحَنا الصيفيَّ
تغسلُ حُرْقة الشرُفات والدورْ

وتَشفي دمنا المسكوب في الجولان، في غزّةَ، في القُدْسِ
وتسقي حُزْنَ قتْلانا على مُنْحَدَر الطورْ
ويومُ السبت فارسُ حُلْمنا الأسمر بالورد سنلقاهْ
نضاحكه، نراقصهُ، تغازلُنا جدائلُهُ وعيناهْ
وحتى في مروج الحُلْم والذكرى سنلقاهْ
فلا أمريكةُ الطاغيةُ الخرقاءُ تسلبنا مراياهْ
ولا نحن سننساهْ
وما قد كان قبل السبتِ من صبرٍ فإنّا قد محوناه
إلى وادي المنايا قد جرفناهْ
وشيّعنا الى مقبرة التاريخ جثّتهُ وذكْراهْ
ويومُ السبت سنبلةٌ،
وأغنيةٌ،
ومرآه
وأجنحةٌ على سيناءَ والقُدْسِ
تطيرُ بنا إلى الشمسِ
ويومُ السبت أعيادٌ، ونصرٌ جارفٌ، نصرٌ من الله

بغداد في

١٧ رمضان ١٣٩٣هـ

١٢-١٠-١٩٧٣م.

عن السلام والعدل

«تحدّث قرار مجلس الأمن المرقم ٢٤٢ عما سمّاه بسلام عادل دائم في الشرق الأوسط، ناسياً أن السلام يعني أن تقبل الاستعمار الصهيوني، متناسياً أن وجود إسرائيل في فلسطين ليس من العدل أساساً».

سلامٌ عادلٌ دائمْ
سلامٌ والفلسطينيّ في الفَلَوَاتِ، تحت الريح،
طيفٌ ضائعٌ هائمْ
شريدٌ في جبالِ الشوكِ والأحزانْ
ويعجنُ خبزَهُ بدماء عينيه، ويغزلُ باليَ الأكفانْ
ويذرعُ مُقْفِرَ الوديانْ
وفي حيفا، وفي يافا وسادٌ للعدوّ مريَّشُ ناعمْ
وقصرٌ أزرقُ الجُدْرانْ
غريقٌ في بحور الضوء والألوانْ
وأطفالُ الفلسطينيِّ أفقٌ كالحٌ غائمْ
وراء جفونهم يمتدُّ غورُ التيه يسرح واقعٌ قاتم
ويقتسمون إرثَ الريح مرتجفينْ
ويفترشون ثلج الطينْ

فلا حلوى، ولا لُعَبٌ، ولا رسمٌ، ولا تلوينْ
فليلهمو خريفىٌّ، ونيسانهمو تَشْرينْ
وأطفالُ العدوّ لهم أراجيحُ النجومِ
وكعكةٌ من تينْ
ملابسهم من (التفتا) من (الموسلينْ)
وأعيُنُهمْ تألُّقُ شمعتَىْ ميلادْ
وفرحةُ رِحْلة بحريّة نَشْوَى
على موكبها تتوهّجُ الأعيادْ
وفوق رؤوسهم تيجان آسٍ،
ليلكٍ،
نسرينْ

تباركَ مجلسُ الأمنِ،
وبوركَ فى عدالة قرننا العشرينْ

سلامٌ عادلٌ دائمْ
وعدلهمو قد اغتسلتْ مخالبُهُ
بأنهار الدم النازف من جُرْحٍ
بخاصرةِ المراعى فى كَفَرْ قاسِمْ
أظافرُهُ مغمّسةٌ بنهرٍ من دماء اللاجئ الساهمْ

وسلمهمو له طعمُ الخناجر، فيه إيقاع السكاكينِ
له حرُّ البراكينِ
له وقعُ الرياح، رياح تَشْرينِ
على جبهة شيخٍ نازحٍ محمومْ
ينام على وسادِ الريحِ، ملتحفاً دثارَ غيومْ
وسلمْهمُو مذابحُ دير ياسينِ
يربّي فى هضابِ القُدْس حُزْن مسائها المهمومْ
ويعرف طعمهُ الشّعبُ الفلسطينى

سلامٌ عادل دائمْ
يُعَانقُ غاصبَ الأرض، يقبِّلُ فى هوىً عطشانَ
وجهَ القاتل الظالمْ
سلامٌ عطرُهُ يجرحُنا، ألوانُهُ تلذَعْ
أغانيهِ طبولُ مذابحٍ تُقْرَعْ
نسائمه أفاعٍ شَرْسَةٌ تَلْسَعْ
وأهونُ منه مضْغُ النارْ
وأسهلُ منه أن نرقد تحت الثلج والإعصارْ
ونَلْقَى بالصدور قذائفَ المدفعْ
سلامٌ خادعٌ غدّارْ

يلطّخُ جيلَهم بالعارْ
ويصبغ خدَّهم وجبينهم بالقارْ
وعَدْلٌ طعنَةُ السكّين أعدلُ منه،
أطهر طلعةً،
أنصعْ

غداً شعبي نهارٌ أخضَرُ العينينْ
سيُطْلِعُ من رُبَى القُدْسِ لنا فجرينْ
يزيحُ عن الورود مقابر الثلجِ
يُحيلِ الغابة المظلمة الصمتِ إلى وَهْجِ
ويمسح ذلّةَ المرجِ
ويُطْفِئ شعْلَة البغي ويردُمُ كلَّ مستنقعْ
ومن مَغْربِ شمسِ عدوّنا يصنعْ
لنا قمراً، وأوسمةً، وبحراً غاضبَ اللجِّ
مديداً لا نهائيَّ الشراسة، ساخطَ الموجِ
ونسهرُ ليلَنا نزرَعْ
بذور اللّوزِ والبرسيمِ، نبني البيتَ والمصنَعْ
وهل أجملُ هل أروعْ
من الفجر القريبِ، ومن سلامٍ أبيضٍ دائمْ

يرفُّ فراشةً زرقاءَ، يمسَحُ ليلَنا القاتم
سلامٌ سوف نُنْبتُهُ بأيدينا
ولا يمنحُنَا إيّاهُ في برد ليالينا
أعادينا، ومن والَى أعادينا

غداً شعبيَ نَهْرٌ يجرفُ الأوحالْ
يُغَلْغلُ في الرُّبى المقطوعة الأوصالْ
يُنَمِّي شَعْرَها، يزحَفُ في شَغَفٍ إلى غـزَّةَ
والقُدْسِ
ويحملُ للخليل توهّجَ الشمسِ
يزيح الظلم والظالمْ
ويُعطِينَا الدوالي،
والأغاني،
والسلام الأزرق الباسم
ويُسْلم خُضْرَةَ التحرير للبيّارة الثكلَى
ويُطْلِع فجرنا الأحلى

الكويت في

١٥ شوال ١٣٩٣هـ

١٠-١١-١٩٧٣م.

شَمسٌ للقَاهِرَة

«زارت الشاعرة مدينة القاهرة في شهر آب ١٩٧٣
وحيتها بهذه القصيدة وكان ذلك قبل حرب رمضان».

تحية يا قاهره!
يا ومضة الكواكب المسافره
يا عُشَّةَ الحَمَام، يا مأوى الطيور الصافره
يا نَعْسَةَ الجمال في هُدْبِ العيونِ الفاتره
حيِّيت يا سيفَ صلاح الدينْ
يا صخرةَ الصمود، يا أرضَ الفدائيينْ
يا أرَقَ اللهيب، يا سُهْدَ القلوب الصابره
يا مَجْدَ هذى الأرض، يا محبرة التاريخ، يا دفاترَهْ
يا موجةً عذراءَ قرآنيّةً،
تلطمُ شطآنَ القرونِ الهادره
يا مَطَراً من مقلتىْ تَشْرينْ
يا عُنُقاً مُمَدّداً وفوقَهُ سكّينْ
تنتحر السكّينْ
وأنت تبقَيْنَ لنا يا قاهره
غيمةَ حبٍّ ماطره
تبلل الصحراء، تهمى مطراً من سكّرٍ وتينْ

تحيّة للقاهره

باقةُ حبٍّ ضفرتْها شاعره
ونغمةٌ تمطر ثلجاً لرمالٍ تحت شمسٍ صاهره
تحيّةَ للنيل، نهر الخصْبِ والسلامْ
لمعبدٍ مسهّد، سهرانَ لا ينامْ
للأزهر العتيقِ، للأهرامْ
لرمل سيناءَ التى تهيمُ فى أودية الظلامْ
تحت الأكفّ الجامحات الماكره
فلتصبرى يا قاهره
يا بجعةً مع النسيم طافره
الضوءُ قد أسدل فوق عُشِّها ستائره
والنيلُ قد وسَّدها ضفائره

مهمومةٌ يا قاهره
محلولةُ الشَّعر على الأرصفة المهدومه
كطفلة جائعة محرومه
حزينةٌ حزنَ الليالى الماطره
فلتعلمى يا قاهره
أنّ العدوّ حربهُ مُقَامَره

وظلُّهُ غيمة صيف عابره

وحكمه فى تلْ أبيبَ قلعةٌ موهومةٌ تسيرُ لانهدام

قابعةُ تحلم، كالخفّاش، بالأنقاض والظلامْ

فجرَ غد فى أرضها تزغرد الألغامْ

نَخْرجُ منَ قماقم الأوهامْ

نسلّح النيامْ

نقلّمُ المخلبَ والمؤامره

نسقيك من جدب الصحارى لَبَناً يا قاهره

فجرَ غد، تُقاتل الأقْصُرُ والأهرامْ

وينهضُ النيلُ إلى انتقامْ

ويغضَبُ الأزهر، يستنهض فى نقمته منائرَهْ

تثور فيه حَلَقَاتُ الدرس والأوراقُ والأقلامْ

سينهض الحقُّ من المَسْلَخ جبّار اليدين

ساقياً من دمهم أظافرَه

يطردُهُم ويغسلُ الوهادَ والآكامْ

من دَرَنِ القافلة الوحشيةِ الأقدامْ

ويومها تطلع شمسٌ عذبةٌ للقاهره

وغُصَّةٌ لنكسنِ وسائر السماسره

ويومها يكون الابتسامْ
ويُنْبِتُ السَّلامْ
في حقلنا كرومَهُ، أعلامَهُ، بيادرَهْ
يعود للعشّ ضياءُ الأنجم الحزينة المهاجره
وبعد طول السُّهْد
ترتاح على النيل عيونٌ ساهره
وترجعين طفلةً ضاحكة الأحلامْ
يا قاهره!
يا قاهره!
وتُسْدلين شَعْرَكِ الطويلَ موسيقىً وضحكاً
تحت هُدْبَ نجمة مُسَامِره
وتصبح السكّينُ ذكرىً غابره
بعيدةً، مطمورة ، ممسوحةً
وراء بحر اللانهاياتِ
وخلف الذاكره

القاهرة في

٥ رجب ١٣٩٣هـ

٣-٨-١٩٧٣م.

تحية للطفلة (داليه)

«طفلة صديقنا الشاعر الدكتور عبده بدوي».

خـضـراء بـرّاقـةٌ مُـغْـدقَـةْ ... كـأنـهـا فلقـةُ الفـسـتـقَـةْ
شـفـاهها شَـفَقٌ أحـمـرٌ ... كم حـاول الـوردُ أن يسـرقـه
الشَّـعـر سـبـحـانَ مـن لَمَّـهُ ... والصـوتُ سبـحـانَ من رقّـقَـهْ
داليـةٌ عـذبةٌ غـضّـة ... فى هُدْبِهـا نجـمـةٌ مُـشْـرقـه
سـمـرتُهـا عَـسَـلٌ سـائلٌ ... الحُـسْنِ فى خـدِّها رقـرقـه
عـصـفـورةٌ حلوةٌ كـالرؤى ... من يا تُرى صـوتُهـا مَـوْسَـقَـهُ؟
الفـجـرُ أهدى لـهـا قُـبلةً ... والمرجُ ألـقى لـهـا زنبـقـه
وتملأ البـيـت من فـرحـة ... بالضـحـك والرقص والزقـزقـه
داليـةٌ مـثلُ جنيّـةٍ ... تأسـرنا روحـهـا الشـيـقـه
لعلّهـا فى غـدٍ نَجـمـةٌ ... تُزيح أحـزاننا المطبـقـه
وتنـقـذ العـصـرَ فى رُعْبـه ... من قـلق الحـبـل والمشنقـه
وتُرجـع القُـدْس للنازحـين ... ،تمسح الأدمع المحـرقـه

الكويت فى

٨ من ذى القعدة ١٣٩٣هـ.

٣/ ١٢/ ١٩٧٣م.

يغير ألوانه البحر

تقدمة
بقلم الشاعرة

تضم هذه المجموعة الشعرية قصائدى التى نظمتها سنة ١٩٧٤، وقد عنونتها «يغيرألوانَهُ البحرُ» وتسبق هذه القصائد مجموعة عنوانها «للصلاة والثورة» أدرجت فيها قصائد سنة ١٩٧٣، ومازالت هذه المجموعة لدى دار العلم للملايين، وقد حالت أحداث لبنان دون طبعها حتى الآن.

ولست أحاول أن أكتب مقدمة لهذه المجموعة، وإنما لى ملاحظة على قصيدتين فيها هما: «زنابق صوفية للرسول» و«تمتمات فى ساحة الإعدام» وقد ابتدعت فيهما بحراً جديداً غير مستعمل أضفت به إلى بحور الشعر الحر الصافية، ووزن هذا البحر فى أصله العروضى «مستفعلن فاعلن فعولن» وهو الوزن الذى يسميه العروضيون «مُخَلّعْ البسيط»، وقد لاحظت فجأة أن من الممكن أن نقسم هذا البحر إلى تفعيلتين فى الشطر الواحد بحيث يصبح هكذا:

مستفعلاتن مستفعلاتن   مستفعلاتن مستفعلاتن

والفرق بين هذا الوزن الصافى وأصله فى (مُخَلّعْ البسيط) حرف واحد كما يلى:

مستفعلاتن مفاعلاتن

مستفعلن فاعلن فعولن

وأول سؤال يتبادر إلى ذهن القارئ الذى لا يحسن العروض أو يفهمه هو «لماذا لم يتنبه الخليل بن أحمد إلى هذا الوزن؟ ولماذا لم يكتبه على

مستفعــلاتن مفاعلاتن؟» وجواب هذا السؤال أن التفعيــلات العشر التى جعلها الخليل أساساً لعــروضه لا تتضمن الزيادات والنقــصان فهو قد وضع التــفعيلة «مستفــعلن» دون زيادة ولا نقصان، فإذا اعترتها زيادة ســبب خفيف «تن» فإن الخليل لم يســمح أن تقع هذه الزيادة إلا فى عروض البـيت وضربه، ومن ثم يكون لدينا «مستفعلن مستفعلاتن» ولا يجوز أن نقول «مستفعلاتن مستفعلن»؛ لأن هذا السبب الخـفيف لا يزاد فى حشــو البيت مطلقاً، ولذلك أيضــاً جعل الخليل وزن مُخَلّعْ البسـيط «مستفعلن فـاعلن فعولن»، ومهما يكن فـإذا كتبنا الوزن بزيادة حرف واحد على مخلع البسيط الخليلى «مستفعلن فاعلين فعولن» نتج لدينا «مستفـعلاتن مستفعلاتن» وهو وزن صــافٍ يضيف بحراً جديداً إلى شعر التفعيلة، فبتكرار «مستفعلاتن». . . أى عدد منٍ المرات فى الشطر الواحد ينتج لدينا شعر حر كما يلى:

مستفعلاتن مستفعلاتن

مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن

مستفعلاتن

مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن

وما كــدت أهتدى إلى هذا حتــى اعترانى فــرح غامر؛ لأن إضــافة وزن جديد إلى أوزان الشــعر الحر ســيوسع مدى هذا الشــعر ويعطيه بعــداً جديدا، وبادرتُ فوراً إلى نظم قصيدة «زنابق صوفية لــلرسول» وكانت فكرتها مختمرة فى ذهنى منذ حين فتفرغت لنظمها وقلت:

البحر إغماء لحن حبٍّ، البحر زرقه

مستفعلاتن مفاعلاتن مستفعلاتن

البحر طفل مسترسل الشعر للضحى فوق مقلتيه

مستفعلاتن مستفعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن

انكسارة، رقّة، وشهقة

مفاعلاتن مفاعلاتن

ونجحت الفكرة نجاحًا باهراً، وأتممت القصيدة فى يسر، وعندما انتهيت منها أحسست أننى أضفت إلى الشعر الحرّ وأوزانه الصافية السبعة، فهذا بين أيدينا بحر صافٍ ثامن، وليس يخفى أن تحول (مستفعلاتن) إلى مفاعلاتن بالخبن، وإلى مفتعلاتن بالطى، قاعدة واردة فى زحافات الرجز وضعها الخليل نفسه.

واندفعت اندفاعاً حاراً أنظم قصيدة «زنابق صوفية للرسول» المنشورة فى هذه المجموعة... ولكن: بعد انتهائى من نظم القصيدة لاحظت أننى وقعت فى خطأ تكرر مراراً عبر القصيدة؛ ومؤداه أننى كنت أقول أحيانا «مستفعلاتن/ فعولن/ فعولن فعولن» فأنتقل من تفعيلة الرجز التى بدأت بها إلى تفعيلة المتقارب، وكانت أذنى تتقبل ذلك وهو الأمر الغريب، وقد حدث مثل هذا تماماً فى قصيدة «تمتمات فى ساحة الإعدام» التى هى أيضاً من (مُخَلّعْ البسيط)، وغاظنى هذا غيظاً شديداً، فلماذا أقع أنا فى هذا الخطأ فأبدأ الشطر بمستفعلاتن وأنتهى بفعولن كما فى قولى:

وقلت فى لهفةٍ أتوسل: أحمد، أحمد

مفاعلاتن فعول فعول فعول [فعول مصابة بالقبض]

والغريب أن سمعى يتقبل هذا حتى الآن، وكانت التفعيلة «فعولن» تشاكسنى وتظهر فجأة فى أواخر بعض الأشطر.

بعد ذلك حاولت أن أصحح هذا الخطأ، فوجدت أن جو القصيدة

سيتفكك وتزول حرارة المعاني؛ فآثرت أن أتركها كما هي على أن أتحاشى الخطأ في المستقبل، وبالفعل عدت عام ١٩٧٥ إلى الوزن الجديد، ونظمت منه قصيدة طويلة هي «نجمة الدم» لم أخرج فيها على الوزن مطلقاً وإنما حافظت على «مستفعلاتن» عبر القصيدة كلها، وهذا نموذج منها:

بيروت غابه

مستفعلاتن

ومن دماء القتلى على جفنها سحابه

مفاعلاتن مستفعلاتن مفاعلاتن

أين ترى البحر؟ كان بالأمس ها هنا يا بيروت بحر

مفتعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن مستفعلاتن

تكتب أمواجه وتمحو وينثر الشذر والغرابه

مفتعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن

والحقيقة أنني لا أدعو أي شاعر إلى استعمال الوزن الأول المختلّ، وأعترف أنه حدث دون أن أنتبه خلال وهج الحالة الشعرية، وإنما جاء الانتباه بعد الانتهاء من القصيدتين: «زنابق صوفية للرسول» و«تمتمات في ساحة الإعدام»، ولا شيء أدافع به عن نفسي إلاّ كون هذا الوزن ابتكاراً مني ولم يستعمله الشعراء قبلي بحيث تكون أمامي نماذج وأكون مجهزة بتجارب.

بعد هذا أضع بين يدي القارئ مجموعتي هذه، راجية أن تنال رضاه وتعطي جديداً إلى شعرنا الحديث.

الكويت ١٩٧٦/٦/٩

نازك الملائكة

ويبقى لنا البحر

وقفنا على البحر تحت الظهيرة طفلين منفعلينْ
وروحى يسبح، عبر مروجكَ
فى نهر عينين مغدقتين
وقلبى يركض خلف سـؤالٍ
حملتْ براعمه عطر مَرعىٍّ، على شفتيك

سؤالُكَ فيه عذوبةُ ريحِ الشمالِ
وروعة أغنية سكبتها، كمنجات شوقٍ مخبأة فى يديك
سؤالُكَ لونٌ سماء على بِرَكٍ ودوالى
سألت عن البحر هل تتغيّر ألوانُهُ؟
وهل تتلون أمواجُهُ؟ هل تُرى تتبدلُ شطآنه؟

سألتَ وعيناك واسعتان اتساع الرؤى
ووجهك نجمٌ نأى
وسُفْنٌ مضيّعة لم تجد مرفأ
سألت وهدبُكَ دهشةُ طفلٍ
ورعشةُ سنبلةٍ، وتَموج حقلٍ

وكانت يداكَ شراعين منهمرينْ
على زورقينْ
وراء المدى والرؤى شاردينْ
وقلتُ، نعم، يا حبيبى
يغيّر ألوانَهُ البحرُ،
تعبر فيه سفائن خُضْرُ
وتطلع منه مدائنُ شُقْرُ
ويشربُ حيناً دماءَ الغروبِ
ويصبح حيناً بلون الفضاءْ
يلملم زرقَتَهُ يا حبيبى
ويحلم، يرنو بعينين شذريتينْ
سماويّتينْ
إلى اللانهاية، يأخذُ لونَ الضياءْ
صباحاً ويُطفئ كلَّ ثرياته فى المساءْ

سألتَ عن البحر، هل تتغير ألوانُهُ؟
وهل تتلونُ أمواجُهُ؟ هل تُرى تتبدل شطآنُهُ؟
نعم يا حبيبى،
وبحر يُلاَطم وديانَ نفسى

ويرحَلُ عبر موانئٍ لونٍ وشمسٍ
وعبر حقول مغيبِ
ويغتَسل الغسق القَمريُّ بأمواجه ويبلّل شعرَهْ
ويُلْقى إليه سماءً وفكره
نعم يا حبيبى، نعم، ويلّون خلجانَهُ
نعم ويغيّر ألوانَهُ
فيشربُ صُفْرة شكّى وظنّى
ويصبح أزرق فى لون لحنى
وتُبحِر فى شذر أمواجه أغنياتى وسُفْنى
ويصبح أبيَض، تصبح لجّتُهُ ياسمينه
ويصبح أخضَرَ، مثل اخضرار العيون الحزينة
ومثل زبرجد نهر النهاوند فى قعر حزنى

سألتَ عن البحر! هل تتغير ألوانُهُ؟
وعيناكَ بحرٌ ترامى وضاعتْ
حدود مداهُ وشطآنُهُ
نعم يا حبيبى، بغيّر ألوانَهُ ويصير بلون الرمادْ
له كل طعم ليالى السهادْ
رماديةٌ كل أسماكه، ورَمَادْ

لآليه،
إسفنجه،
اخطبوطاته، ورمادْ
مدائنه الغارقات القباب، ولونُ الرمادْ
جبينٌ غريقٌ طفا وتوسّدَ أمواجَهُ الملح، مغميٌّ عليهْ
ويبتلع الماء، والملح عوسجةٌ ورمادٌ على شفتيهْ
وبحري وبحرك، بحرُ الرمادْ
حنونُ الفؤاد
له قسوةٌ تلثُمُ الجرحَ، تفرش لين وسادْ
وبحري وبحرك شاكس جسم الغريق الرماديّ
أرسل موجتَهُ القاسيه
لتلطمه، وعروس بحورٍ لتحملَهُ،
للرمال النبيذية الناسيه
ويرقد من دون وعيٍ على الجرف، مغميٌّ عليه،
وبحر الرمادْ
يرشرشُ إغماءَهُ، والشبابُ الغريقْ
تغازل خدّيه، موجة حبٍّ، وتغسل جبهتَهُ وتريقْ
عليه المحبّة والملح والرغو،...
حيناً يغطي الجَسَدْ
وحيناً يعود ويرتدُّ عنه، ويتركُهُ لذهول الأبد

ويا من تسائلنى:
هل يغيّر بحرى وبحركَ ألوانَهُ؟
ومثل الغيوم يلوّنُ، يرسمُ، بالزيت والفحم شطآنَهُ؟
حبيبى لقد كان لى فى الطفولة جَدُّ
طويلٌ كمثل جدائل شعرِ ربيعٍ وريفْ
وكان لجدّى عمقٌ،
وظلٌ،
وبُعْدُ
له عنفُ عاصفةٍ فى خريفْ
وكان مدىً فى بحارٍ مطلسمةٍ لا تُحَدُّ
وجدّىَ كان قوياً كموجة بحرٍ مخيف

وفى ذات يوم سرَتْ ألسن النار فى بيتنا
مضت تمضغ الباب، تُشْعل لين الستائرْ
يدور اللهيبُ دوائرْ
يزمجر فى شُرُفات مَنَانا، ويضحك من رعبنا
يهدّد أن يتوسّع، يركض فى حيّنا
وينذر أن يتغدّى خدوداً،
شفاهاً،

ضفائر
ويغتال حتى شباب البيادرْ
وأقبل جدّى مندفعاً مثل موجة بحرِ
وأرسل صيحة هولٍ وذُعْرِ
تحدّر فى عنف إعصار نوء، يسبُّ ويلعنْ
شتائمه مطرٌ وحنانٌ، شراستُهُ بيت شعرٍ مُلَحَّنْ
وهمسُ صلاة، ونجمة فجرِ
وزورق عطرِ
ومدُّ السباب على شفتيه غديرٌ ملوّنْ
وأطفأ جدّى الحريق، وأنقذ هدبى وشعْرى

حبيبى، وجدّى قد كان بحرا
يغيّر ألوانَهُ وتصير محاجر عينيه سوداً وخُضْرا
يبدّل أمواجه، يترامى، يصوغ لآلئْ
يُسيل ينابيعَ، يرسى شواطئْ
ويبدع مدّاً، ويصنع جَزْرا
يبعثر عبر ازرقاق الخليج جزائر شُقْرا
وكانت جرادله وهى تلعن، كانت قماقم بَلْسَمْ
تكسّر أسورة النار، عن ساعدٍ ليّنٍ وذراعٍ ومعصمْ

وقسوة أمواج بحرى وبحرك صارت اكفاً وصدرا
لتحمل جسم الغريق الرمادىّ تمطره قُبُلاتٍ وزهراً
وترميه فوق ضفاف السلامه
رفيفَ جناح حمامه
وتعطيه عمراً جديداً
وتزرع إغماءَهُ حُلُماً
وسنابل ذكرى
وبردَ غمامَهْ

عن اللون والبحر تسألنى يا حبيبى؟
وأنت شراعى
وألوان بحرى
وغيبوبة الحُلْم فى مقلتى
وأنت ضباب دروبى
وأنت قلوعى
وأنت ذُرَى موجتى
ووردة حزنى، وعطر شحوبى
عن اللونِ والبحر تسألنى يا حبيبى
وأنت بحارى

ومرجانتى ومحارى
ووجهك دارى
فخذ زورقى فوق موجة شوقٍ مغلّفةٍ، خافيه
إلى شاطئ مبهم مستحيل
فلا فيه سهلٌ ولا رابيه
إلى غَسَقٍ قمرىِّ المدارِ
عميق القرارِ
وليس له فى الظهيرة لونُ
وليس له فى الكثافة غُصْنُ
ولا فيه هولٌ، ولا فيه أمْنُ

هنالك سوف نضيعْ
ونأكل دفء الشتاءِ، ونقطف ثلج الربيعْ
ونغزل صوف الصقيعْ

هناك لا طول للظل فى حُلْمنا لا قِصَرْ
ولا دفترُ للقدرْ
ولا شىء يمكن أن يرتقيه النَظَرْ
سوى موج أغنيةٍ تتحدر عبر جبال القَمَرْ

ونضحكُ نبكي وعيناك تعكس لون البَحَرْ
ويبقى لنا اللونُ،
والبحرُ،
والأبد المنتظَرْ

١٥ جمادى الآخر ١٣٩٤هـ

٥-٦-١٩٧٤م.

الماء والبارود

من ذكريات حرب رمضان (أو اكتوبر) سمعت الشاعرة أن فرقة من الجيش المصرى فى سيناء كان أفرادها صائمين، وحان موعد الإفطار وقد نفذ الماء عندهم فراحوا يتضرعون إلى الله، فجاءت طائرات إسرائيلية وقصفت المعسكر فتفجر الماء من الأرض حيث كانت مواسير المياه اليهودية مدفونة.

اللّه أكبرُ
اللّه أكبرُ
هتافة الأذَان فى سيناءَ تُبحرُ
من موجها تسيل فى الصحراء أنهرُ

اللّه أكبرُ
نداءُ رحمة ند تشربه الرمالْ
مدّ جناحيه، ارتمى فى حُضُن التلالْ
محمولة أنغامه على شراعٍ أبيضٍ مرورهُ معطَّرُ

اللّه أكبرُ
يا صائمون افطروا
من شفة المؤذن الخاشع يهمى المَطَرُ

والله باسطٌ عليكم أجمل الظلالْ
تسبيحة معطَره
ورحمة من السماء انحدرتْ معسولة مقطّره
يشرب تهويماتها المعسكر القابع فى الظلماءْ
عطورها منهمره
على جنود مصرَ فى سيناءْ

تجمّعوا وخيّموا فوق قفارٍ محرقات الرمل فى الصحراءْ
وهم عطاش لم يذوقوا منذ أمس الماءْ
شفاههم منعصره
صيامهم من عطش حناجرٌ مستعره
لكنّ فى وجوههم ضراوةَ الصاروخ والمدافع المزمجره
و(الله أكبر) على شفاههم غناءْ
بنورها، بسرّها يزحزحون القلعة الشمّاء
ومن لُهاث العطش القاتل باتوا يشربون حُرْقة الهواءْ
عيونهم تستمطر السماءْ
ربّاهُ فجّر بين أيدينا عيونَ الماءْ
هاتِ أسقنا يا ربّ من لدنْكَ كأس رحمة مطهّره
يا واعد المؤمن بالصحو وبالظلِّ الندىْ الظّليلْ

هاتِ اسقنا كما سقيتَ الطفل إسماعيلْ
كما رويتَ أمَّهُ الوالهة المنكسره
بعد هيامٍ ضائعٍ طويلْ
فى مُدُن العويلْ

جنود مصرَ فى تلال النار والحُمَّى
وصفرة الرُّبى المبعثره
جاءوا لوجه الله ذاقوا لذعة الصيامْ
تهدّجت تحت أكفهّم صواريخٌ،
وكانت لهمو الشرابَ والطعامْ

جنود مصر نقمة منفجره
وحرقة إلى كؤوس الماء لا تنامْ
إيمانهم صيّر سيناء لطيّارى اليهود مقبره
رمالها مزمجره
وهم عِطاشٌ يتلوون صدىً وتعطش الخيامْ
وحقد إسرائيل قد صيّر جناتِ الوجود مجزره
وامتصَّ نُسْغَ الشجره

رملٌ...، وريحٌ تزفرُ...

وبطن وادٍ ساكن معفَّرُ

ينهض فى جانبه العطشان بيت الله

وخيمة صغيرة لهاجر... وليس من حياه

لا ظُلَلٌ نديّةٌ لا مهَد أعشابٍ ولا مياه

وصوتها يهتف: إبراهيمْ!

يا مغدق الحنان والرأفة، إبراهيمْ

لأين تمضى مسرعاً؟ لأين إبراهيم؟

وفيم قد تركتنا فى قلب رمضاَء هنا نهيم؟

لا حبً، لا شفاهْ

تمنحنا أغنية، تبارك ابتهالنا فى خشعة الصلاه

وحولنا وادٍ سحيقٌ مقفر ضَيَّعَنا مداه

وليس من شاةٍ هنا فما الذى سننحرُ؟

وليس من شجيرة تُظلِّنا وتثمرُ

وليس من سحابة تمنحنا رشاشها وتُمطرُ

ويهتف الصوت الحزين:

أين قد تركتنا؟ وفيم إبراهيم؟

ويختفى خلف التلال شخصُ إبراهيمْ

وهاجر باكية والطفل إسماعيل فوق صدرها يتيمْ

اللهُ أكبرُ

يا صائمون أفطروا

من أين يا رب لنا بالماءْ؟

جرارنا عطشى وتمتدُّ حوالى جَدْبنا الصحراءْ

شفاهنا من عطشِ سيناء

ولا سحاب، لا دموع، ربٍّ فى السماءْ

ويركع الجنود مصروعين فى ضبابة الإغماء

عيونُهم تَحرُّقٌ يستعرُ

رجاؤهم يُحتضرُ

على الرمال يَضْمُرُ

ويَضمرُ

ويَضمرُ

الطفل إسماعيلُ يبكى عطشا

لم يبقَ فى خديّه لون وقَمَرْ

وهُدْبُه يسحُّ إيقاعَ مَطَرْ

وغصن جسمه ذوى وارتعشا

وانكمش الوجه الوضيءُ المُقمرُ

وفى تراب مكةِ تبعثر الشعرُ الجميلُ الأشْقَرُ

وقلبُ أمِّه الحزينُ برعمٌ مُنْهَصِرُ
ودمعها على مرايا وجهها ينْحدِرُ
تهيم في العراء،
تجتاز سهولَ النار في ذهولها وتَعْثرُ
ويكتوي من دمعها المحموم حتى الحَجَرُ

وسبع مرات سعتْ والهةً بين الصفا والمَرْوَه
وتارةً ينْبت جرحاً خدُّها
وتارةً تسقط ولهى في قرار هُوّه
وكبوة، وكبوة، وكبوه
قد تركت عشرين خَطّاً من دمٍ على سنا جبينها
والريحُ صبَّتْ هولها، فراغها، عويلها
في حَدْقتي عيونها
تمزّقتْ ثيابها وأغدقتْ
على حواشيها الهُوَى من شوكها وطينها

يا هاجرُ الحزينة اهدأي
ريَّانةً هذي الرياح أقبلتْ، تحملُ أحلى نبأ
لطفلك الصارخ في دثاره المهترئ

تقطّرُ الرياحَ حباً في شفاه الطفل إسماعيلْ
تلمس خديه بعطر نسمة بليل
وتسكب الحياة والخضرة في كيانه النحيل
وقالت الرياحُ: إسماعيل
فردد البيت العتيق تحت حر الشمس: إسماعيلْ
وانحنت السماء قوساً آزرقاً يلثم إسماعيلْ

الله أكبرُ
ضَجَّ بها المعسكَرُ
يا صائمون انتظروا
إن وراء جدبكم جذرَ حنانٍ سوف يُزْهِرُ
وخلف حَيْرة العطاش كوكبٌ أضاءْ
ورحمة من ربكم تنحدرُ

الله أكبرُ
يا صائمون ربُّكم قد سمع الدعاءْ
والطائراتُ أقلبتْ تهدر في الفضاءْ
تقذفكم صواعقاً وتُمطرُ
على روابيكم لظى حرائقٍ

تريد آن تغرقكم فى برَكِ الدماءْ
واللهُ فى سمائه يقدّرُ
يدبّرُ
يمطر فوق صومكم أنداءْ
يسقيكمو من يد أعدائكمو أحلى كؤوس الماءْ
واللّه للمؤمنين ثلجٌ مُغْدقٌ فى لهب الصحراءْ
ووجهه الغامر فى شراسة النيران كوثَرُ
وطوق وردٍ أحمرُ
وبلسمٌ وماءْ

ماذا تقول الريحْ؟
ماذا يغمغم الندى المنثور مثل ثلجةٍ
على خدود الريحْ؟
يرفرف الهواءُ لاثماً خدود هاجرِ
يشرب من دموعها، يُلْقى على وجنتها
طراوةً وضوء فجرٍ ماطرِ
وفى مرور عطره نداءْ
يأتى من السماءْ
يَمسحُ يأس الأمّ، يروى قلبها الجريح

يا هاجرُ... الصبيّ إسماعيلُ سوف يرتوى

برحمةٍ من ربّه، وتنطوى

دموعك المحمومة الحزينه

سيدفق الماءُ ويسقى سيلُهُ الغصن الكسير الملتوى

يرطّبُ الماء لإسماعيلَ عينيه،

يديه،

فَمَهُ،

جبينَهُ

يعطيه ياسمينَهْ

يا هاجر الحزينه

وسبعَ مرّاتٍ سعتْ باكيةً بين الصفا والمَرْوَهْ

تحمل فوق خدّها وردة حزنٍ حلوه

ودمعها وحزنها على شفاه الريحْ

تنهيدةٌ وغنوه

يمتصها سمع المدى الجريحْ

وطفلها يصيحْ

اللّه أكبرُ

يا صائمون انتظروا

من أين يا ربٍّ لنا بالماءْ؟

من كفّ اعدائكمو سوف يسيل الماءْ

ويُخْصب الصحراءْ

نيرانهم تخضرّ فى حضن معسكراتكم مشاتلا

وقصفُهم ينبت في جراحكم سنابلا

يملأ راحاتكمو بالماءْ

يسيلُ ما بين خيامكم

جداولاً جداولا

فيشرب العطشانْ

من مطر الرحمة والحنانْ

ويصعد الأذَانْ

وترشف الصحراء من عذوبة الصيام والقرآنْ

ماذا يقول الطفل إسماعيل؟

عويله فى الريح شاجٍ، مُخْرق، طويلْ

وهاجر دموعها صلاهْ

وصمتها شفاه

يابسة تصيح: يا ربّاهْ
من أين يأتي الماءْ
في هذه المفازة الجدباءْ؟
وتهطل الدموع من شواطئ المحاجر السوداءْ
يا ربّ أعطِ طفليَ الظمآن كأسَ ماء
اسقِ صغيري، اسق إسماعيل
يوشكُ أن يموتَ يا ربي إسماعيلْ
وسَقَطَتْ مُغْمَىً عليها، وانسدال شعرها الطويلْ
فوق الثرى جداولٌ سوداءْ
سنابلٌ بعثرها الهواءْ
ومرّت الريح على حرائق الرمضاءْ
وليس من صوتٍ سوى العويلْ
عويل إسماعيلْ
والله يصغي والسماءُ دمعةٌ تسيلْ

الله أكبرُ
يا صائمون افطروا
نداءُ رحمةٍ طريّ الصوت عذبٌ ملأ الأرجاءْ
وينبش الجنود في الرمال، ما من ماءْ

رباه ما من قطرةٍ من ماءْ
نهار صومنا انقضى، وليلنا قد جاءْ
وحولنا تحترق الصحراء
ووردة الرجاء
يابسة فى دمنا
فى فمنا،
فما من ارتواءْ
والموتُ يا ربّاهُ يهمى مطراً تصبُّهُ قواذف الأعداءْ

سبحان من قد أنهض السماءْ
من دونما أعمدة، فى لا نهاياتٍ من الضياءْ
فى غابة من شُرَفِ الكواكب البيضاءْ
سبحان من يسقى تعطّش الأسى، ويسمع الدُعَاءْ
ويمطر الشفاءْ
على مريضٍ جائعٍ شفاؤه أسطورةٌ على فم الدواءْ

اللّه أكبَرُ
الكون حول الطفل مبهورٌ يكبّر
عطشانُ إسماعيلُ عطشانٌ ولم يعد على العذاب يصبرُ

رجلاه تضربان في حزن ترابَ مكّةٍ بجدبه ومَحْله
وتدفق المياه نشوى عذبة،
من تحت رجله
يسيل جدولٌ برود مُسْكر من تحت رجله
وتصرخ الأم: يسيلُ الماءْ
الماء يا ربي، يسيلُ الماء
من تحت رجلي ولدي تنبُعُ عينُ ماءْ
وتحملُ الطفلَ تبلُّ الشفتين بَلَّةً بجرعةٍ من ماءْ

تسقيه هاجرُ وضوءٌ من جراح وجهها يسيلْ
وشعرها المسترسلُ الطويلْ
منسدلٌ يخفق حول وجهه الجميلْ
وابتسم الطفلُ! ويا هاجرُ!
صلّي لمزيجِ الموتِ والظلامْ
قد ارتوى طفلك إسماعيلُ وانجاب ضبابُ دمعه ونامْ
والماءُ يا هاجرُ يهمى زاحفاً ويكثُرُ
ينتشرُ
ينتشرُ
يسقى ترابَ مكّةٍ تيّارُهُ المنهمرُ

سبحان من أغدق من سمائه الرحمة والأمانْ
مفتح الورود فى يبوسة الكثبانْ
وساكبُ الشذَّى نهوراً فى قفار الملح والدخانْ
وهُدْب مقلتيك، يا هاجرُ، غيمٌ ممطرُ
من شكره لربِّه يقطُرُ ثم يقطُرُ
واللهُ معطى الماءٌ عطرُ وغناء مُسكرُ
فى شفة الغيم، وليلٌ مُقْمرُ
يعلِّم النجوم كيف تَسْهَرُ
ويخبر العيون والأهداب كيف تأسرُ
والوردَ كيف يكبُرُ

اللّه أكبرُ
اللّه أكبرُ
جنودَ مصر الصائمين!
آه قد آن لكم أن تفطروا
لا يكذب اللهُ ولا يؤخِّرُ
القوا بأمر الله يا يهودْ
قنبلةً ثقيلةً وانشقِّ يا أخدودْ
فى باطن الأرض هنا، ولتنبجس يا ماءْ!

جداولاً تسقى العطاش، انبجَسْ يا ماءْ!

منابعاً غزيرةً تثرثر

بأمر ربِّ الماءْ

لينبثق منكَ شذىً وسُكَّرُ

ما بين خيمات جنود مصر فى سيناءْ

ويشرب الجنودْ

يسقيهمو اللهُ رحيقاً نابعاً من شفة البارودْ

تحييهمو قنابل اليهودْ

فيرتوى الأحياءْ

ينبعثون من قرار السُّقْم والاغماءْ

حتى الذى صام وماتَ،...

سوف يصحو موتُهُ ويُفْطر

يذوق طعم الماءْ

يغسله الماء من الدماءْ

فيشكرُ

ويشكرُ

والأرض تستقبله مبسوطة الأحضان بالورود والأشذاء

يزغردُ الموتى له، يرشرشونَ جرحه الدامى

بماء الورد والحنّاءْ
فقبرُهُ وسائد خضراءْ
وموتُهُ حُلْمٌ جميلٌ غارقٌ فى اللون والضياءْ
ومن بعيدٍ يرتمى فى سمعه نداءْ
وليس أحلى من صداهُ... ذلك النداءْ
اللّه أكبر
اللّه أكبر

وانبجس الماء النميرُ حيثُ عسكروا
ونام طفلُ الضوء إسماعيل، حول وجهه يضوعُ عنبَرُ
وأشرق العالم بالضياءْ
سبحان معطى الماءْ
مفجّر الندى من الصحراءْ
ومُنْبت الزنبق، معطينا نهور الشعر والغناءْ
يا ربَّ ولتمطر عليَّ من سماكَ الأشطُرُ
والأبحُرُ
ولتسقِ شعرى أنتَ يا ممطرُ يا سقَّاءْ
يا غازلَ الأشذاءْ
يا من بسُقْياه ورودى تكبُرُ

وأغنياتي تطهرُ

اللّه أكبر

اللّه أكبر

٢٦ من ذي الحجة ١٣٩٣هـ

١٩-٤-١٩٧٤م

زنابق صوفيّة للرسول

قصيدة حب للرسول الكريم فى صيغة معاصرة

البحر إغماء لحن حبٍ، البحر زرقه
البحر طفل مسترسل الشعر،
للضحى فوق مقلتيه انكسارةٌ
رَقّةٌ
وشهقهْ
البحر تلهو عرائس الماء فى تراميه ألف جوقه
يلبسن غيماً، ينشرن أجنحةً من ضبابْ
عرائس البحر ضّيعتنى
زورقَ شوقٍ هيمان فى فضّة العُبَابْ
وصيّرتنى
فراشة الرغو والسحابْ
وملء روحى وجه حبيبى
تسبيحة عذبة ونجمه
وبرد نسمه
وجه حبيبى أكبر من لا نهاية البحر، من مَدَاهُ

يسدّ أقطاره الزرق
يطوى طيورهُ موجهُ، رؤاهُ
وجهُ حبيبى: زنابق، اكؤس، مياهُ
وجه حبيبى واللانهايات عالمٌ واحدُ
ليس يُشْطَرُ أو يتجزّأ

يا بحر قل: أين ينتهى ذلك الوجه؟
قل أين أنتَ تبدأ؟
وجهٌ بحارٌ أضيع فيها، وينطفى ضوءُ كل مرفأ
ومقلتاهُ
أين ترى تنتهى؟ وفى أىّ نقطةٍ تبدأ البراءه؟
وما حدود الألوانِ فيها؟
وكيف يمتصُّ منهما البحر ليلَهُ؟
كيف يستعير الضحى ضياءَهُ
وجه حبيبى، يا بِرْكة الصحو والوضاءه
وجه حبيبى كسِّرَهُ الموج واقتناهُ
أشعةً، زورقاً، شراعاً
يحضن أفقاً ملوّناً، يرتدى سماءه

وكان قلبى، وكان قلبى
يسبح عبر استغراقة خصبة المرايا
فى موج غيبوبةٍ وتيه، فى حلم حبٍّ
مضيّعٍ فى مروجٍ هُدْبِ
يجوب لجّ البحور بحثاً،
عن لؤلؤٍ ناصعٍ فيه ما فى قلب حبيبى
من ألق السرِّ، من عطورٍ، ومن خفايا
من نغمٍ دافىء الهبوبِ
يتمتم النبع فيه وتنساب ريح الجنوب
كنت على البحر أُترع البحر من منايا

وجاءنى طائر جميلُ وحطَّ قربى
وامتصّ قلبى
صبّ على لهفتى السكينه
ورشّ هدبى
براءةً، رقّة، ليونه
وقلتُ يا طائرى، يا زبرجَدْ
من أين أقبلتَ، أىّ نجم أعطاك لينَهْ؟
يا نكهة البرتقال، يا عطر ياسمينه

وما اسمك الحلو؟

قال: أحمدْ

وامتلأ الجوُّ من أريج الاسراء،

طعم القرآن،

وامتدّ فوق إغماءة البحر ضوءُ،

من اسم لأحمدْ

وقلت في لهفة أتوسّلُ: أحمد، أحمد!

ناشدتُكَ اللّه، لا تتساقط غبار نجم مفتّت،

حُلْم عابدة في الدجى يتبدّد

عيناك ليلةَ قَدْرى وريشك شمع ومعبد

وأسمك يا طائرى أعذبُ اسم: أحمد، أحمد

أحمد كانت عيناه بحرا

تسقى يباب الوجود كانت تنشر عطرا

تنبت في الصخر مرج شذر وأقحوانِ

تسيلُ نهرا

من زعفرانِ

أحمد قد كان يانعاً تنتمى الدوالى إلى جبينه

وفي عيونه

نكهة أرضى، وطعم نهرى، وعطر طينهْ
أحمد قد لاذ بى، ونمى أهداب لحنى
فى ولهٍ راعشِ الحنانِ

أحمد من ضوئه سقانى
أحمد كان البخورَ والشمْعَ فى رمضانى
أحمد كان انبلاج فجرٍ، وكان صوفيّة الأغانى
وأحمدّ فى مروج تسبيحةٍ رمانى
كلا جناحَيْه بعثرانى
كلا جناحَيْه لملمانى

من أبَد الضوء جاء أحمدْ
من غابة العطر والعصافير هلَّ أحمد
عبر عطور القرآنِ، عبر الترتيل والصومِ، شَعَّ أحمد
من عمق أعماق ذكرياتى
من سنواتى المختبئاتِ
فى شجر السَّرو، من عطور الخشخاش واللوز
وَجْهُ أحمدْ

يا طائر الفجر،

يا جناح الزنابق البيض،

يا حياتى

يا بعدىَ الرابعَ الموسَّدْ

فى أغنياتى

يا طلعةَ المشمش المورَّدْ

فى زمنى، عبر نهر عمرى، فى كلماتى

أحمد، أحمد!

يا لونُ، يا عمقَ، يا وجنة السرِّ، يا انفلاتى

من جَسَدى،

من سلاسلى،

من ثلوج ذاتى

من كل أقفال أمنياتى

يا طائر الصمتِ، والغموض الجميل، يا شمعدانَ معبدْ

أنت المدى والصعودُ،

أنت الجمال والخصب،

أنتَ أحمد

يا رمضانى، يا سكرةَ الوجد فى صلاتى

يا وردتى، يا حصاد عمرى، يا كل ماضٍ، يا كلَّ آتى!

ويا جَنَاحي نحو سمائي ونحو ربّي
يا قطرةَ اللّه في شفاه الوجود، يا ظُلَّتي، وعشبي
انقر تسابيح صوفيةً من على شفتيّا
بعثر قرائين بيضاً وخضراً في صحن قلبي
يا سبُحاتي،
يا صوم أغنيتي،
ويا سنبلاً طريّا
إني أنا حُرْقة المتصوّف في غسق الفجر
أحمد، أحمد،
هل أنتَ إلا طائر ربّي
يا ثلج صيفي، يا لين سُحْبي
يا ضوء وجهٍ يطلع لي من كل جهاتي:
شرّقي وغربي
ومن شمالي، ومن جنوبي، من كل تعريشة ودرب
يطلع أحمد، يطلع أحمد، وجهاً نبياً
ملفعاً بالغناء والأنجم الشمالية المحيا

أحمد يا صافياً مثل أمطار آذار
يا ثلج أوّل الموسم الرحيمِ

مثل رفيف الأهداب فى أعين النجومِ
أحمد يا شاطىء الأبديّه
عبر سماءٍ روحية الصمتِ، ليلكيه
تشرب صوفية الغيوم
يا لاعباً بالضباب، يا عَطَشَ المجدليَة
أحمدُ، أحمدْ
أنا وأنتَ، الطبيعة، البحر... جوّ معبد
شمعة نذرٍ فى خاطر المرتقى تتوقّد
واللّه فى حملنا الموردْ
شبّاك مسجد
شبّاك مسجد

أحمد يا توق مقلتينِ
مضيئتينِ
خاشعتينِ
بالسرِّ والعمق مملوءتينِ
يا وتراً من قيثارة اللّه، يا ورْدُ، يا بحّةَ المؤذّن
يا أثراً للسجود ندّى جبين مؤمن

أنا وأحمد

أنا وأحمد
سكون ليلٍ ورجعُ تسبيحةٍ تتنهَّدْ
يحبّنا البحرُ والهديرُ
تعشقنا موجةٌ وتغازل أغنيتنا
عرائسُ الماء والصخورُ
نحن قرابين فى الـمُصَلَّى، نحن نذورُ
أنا وأحمد
نشوة قديسة تتعبّدْ
سطور حبٍّ ممحوّة خلفَها سطورُ
نهرٌ مديدُ، ولا عبورُ

أنا وأحمد
يحبّنا الليلُ يسهَرُ
يشتاق أعيننا
وبأسمائنا يتهجَّد
يلثم أقدامنا البحرُ يحملنا فى اتجاهِ
بعد اتجاه،
أوّاه لو أنتَ أحببتَنَا أنتَ يا إلهى!

ومقلتا أحمدِ صلاةٌ،

مغفرةٌ،

موعدٌ،

بسملَةْ

جناحهُ يجرف الخوفَ، والحزنَ من حياتى

يُزيحُ أستارىَ المُسْدَلَه

يفتح فى عمرى كل بوّابةٍ مقفله

يمنحنى للوجود شعراً، أذانَ فجرٍ، غيبويةً، ركعةً، سنُبله

أحمد زنبقة اللّه تقطر فوق صلاتى

تنقط عطراً مذوّباً فى تنهّداتى

أحمد فوق شواطئ وعيى: فكرٌ، محبّه

والبحر من دون مقلتيه موتٌ وغُرْبه

من دونه العمر جرف ليالٍ،

مثل الخطايا، سوداء، رطبه

أحمدُ تَوْبَهْ

أحمد تَوْبَهْ

وطارت الطير فى الصباح

طارت جميعاً تلعبُ فى الغيم والرياحْ
وتنقر الضوء فوق بحر بلا انتهاءْ
ولم يطر أحمدُ، ظلَّ قربى
وظّللتنا سحبٌ مبقّعةٌ بالضياءْ
كنا نغنى
للحبّ، للبحر، للسماءْ
كنا شراعينِ شاردينِ
مضّيعينِ
فى غاب لحنِ
تكسّرتْ فى غنائنا الشمس والمرافى واللانهاية
تكّسرتْ كل ضحكاتنا، كل أشواقنا فى مَدَى حكاية
والمدُّ جاءْ
يلثم أقدامنا، يتكَّسرُ
أحمد، أحمد،
نحن، أنا، أنتَ والأعالى
ليلٌ وصمتٌ،
واللّه فى روحنا غناءْ

٥ من رمضان ١٣٩٤

٢١-٩-١٩٧٤م

دكان القرائين الصغيرة

فى ضباب الحُلْم طوفتُ مع السارين فى سوق عتيقِ
غارق فى عطر ماء الورد، وامتدّ طريقى
وسع الحُلْم عيونى، رش سكراً فى عروقى
ثملت روحى بأشذاء، التوابلْ
وصناديق العقيقِ
وبألوان السجاجيد،
بعطر الهيل والحنّاء،
بالآنية الغَرقْى الغلائلْ
سرقت روحى المرايا، واستدارت المكاحلْ
كنت نَشْوى، فى ازرقاق الحُلْم أمشى وأسائلْ
أين دكان القرائين الصغيرة؟
اشترى من عنده، فى الحلم، قرآناً جميلاً لحبيبى
يقتنيه لحن حبٍّ،
قمراً فى ليلة ظلماء
خبزاً وخميرهْ
عندما فى الغد يَرْحَلْ
عن مطار الأمس والذكرى حبيبى
يتوارى وجهه خلف التواءات الدروبِ

سرتُ في السوق، إذا مر بقربي عابرٌ ما، أتمهل
ثم أسألْ:
سيِّدي، في أي دكان ألقَى القرائين الصغيره؟
أيَّ قرآن، سواءٌ أحواشيه حروفٌ ذهبيَّه
أم نقوشٌ فارسيَّه
أيَّ قرآن؟... وفي حلمِي يقول العابرُ
لحظةً يا أُخت، قرآنك في آخر هذا المُنحنى، في (مندلي)
اسألي عن (مندلي)
فهو دكاَّن القرائين الصغيره
ويغيبُ العابرُ،
وجهه في الحُلْم لونٌ فاترُ...
ثم أمضي في الكرى باحثةً عن (مندلي)
حيث أبتاعُ بما أملك، قرآناً وأهديه حبيبي

حينما يرحلُ عني في غدٍ وجْه حبيبي
وتغطيه المسافات وأبعادُ الدروبِ
حيث أبتاع من الدكان قرآناً صغيراً لحبيبي
ثم أهديه له عند الوَدَاعْ
ليخَبيٍّ ضوءهَ في صدره بُرْعَم طيبِ

وليؤديه إليه حرز حبيً، وعصافيرِ المشوقات، وتلويح ذراعي
واختلاجات شراعي

سرتْ في حلمي في السوق قريره
أسرت روحي السجاجيد الوثيره
وأواني عطر ماء الورد، والكعبة صوره
نعست ألوانها في حضن حانوتٍ
وفي حلمي مضيتُ
في دمي شوقٌ لدكان القرائين الصغيره
وحلمتُ
وحلمتُ
بقرائين كثيرات وأختار أنا منها وأهدي لحبيبي
في صباح الغد قرآناً، ويؤويه حبيبي
صدرهُ تعويذةً تدرأ عنه الليلَ، والسعلاة في أسفارهِ
تزرع اسم الله في رحلته، تسقيه من أسرارهِ

كان كل الناس لي يبتسمون
وعلى لهفة أشواق سؤالي ينحنونْ
زرعوا حلمي ورودا
وسَّعوا السوق زوايا وحدودا

كلهم كانوا يشيرون إلى بعض مكانٍ غامضٍ، إذْ يعبرونْ
يهمسون:
اسألى عن (منديلِى)
ابحثى عن (منديلِى)
دكَّةٌ فى آخر السوقِ وتلقين القرائين الصَّغيره
أطعموا قلبى من نكهة كتبٍ عنبريّاتٍ كثيره
بينهَا ألقى عصافيرى، القرائين الصغيره
حيث أختَارُ وأهدى لحبيبى
واحداً يحميه فى ليل الدروبِ
ووشاياتِ المغيبِ
واحداً يحمله فى الطَّائره
باقةً من زنبق اللّه، وسُحبًا مَاطرهْ

سرت طول اللَّيل فى حلمى ولكن أين ألقى (مندلى)؟
شعَّب السوق حناياه، ترامى، وتَمدّدْ
صار عشرين دروباً وزوايا
وفروعاً، خَبايا
وتعدَّدْ
وتعدّدْ
حيرتىِ أبصرتها طالعة فى قعر آلاف المرايا

قذفتني الامتدادات، ومصنى الحنانا
وأنا أشرب كوباً فارغاً، والسوق مُجْهَدْ
تحت خطوى، ودمي يلهث شَوقا
وأنا أعطَش في أرض الرؤى، اذرعها غرباً وشرقا
لست أُسْقَى، لست أُسْقَى
ضاع منى (مندلى)
ضاع، لا القرآن، لا الأشذاء لى
ما الذى بعد عطورى، وقرائيني تبقَّى؟

مرَّ بى فى سوق حلمي ألفُ عابرْ
كلهم قالوا: وراء المنحنى التاسع يحيا (مندلِى)
حيث قرآنى الحريريّ وعطرى المتناثر
حيث ألقى (مندلِى)
مندلى يا أنهراً من عَسَلِ
يا ندىً منتثراً فوقَ بيادرْ
يا شظايا قمر مغتسلِ
فى دموعى، يا أزاهيرً من الياقوت نامت فى غَدائرْ
يا هتافات أذان الفجر من فوق منائرْ
مندلِى، يا مندلى
اسمه فوق الشّفاهْ

فلّةٌ غامضةُ اللَّون، وشمعٌ، وتراتيلُ صلاهْ
وزروعُ ومياهْ
وأنا مأخوذة الأشواق أدعوه ولكن لا أراهْ
وأنا من دون قرآن حبيبى
ومع الفجر سيرحلْ
فى انبلاج الغسق القانى حبيبىِ
وشفاهى صلواتٌ تترسَّل
وعناقيد دموعٍ تتهدَّلْ
انبثق يا عطش السوق انبَثق يا مندلى
يا قرائين حبيبى
يا ارتعاش السُنْبُل
فى حقول الحلم فى ليلىِ العَصِيبِ

أين منى مندلى؟ والبائع المصروعِ من عطر القرائينْ؟
ذاهلاً مستغرقاً فى حُلُمٍ؟
ضائعاً هيمان مأخوذاً بأفق مبهم
يتشاجى، وجدُهُ سُكْرٌ وتلوين
صاعداً من ولَهٍ فى عالمٍ من عنبرٍ مضطرمِ
تائهاً من شوقه عَبْرَ بساتين
عطشات النخل، والقرآن فى تموزّها أمطار تشرينْ

مندلي يا ظمأي يا جرح سكَينْ
في خدودٍ وشرايينْ

وطريقي نحو دكّان القرائين الصغيره
فيه أورادٌ لها عطر عجيبُ
كل من ذاق شذاهَا تائهٌ،
منسرق الروح،
شريدٌ
لا يؤوبُ
مندلي يا حقل نسرينْ
ذقتُ أسرارَكَ واستبعدتُ كوبي.
لم أعد أعرف فجري من غروبي
وتواجدْتُ وضيّعتُ دروبي
وتشوقت لقرآنٍ، على رفّكَ غافٍ،
أشتريه لحبيبي

وسَمعت العابرينْ
يصفون المخزن المنشود، تسري فيه أصداءْ
وتلاوين، وموسيقى، وأضواءْ

تصرع السامع صرعاً باختلاجات حنينْ
وشموعٍ ودوالي ياسمينْ
آه لو أني وصلتُ
آه حتى لو تمزّقتُ
تبعثرتُ
اكتويتُ
لو تذوقت العطور الساربات
حول دكان القرائين الصغيره
آه لو أمسكت في كفي قرآناً، كدوري حنون القسماتِ
واحداً في ألف قرآن، حواليه ضباب
وشذى وردٍ
وموسيقى مثيره
ليس يقوى قطّ إنسان بأن يصغي إليها
يسقط الصاحي صريعاً، غير واعٍ، ضائعاً في شاطئيها
آه لو أني أطبقت عليه شفتيا
هو قرآن حبيبي
آه لو لامست ربّاهُ بأطراف يديّا
هو وردي، وامتلائي، ونضوبي
والنشيد المحرق المخبوء في قعر دمي، في مقلتيّا

وانتهى السوق، وفى حلمى يئستُ
وعلى دكة آمالى الطعينات جلستُ
وانتحبتُ
لم يعد فى السوق من ركنٍ قصىٍّ
لم أقلِّبْهُ، وتاهت (مندلى)
غرقت فى عمق بحرٍ من ضبابٍ سندسىٍّ
واختفت فى ظل غاباتٍ سكونٍ أبدىٍّ
لم يَدع يأسى حتى سحبة القوسٍ على الأوتار لى
ضاع حتى الظلّ منى، وتبقت لى رؤىً من طللِ
أين أبوابكِ يا ترتيلتى يا مندلى؟
يا عطور الهيل والقرآن يا وجه نبىٍّ
يا شراعاً أبيضًا تحت مساءٍ عنبىٍّ

وإذن، ماذا سأهدى لحبيبى
فى غدٍ حين يسافر؟
فرغت كفى من القرآن، غاصتْ فى صحاراىَ المعاصرِ
وخوى خداىَ إلا من غلالات شحوبى
وحبيبىَ سيغادرْ
دون قرآنٍ هديَّه

غضة تلمس خديه كما يلمس عصفورٌ مُهَاجِرْ
جبهة الأفق برشَّات غناءٍ عسيلهْ
وحبيبي سَيُسافر
خاوىَ الكفً من القرآن، من عطر البَيَادر
وحكايات المنَائر
وأنا أبقى شجيًه
كظهيرات من الحزن عرايا، غيهبيّهْ
ضاع قرآنيَ، وضاعت مندلي
واختفى وجه حبيبي
خلف غيمٍ مُسدَلِ
وامتدادات سهوبٍ وسهوبِ
فوداعا يا قرائيني، وداعا مندلي
وإلى أن نتلاقى يا حبيبي
وإلى أن نتلاقى يا حبيبي

٨ من جمادى الآخر ١٣٩٤هـ
٢٨-٦-١٩٧٤م

مرايا الشمس

أهدى إلى عبدالهادى خريطة لفلسطين

نامى على أهداب عينى يا خريطتها
ورقّى فى دمائى
إنى نذرتُ لكى اكسّر قيدها زمنى،
نزيف دمى،
غنائى
آفاقها سأخطها بالورد،
أغرس عند (بيت المقدس) الدامى قرنفلةً كبيره
وأحيلها فى عرض بحرٍ من زهور الماء والدفلى جزيره
واشكّ عند حدود (عكا) زنبقه
حرّى الغلالة، مغدقه
و(اللدّ) أنفحها برقّة وردةٍ جوريّه
حمراء غذّتها دماء شهيدةٍ عربيّه
و(جنين) أعطيها شقائق غضّة شفقيه
ول (غزّةٍ) أختار سوسنةً نضيره
ولـ(كفرِ قاسم) ألف ليلكة أبعثرها وأجدلها ظفيره
وعلى مشارف أرض (بيسانٍ) سأزرع ياسمينه

وبنفسجات عند (حيفا) عند (يافا)
عند (نابلس) الطعينه
ولدى مدينة (طولكوم) نرجسه
أصحى بها ذكرى أضاحٍ كالمرايا مُشْمسه
أهداب عينى يا خريطتها، هنا، نامى عليها
إننى ما بين بيّاراتها الثكلى سجينه
امطرتها ورداً، وعاشت خلف أسوار انفعالاتى
مدائنها الجميلات الحزينه
حتى زرعتُ فؤادىَ الخابى الشموع
على خريطتها مدينه

لا لا، دعى الأزهار ياكفّى، خريطتها سأنقطها بدمعى
سأخط بالعبرات كل حدود (ناصرتى)
وبالشهقات أبنى (بئر سبعى)
سأحيط أسوار (الجليل) بخضرةٍ ريّانةٍ
تنثال من ألمى ورفضى
وسأمنح (اللطرون) عصف رياح أحزانى، أسيّجها بنبضى
والطفلة السمراء (رام اللّه) أرقدها على مهدٍ
يرطّبُ حرّه ثلج الدموع

والحزن حول غطائه الوردىّ أشرعةٌ،
مواويلٌ،
شموع
وسأزرع القلب الكئيب شجيرةً،
قمراً يُضوىءُ في دجاهُ كل أرضِى
فمن الشمال إلى الجنوب قرىً مغمّسة بدمعى
وورود أحزانى تعشّش فى مدائنها
تعطّر كل زاوية وضلعِ
وبأدمعى حدّدتُ أرصفة الشوارع فى (الخليل)
ورشفتُ من حزنى جراراً من عبير
وارتويتُ من العويلْ

لا لا، برئتُ من الحدود الدامعه
وجزعتُ أن ترنو إلىَّ خريطتى من هذه المُدُن الحَزَانَى
إنى سأشعل فى رباها ثورةً
غضباً
دخانا
ولدى القُرَى السود العيون الضارعه
سأقيم من وهج القنابل مهرجانا
ويضوع عطر الموت، يسكر من تموّجه عدانا

لا وردىَ البّض الملوّن سوف يشفى وخَزة الذكرى
ولا عبراتى الحَرَّى الغزارْ
لا بل أسوّر بالخناجر والمُدَى تلك الديارْ
وأنيمها فى غابةٍ مسنونة الأشجارْ
تجرح بالسكاكينً الحداد اللاسعه
بالعنف تنتزع المروج الضائعه
سأطير، أغرس خنجراً فى باب (عكّا)
وأقيم حول (القُدس) أرصفة الصواعق
أزرع الأسوار شوكا
وأدكّ (تلَّ أبيب) دكّا
سأحيط (غزة) بالقذائف، سوف أبذر
حول (يافا) حقل ألغامٍ ونارْ
فى الليل أشعله حرائقً جُلَّنارْ
وسأفرش المدن الوديعة بالصواريخ المُحبّة والمدافع
اللّه أكبر يا عرائش!
يا قناطرُ!
يا شوارعْ
إنى سأبذر فيك أسلحتى وانتظر الحصادْ
وسأوقظ الربَوَات فيك على براكين التحدّى والعنادْ
قسماً وأرفض أن أبلل أغنياتى بالمدامعْ

ووضعتُ بين يديَّ خارطتي، رأيت رُبَى مدائنها خواءْ
مخذولة الطُرُقات، يزرع صمتَها اللاشيءُ، يسكنها الهواءْ
ليلاتها عدمٌ، ظهيرتها ذبولْ
يمتصني، يُقصي خطايَ، ودون بيّاراتها الظمأى يحولْ
ويحيل خارطتي نُثَاراً من طلولْ
أحجارُها لا نبض فيها، لا عروق، ولا دماءْ
حتى لهيبي يستحيلُ إلى انطفاءْ
وحرثتُ صخراً، لم أجد في الصخر زنبقة انتصاري
وجبينُ فجري ضاع مني، والضباب دنا وأسدل سترَهُ
غطَّى نهاري
ومضغتُ أشواك اندحاري

ساحاتها دوني ملفعة، يعزّ إلى مشارفها الوصولْ
كيف الوصول؟
والليل يفصلنا وتجرفنا السيولْ
تتساقط الأحلام ميتةً، وتنكسر الحلولْ
وتخونني الأيام
تسقط من خلال أصابعي حتى الفصولْ
وشعرتُ أنّي قد بعدتُ، بعدتُ واحتجب اللقاءْ
يبست عناقيد الرجاءْ

وتمدّدت بيني وبين تلالها مُدُنُ البكاءْ
وعرفت سرَّ البعد، سرَّ التيه، إني قد نسِيْتْ
أن أنقش اسم اللّه فوق صخورها
وحرمتُها من ضوئه، من دفئه،
عذراً لعطر ترابها، وورودها، ونهورها
أفرغتُها من سرَّ قوتّها، رضيتْ
لربوعها الفقر الحزينَ، منحتُها الجدبَ المميتْ
كلا سأرجع للخريطة،
أنثر القرآن أجنحةً على كل المزارع
حتى أرى اسم اللّه محفوراً على شجراتها
مستودعاً في قلب تعريشاتها
متألقاً في ذبذبات حنين أغنياتها
حتى أرى اسم اللّه أنداءً وخضره
وشذىً ووفْرَهْ
في كلِّ بياراتها

إني سأكسر قيد خارطتي بأسلحتي جميعا
وردي،
ودمعي،
والسكاكين الحدادِ،

وذكر ربّي
ستشق لي ومَضاتُها درباً سريعا
حتى أراني في فلسطيني:
نجومٌ ملء دربي
وشموعُ ميلاد، وصحوٌ، خلف هُدْبي
أمشي أحرّرُ باسم ربي، بالسلاحْ
بالورد، بالدمع المضيء، مدائن الدم والجراحْ
حتى تتاح لنا، لها، لشتات أهليها معانقة الصباحْ
وتعود خارطتي الحبيبة،
ملك قلبي
تحت هدبي
لا يجوبُ سفوحَهَا غيري أنا،
غير الأغاني، والعروبة، والرياحْ
وأحسَ خارطتي ترفرف كوكباً، في لا نهايات المدى النائي
وينْبُتُ لي جنَاحْ

٤ من محرم ١٣٩٤هـ

٢٧-١-١٩٧٤م

ميلاد نهر البنفسج

مليكى على كلماتى انبتْ جناحا
ورُشَّ على أغنياتى صباحا
واسرج رياحا
ترفرق فى اللانهايات لحنَكَ أعلى وأعلى
وهبنى ما هو أحلى
سنا ومضة من بريق جبينكْ
ودعنى أرى كيف تَنْبُتُ تحت عيونكْ
مراعٍ جديده
ودفقاتُ عطرٍ جديده
وغابات ظلٍّ وحبٍ جديده
ودعنى أرى كيف يتمُّ انبلاج القصيده
وكيف تهلُّ خُطَاها الوليده

يحاول لحنى أن يتدفق بين يديك
مليكى فتخبو بروقى لديك
ويبهرنى وجهُكَ الملكىُّ
ويَصمتُ شدوى انغلاقٌ وعىٌّ

ويفلت منى لجام القصيده
فواصلها تتمطَّى دوائرْ
وأوتادها اللولبية تهرب، تيبس بين يدىَّ المحابر
وأشطرها تتراكض شاردةً فى الشعاب المديده
تضيع القصيده

تطير القوافى بعيداً وتنثر عبر الدُجَى شعرها المُهْملا
وتضحك منى، تطفر، ترفض أن تنزلا
مقاطعُها تتراقص عبر المدى حُلُماً مذهلا
وتقتطف الريح من هدبها سُنْبلا
وتدفق- دونى- أشطرها جدولا
وحين ألامسها تتبددْ
فراشاتها فى أصابع كفَى تخمد، تخمدْ
سنابلها تتجمّدْ
وأعجز عن أن أنال القصيده
أحاول أن أتصيّد شطرا
وأمسك بحرا
وأرتدُّ تُفْلتُ منى القوافى عرايا، بديده
وأشعر أن الدُجَى يتمزّقُ حزناً علىَّ

وأنّ كواكبَهُ تتنهَدْ
وتنهشني حَسَراتٌ جديده
وعبر الدُجى أتحرّق، أذوى أسىً أتبدَدْ
وأعجز عن أن ألمَّ ورود القصيده
وأبقى مبعثرةً في الظلام شريده
يشاغلني ضوؤك الملكيُّ، تزوغ المقاطعْ
أهيمُ مضيّعةً في شعاب القصيدة، عبر شوارعْ
وأضرب في سكك ومزارعْ
تفاصيل وجهك مختومةٌ بالضبابْ
وروحي مختومةٌ بالمدامعْ
محجبّةٌ في سواد براقعْ
وقلبي اغترابْ
وبيني وبينك ينسدل الليلُ في ألف سترٍ وبابْ
ويحجبني عنك ألف حجابْ
وتبقى القصيدةُ سورَ مدينه
ملثمة بحصون حزينه
وتبقى القصيدة أسئلةً وصداها
وليس لها من جوابْ

وأهمس: اللّه أكبرْ
ويثمر غصن السكون، ووجه الدُجَى يتغَيرْ
ويمطر نجمٌ،
وفى شفتى يتفتّقُ بيدرْ
ووجه القصيدة يقبل مشتعلاً، يتكسرْ
شعاعاً، شعاعاً، يرطب روحى
ويلثم كلَّ جروحى
ويغرسنى وردةً فوق مجدبةٍ من سفوحى

أذن هكذا؟ حين أهمس باسمك
يُفتح كنز المعانى الوليده
وتنمو على شفتىَّ القصيده
خطاها الوئيده
حفيف رياحٍ بعيده
مليكى، وأنتَ القصيده
وأنت جمالُ القصيده
ومن ضوء وجهك يطلع فجر القوافى العنيده
كلؤلؤةٍ فى الظلام فريده

وتُولد عندى القصيده

كمولد ڤينوس من زَبَدِ البحر طافية مثل ورده

جدائلها أسطرٌ عائمات

وأهدابُها من حروف ومن كلماتْ

يوسّدها الليلُ أهدابَهُ، وهواهُ، وسُهْدَهْ

ويمنحها زَبَدُ البحر خدَّهْ

يرقرق فى وزنها شَفَقاً وثلوجاً وزُبْدَهْ

ويطعم أبياتَها من بريق اللآلى

يصوغ اليواقيت قافيتينْ

يبعثر قوسَ سحابٍ، يقيم دوالىْ

ويسكب برد الليالى

وزرقة أمواجه فى مَدَى مقطعينْ

ويبعث انشودتى عذبةَ الحبر بحريّةَ الشفتينْ

مضمّخةً بشذى البرتقالِ

وتولد عندى القصيده

أراجيح رؤياً، ودنياً جديده

يقطّرها اللّه ينثر أشطرها العسليّه

ويُغْدقها نجمة تتوهجْ

ونهر بنفسج

وتعريشةً من مشاعر زُرْق خفيّه

وتبزغ فى الضوء أغلى هديّه

وأحلى،

أرقَّ،

أحبَّ صبيّه!

فى ١١ من صفر ١٣٩٤هـ

٥-٣-١٩٧٤م.

سنابل النار

ذات شتاء أثمرت النار، فـاشتعل الحبّ ثلاث دوائر، وأصـفرت معـه النار، ثم أحمـرَت ثم صارت بيضاء تحرق عينى من يحدق فيها.

أرقصى فى الموقد الشتوىّ يا نارْ
فهُدْبُ الليل يثمر أدمعاً، والبرد بتّارْ
على روحى تهبّ عواصفٌ رعناءْ
وفى قلبى ينام شتاءْ
وفوق غصون أهدابى السَّهارىَ تسقط الأمطارْ
ويلطم فكرتى الإعصارْ
وتطرق باب ذاكرتى، عيونٌ،
أوجهٌ،
أخبارْ
من الماضى وتصرعنى همومٌ رطبةٌ ثلجية الأستارْ
تقلّبنى جبالُ خواطر وبحارْ
تدبّ النار مُشْعلةً ثلوجَ دمى
يلامس دفؤها نَغَمى

بريق لهيبها صيفاً على عودى، ويُصحْى غفوة الأوتارْ
ويحملنى جناح النارْ
لكل دوائر الحبِّ
ثلاثتها، ويُنْبت لى على قلبى
جناحين، من الحُلْم، من التذكارْ
ولولا النار ما كانت ثمار الحبّ لولا النارْ
عرفت توهج الأهواء حول لهيبها، فعواطفى أغوارْ
تضيّعنى مسالكها الخرافيّهْ
وتحملنى الى دنيا مضيّعة، ضبابيّهْ
لها أعمدةٌ، أقبيةٌ، أسوارْ
من النيران تبدأ رحلتى
تنشقُّ لى طرق
وتخطف روحى الأسفارْ
ففى أغصانى النشوى يكاد يسيلُ نُسْغُ النارْ
وورد الحبّ والأشعار
هو الأثمارْ
وكل هوىً أحسُّ به
له يا ليلُ دائرةٌ
ولونٌ فى لهيب النارْ
وتعكس لى حقيقتَهُ مرايا النارْ

هوای الأول الحسّیُّ، دائرتی الصغیره

حبّ إنسان من الناسْ

هواه کوکبٌ فی مقلتی، فی شَعَری طوقٌ من الآسْ

وبسمته حقول شذیً، وترنیمة أجراسْ

یحلّینی، یزخرفنی، یتوّجنی

علی مملکة الوهمِ

وفی أروقة الحُلْمِ... أمیره

یصغّرنی، یحولّنی

إلی شفةٍ ملوّنة، إلی تنورةٍ والی ظفیره

حبّه صیفٌ من الورد یغنی فی دمائی

وجهُهُ عصفورةٌ تائهةٌ عبر سمائی

واسمه سنبلةٌ فی شفتیا

ریّشتنی فتحت قلبی شبابیك ضیاءِ

وأحالت عُمُری بستانَ برسیمٍ ثریّا

صیّرتْ أغنیتی زهرةَ ماءِ

قذفتْ کلَّ نجومِ اللیلِ فی قعر إنائی

جسّمتْ السنة النيران لى شخص حبيبى
أطلعتْ لى وجهَهُ من شفق الذكرى
سماءً فى غلالات غروبِ
وجهُهُ أم زهرةٌ حمراءُ؟ أم وهج ضياءِ
وفؤادى أم جناحا طائر يسبح فى ريح الجنوبِ؟

وجهُهُ أم وردة النار وعنقود شررْ
وتراتيل الهوى الأرضىّ فى روحى أم مَدُّ صورْ؟
وبحارٌ فى دمى أم أشرعه؟
أم مواويلٌ وتيارات شوق مترعه؟
وصبابات وأهواء أُخَرْ؟
وادكارات لقاء فى جفونى؟ أم تهاويل سَهَرْ؟
وشظايا لهبٍ أم مزرعه؟
أم فمٌ يبسمُ أم عطر مَطَر؟
أم مشاوير فصولٍ أربعه؟

تلعب الأهواء بى يا نار، إنى وردةٌ فى المرج صفراءْ
تؤججها أعاصيرٌ وأنواءْ
وتقذفها على صخرٍ يمزّقها

ويحرقها
ويمنحها شعوراً أنها تمرح فى ظلٍّ وفى ماءْ
وتُسْقَى العطر فى حمَام أشذاءْ
تغيّر موقد النارِ
مع الإحساس فى قلبى، تبدل موقد النار
أصابت نارَهُ صفره
بلون الشكّ والأهواء والغيره
بلون تعطشى وجموح أفكارى
وما فى الحبّ من شوق، ومن صمت، ومن حَيرْه
مؤرجحة كأنى قشّةٌ فى حضن إعصارً
مضيّعة بوديان الهوى الخَطْره
وألبس معطف النارِ
وأغنيتى تضيع طريقها فى الليلْ
يرنّحها الهوى والسيلْ
وقد تسقط فى لجّة أفكارِ
وقد تأسرها نظره
ومثلُ الحبّ، هذى النار، ألسنةٌ مراوغةٌ فلا تُلْمسْ
غمائمُ من لهيبٍ سائلٍ، زورقُ شوقٍ أصفر الصارى
ونهرٌ ثائر الأمواج مجنون فلا يُحْبَسً

وزوبعةٌ تضج وحزّ منشارِ
فيا ناريَ، يا ناري
غرامي الجامح الأرضيّ يشبه وجهَكِ الأصفر
فلمْسُ كليهما دفءٌ
وطعم كليهما سكّرْ
وقبلاتهما تجرح كالخنجر

-٢-

ويا ناريَ في لجة هذا الموقد الأصفر يا ناري اصهريني
طهّريني وارفعيني
إنني انفقتُ في حبي الترابيّ سنيني
فإلى الدائرة الثانية الوسطى انقليني
وابعثيني
في الدُجَى قبرَةً لاثغةً تهفو لبيّارات يافا وجنينِ

إن حبّ الأرض أطهرْ
من هوىً مرَّغَ إحساسي في الطين وعَفَّرْ
في ثرى الأهواء والحمّى جبيني
إنّ حب الأرض غاباتٌ، وقرميدٌ، وقمحٌ،
حبّها شرفة مَرْمَرْ

حبّها يغسل شكي في بحيرات يقينِ
حبّها يزرعني زورق شذرٍ سابحاً في نهر كوثرْ
إن حبَ الأرض تشكيلة موسيقىً ولينِ
نهرُ إيقاعٍ، وأجراسُ حنينِ
وأنا في مرجها عصفور بيدَرْ
حفنةٌ من رملها نجمة فجرٍ
حُلُمٌ
سلّة عنبرْ
فصداها يتكّسرْ
في صلاتي، في غنائي، في سكوني
في ابتهالاتِ حنيني

ورؤاها تتدثرْ
بين أهداب عيوني
ذكرياتٍ، ومواويلَ، وتاريخاً بَرُودَ الظلّ أخضَرْ
أتذكرْ
أتذكرْ
كل أمجاد القرونِ
كل زيتوني، وبيارات أحبابي، وطيني

كل حقلٍ في ثراها
مرّة أعطى وجوهاً ومواعيد وأثمر
كل عطرٍ ونسيمٍ غمر المرج وأسكرْ
كلّ نجمٍ من أعالي أفقه النائي تحدّرْ
يحضر العيدَ ويَسْهَرْ

أنا في حب فلسطيني أعيش العمر عمرينْ
وأسبح في مدارينْ
وترقص لي عرائس ماء بحرينْ

هواي لها يغيّر جوهر النارِ
تبدل موقد النارِ
وصار اللهبُ الأصفر جمراً قانيَ الحمره
له حجمٌ، له شكلٌ، وخلف أجيجه فكره
إذا ما شئت ألمسه بكفيّا
أوزّعه هنا وهنا وأنثُرُهُ
ألملمه، أبعثُرُه
هنا جمره
هنا جمره

هنا جمره

وتشرب دفئهُ أهدابُ عينيا

وآخذُهُ ارتواءَ دمي المشوق، ودفء أشعاري

وشمعي وتسابيحي ومشواري

وحمرة ذلك الجمرِ

دمٌ يجري

بلون الغضب النازف من جرح فلسطينِ

وحمرة ذلك الجمرِ

ورودٌ فانيات من حدائق دير ياسينِ

مغمّسة الشّذى في جرح مطعونِ

وحمرة ذلك الجمرِ

كمثل سهولنا الدامية الخَصْرِ

ومثل حقولنا المحلولةِ الشّعْرِ

يرويها دم الشهداء في رحلة إصرارِ

إلى أودية الثأر

إلى أودية الثأر

إلى مستقبلٍ يفتح للدارِ

شبابيكاً تطلّ على امتداد مروج أقمارِ

ويقصم عوسج العارِ

-٣-

ويا نارُ اهدميني
ثم صوغيني كياناً ثانياً، وابني جبيني
واملأى من ألق الضوء شفاهي وعيوني
طهّريني واغسليني
واحمليني عبر آماد الدياجير احمليني
وإلى دائرتي الثالثة العليا انقليني
إنني أصعد بالنار إلى ذروة آفاق حنيني
إنني أنبذ شكيّ وفتوني
وإلى الشمس، إلى أعلى الذُرَى،
يمتدَ جذعي وغصوني
حيث ألقى في المدى وجه مليكي

كبياض الثلج
كالأنجم
كالفعلِّ ألاقيه مليكي
في طريقي ينثر الحبَّ ثريّاتْ،
شواطئ لا نهايات، ويرمي لي شموسا
ومجرّاتٍ من الضوءِ،

نهوراً عذبة الدفء، تُصَفَّى وتُنَقَّى
وسماوات بلا عدٍّ
وأوديةً من الألوان والورد،
أفسَحُ في جنائنها وأُسْقَى
ثم أُسْقَى
من رحيق الأنجم الصيفية الطعم كؤوساً وكؤوسا

حبُّهُ، حبٌّ مليكي، رحلةٌ في اللانهايه
وجهه يستغرق الكون، ومن آفاقه تبدأ لي كل بدايه
حبُّهُ إغماءةٌ، قمريةٌ تلثغ، رايه
حبّه لي قمرٌ، ليلكة خضلى، سماءُ
ومقاصيرٌ وأعنابٌ، وأوتارٌ، وماءُ
حبُّهُ خضرة مرجٍ سافرت عبر سماواتٍ واكوانْ
حواشي الأفق منْ روعتها لوحة فنّانْ
وصوتُ حفيفها عطرٌ وقرآنْ
ومن فتنتها أسبح في أعراس ألوانْ
وحبٌّ مليكي المحبوب غيرّ جوهر النارْ
تبدلَ موقدي وامتلأت شعلتُهُ من عطر أزهارْ
وذابت في نقاوته من المجهول أسرارْ

وصارت نارُهُ بيضاء كالبرقِ
ويا ويل الذى يُلْقى
عليها نظرةً: يَعْشَى
تعود جفونه حرقاً وسُحْبَ دخانْ
بياضٌ باهر الأمواج ليس تُطيق وهج صباحه عينانْ
وبرقٌ يصعق الإنسانْ
وضوءٌ يستبيح العينَ، يُلْهبها ولا يُبْقى
لها بصراً ويسقى الروحَ ما يسقى
شعاع النار مدٌ ساطع الألوان
غفا فى لجَه أبَدٌ، ونام زمانْ
أصابعُهُ مَضَت تلمُسنى
تُسقط عن ظهرىَ ثقل سلاسل الرقِّ
بياض النار يبهرنى
ويأسرنى
فأخرج من كيانى ينطوى زَمَنى
وأصعد دونما قيدٍ يقيّدُنى
وأرقى فى الأعالى دونما بَدَنِ
هنا وطنى

هنا وطنى

هوى ملكى يلملم كل أشتاتى ويجمعنى

ويرفعنى

إلى أحلى

إلى أغلى

إلى أعلى وراء مدى لهيب النارْ

أغيب أغيبُ لا أبصر حتى النارْ

ولا أتذكّر الأشعارْ

أخوّض فى بريق نهارْ

ويهبط حول وعيى، حول إحساسى بياضُ ستارْ

وافقد عالمى، نفسى، شعورى

عبر غابات من الأقمارْ

وتخبو، لا أراها

تنطوى، تذوى، تغيب النارْ

١٧ من محرم ١٣٩٤هـ

٩-٢-١٩٧٤م

السماء على غابة الصبيّرْ

الحب والعذاب أقبلا
تبسما فى ولهٍ عَذْبٍ، وذابا خجلا
يدًا بيدْ
خداً لخدْ
الحب والعذاب فى فناء قلبى نزلا
طفلين قادمين من مجاهل الأبدْ
يوزعان فى الصباح أدمعا وقُبَلا
وهدب مقلتيهما أمسٌ وغَدْ
وعطرُ موجةٍ ومَدْ

الحب قال لى: صباح الخيرْ
فقلت للحب: صباحى أغنياتٌ
ضفّتا نهر،
سماءٌ،
طيرْ!
وقال لى العذاب محزونا: مساء الخيرّ

فقلت للعذاب: قلبى قُبَّراتٌ رحلتْ
وأغنياتٌ هطلتْ
وغابةٌ يسكنها الطحلب والصبيّرْ

والحب والعذابُ قالا لى: خذينا نحن توأمان
جرحان ضائعانْ
أو وترا كمان
فضمدينا بالأغانى، دثرينا بالقُبَلْ
وأسكنينا الأبد الضائع فى صمت المُقَلْ
والحب والعذاب قالا لى:
أحبينا فنحن هنا عصفورانْ
من غابة الضياء والأحزانْ
نحن شراعا مركبٍ مضيّعٍ، ونحن ميلاد حياةٍ وطلّلْ
الأمل الطرىُّ فى أكفنا أكفانْ
والحزن تفاحٌ وجرتا عَسَلْ
والشعر فى شفاهنا نهرانْ
عذوبة الملاك فينا، ولنا شراسة الشيطانْ
ونحن قبرٌ وصباحٌ، مرثياتٌ وغَزَلْ
ووجهنا تموز تارةً،

وتارةً نيسانْ!
الحب والعذاب سَجّانانْ
سجنهما حولى جنتانْ
سلاسلى أساور وطوقُ وردٍ أحمرِ
وبابُ سجنى شرفةٌ مُطلّةٌ على دُنًى وأعصرِ
والحب والعذاب ريّا مطر
سكران من عطرهما المكانْ
والحب والعذاب ترتيلٌ، وموج أبحرِ
وظل سنديانْ
وبسمةٌ فى أعيُن حزينة، وآيتاقرآنْ
والحب والعذابُ شباكانْ
وخضرتا بستانْ!

الحب والعذاب أمواجٌ وزورقانِ
فى نَهَرٍ ناءٍ بلا شطآنِ
هما تواريخى، وميلادى، وعمرى الثانى
وعطر أيامى ومهرجانى
وجهاهما الحلوانِ رحّلانى
إلى بلاد الشعر والأغانى

والحب والعذاب شتّان
فى غُرَف الرياح أسكنانى
وفى دروب الجرح والدموع ضيعانى
للحزنِ أسلمانى
لأغنياتٍ رطبةٍ عاريةِ الجدرانِ
يسكن فى أحرفها الشتاءْ
وتصخب الرياح والأنواءْ
الحب والعذاب دفترانِ
أرسم فى صمتهما أحزانى
والحب والعذابْ
زنزانةٌ ليس لها مِنْ بابْ
وصفحتا كتابْ
ممحوّتانِ
والحب والعذاب دمعتانِ
ووردتانِ

الحب والعذاب قد باعانى
وعودى اشترانى

قطرني قصيدة افتتانِ

صيّرني هنيهةً في عمر الأغاني

وكوكباً مجرحاً أرساني

أشعلني ترتيلةً وجرح شمعدانِ

يا وجههُ،

يا رحلتي،

يا عتّمة الطريقْ

يا نجمة فوق جبيني يا شراع جفنيَ الغريقْ

يا شفق الجرح، ويا ضبابة البريقْ

ملاكي الحارس؟ أم شيطاني؟

يا وجهه الناثي عدوّ أنت أم صديقْ؟

تورقٌ في كياني

موتاً، ونهراً مُشْمس الرحيقْ

يا غَسَقي، يا نكهة الرمانِ

يا جُرْحَي الوريقْ

تسلمُ يا صومعة الأغاني

في ٨ من صفر ١٣٩٤هـ

١٩٧٤-٣-٢

تمتمات فى ساحة الإعدام

تحت قرار الإعدام فى الساحة اجتمعنا
إثنين عيناهما بركتا أنجمٍ ودوالِ
وشمس حزنٍ تشرب من جرح برتقالِ
تسأل ماذا نحن أضعنا
بالموت، والحبِّ، والعيون الغرقى الأسيره
نحن ارتفعنا
نحن مع البرق قد نصعنا
ومن حليب الفداء والشمس قد رضعنا
نحن حرثنا، نحن زرعنا
سنابل الموت، واتخذنا الأسى خميره
لخبزنا، والسهاد فى دمعنا جزيره
وفى مزاد الرياح بعنا
خضرة أعمارنا، واشترينا ركام أحزاننا الصغيره
ونحن صنعنا
ذات ظهيره
وردةَ موتٍ، فى عطرها نحن قد رتعنا
ونحن كنا براعم النار فاندلعنا

كنتَ الفدائى أنت، الفدائية القانته

أنا، وكنا مبتسمينِ

يجمعنا الحبّ والموت والحلم، نحن كنا

منتصرينِ

عيوننا الصامته

صيّرها الحبل حول اعناقنا لافته

تعيد تاريخ كل طفلٍ،

أطعمه القاتلون للموت، ذات صيفِ

تكشف أخبار كل مقتولةٍ، وجدائلها نابته

فى الدم والوحل، مقلتاها صلاةُ خوفِ

وحول كتفى

ذراعُكَ الحانيه

وفوق أحزاننا ومنانا قفلٌ وبَسْمَهْ

ونجمةٌ قانيه

وملء أهدابنا طقوسٌ لدمعةٍ، لاختصار كلِمَهْ

نمرع في جبهة المشنقة
طفلين يشتعلان خِصبًا في جدب زوبعةٍ مُحْرِقه
ونرتقي سلّم المشنقه
وفوق ذروتها تنحني يا حبيبي
تزرع في شفتي موقفاً، فكرةً، وشُعْله
والموتُ قُبْله
تمنحها ثلجها المُدَمَّى تلٌّ أبيبِ
وإذ تبسّمْتَ يا حبيبي
تفتحت وردة المُشنقة
تموّجت، أورقت في السنا مثل زنبقه

وأرسلت حولنا شعرها في جدائلِ سودِ
صبَّتْ علينا صيف الأغاني وذوَقتنا
نكهة موتٍ مختبئٍ في نهار عيدِ
وأرجحتنا، وأرجحتنا
وتحت وجه الرَّدَى مع الصيف وحدَّتنا
وصيّرتْنَا
حلماً له هيكلٌ، له شاطىءٌ، ومعنى

تشنقنا أغنيه

ونقطف الشمع والأماني من شجر المرثيه

يصلينا الليلُ والمَتَاهْ

ينتزع الهُدْبَ والشِّفَاهْ

يسمر الحلم عبر أحداقنا أوديهْ

ممتدة في أغوار تسبيحةٍ وصلاهْ

نعرف في الضوء كيفً تنتصر الكبرياء على المشنقه

وكيف يضحي المقتول سوسنةً وحياهْ

وكيف يُعْطى الخلودَ،

صمتُ العناد في الشفة المُطْبَقَه

حبيب قلبي، أعطى لقلبي موتاً لذيذاً وعطر مشمش

وطائراً في دمي يعشّشْ

أعطى لقلبي طعم نزيفٍ ولا نهايه

أعطيتُهُ زنبقاً وقتلاً بلا دماءٍ وخفق رايه

منحتُهُ خارطه

للقُدْس أسبل فوق رباها دماءَهُ العذبة الناقطه

ومقلتانا للموت والرفض... شرفهٌ،

شمعةٌ،

وسادَهْ

وقاسمتنا الربيعَ والصبْرَ والشهادَهْ

مشنقةٌ صمتُها عبادَهْ

فإنما موتنا ولادَهْ

في ٤ من شوال ١٣٩٤هـ

١٩-١٠-١٩٧٤م.

السفر فى المرايا الدامية

فى ٢٦ حزيران ١٩٧٤ تحررت مدينة القنيطرة
من الاحتلال الصهيونى

قال القمر
حبيبتى قد رجعت من السَّفَرْ
حبيبتى القنيطره
صفحةُ مرآة دم مكسَّره

فى قعرها رسومُ قَتْلىَ عربٍ مبعثره
فى عمقها تَدْمَى وتقطُرُ الصُّوَرْ
قال القمر
حبيبتى قد وصلت عائدةً من السفرْ
أرخيتُ فوق كتْفها جدائلى فأجفلتْ
فرشتُ ضوئى تحت مَسْرى خطوها فاجفلتْ
لثمتُ مجرى دمها فأجفلتْ
تغيرتْ ألوان عينيها ومن ملح الرياح اكتحلتْ

حبيبتى قد قُتلتْ
قد قُتلتْ
مطعونة تحت مساقط النظرْ
ومن سماء مقلتيها يتناثر المَطَرْ
وفى الصخور، والدوالى، والتعاريش دماءٌ،
وجنائزٌ أُخَرْ

حبيبتى القنيطره
راجعة من السَّفَرْ
إيقاع تذكاراتها: حرائقٌ، دمٌ، حُفَرْ
أرجوحةٌ للموت والريح ووجه مجزره
وفى موانى مقلتيها سُفُنٌ غاربةٌ مُحْتَضَره
حبيبتى ترفض أن ألثمها، أطلبُ من غمّازتيها المغفره

قال القمر
حبيبتى بعد سنين غربة قد رَجَعَتْ من السَّفَرْ
عائدة من رحلةٍ فى قعر آلاف المرايا الماحيه
راجعة من المتاهاتِ ومن أرض الرياح العاويه
حيث تقاطع الخطوط الداميه

وحيث يّمحى كيان المنحنى، يضيع وجه الزاويه
ممحوةٌ حبيبتى خطوطُها
ضائعةٌ خلف الفراغ والضباب والدجى شطوطُها
معكوسةٌ صورتُها على العيون المجدبات الخاويه
وهميّةٌ حتى ورود شعرها،
وهميةٌ أمشاطُها،
وهميةٌ قروطُها
أكذوبةٌ المرآة فى مقلتها الولهى وعقم الهاويه
مصلوبةٌ حبيبتى على جذوع السنوات العاريه

قال القمر
ووجهه الحزين رعشةٌ وظلٌ فى نَهَرْ
مسبيّةٌ حبيبتى، مخنوقةٌ، مهدّمه
خدودها شاحبةٌ يجرحها حتى مرور الكلمه
أذرعها حقائبٌ خاوية، راح بما فيها اللصوص القَتَله
لم يبق من فَضتها، لؤلؤها إلا جلودٌ رثّة مهلهله
سيورها مثلّمه
أقفالها تدمى، تصيحُ الريحُ فيها،
يغرِسُ الخرابُ فيها أنْمُلَهْ

حبيبتي أكتافها مهشّمه

أسوارها مقتحمه

ويقطن الذبول فيها تسكن الأشباحْ

والموت والرياحْ

قبابها كواكبٌ مرتحله

بيوتها فم الجراح المُشْتعله

أشجارها منزوعة الوَرَقْ

فارغة الحَدَقْ

من دمعها، من دمها، أهدابُها مكحّله

تُسْبل من فاكهة الدماء والحّمى غُصوناً مثقله

ولم تذق حبيبتي منذ سنينٍ وشوشات سنبله

كلا ولم تلثْم دواليْها سوى أنياب صاروخٍ وعض قنبله

مرميّة حبيبتي القنيطره

على مسامير سريرٍ خربٍ مشتعل الغطاءْ

مروجها مقابر الغناءْ

صيّرها حقد اليهود غابةً من مِزَقٍ، حرائقٌ، أشلاءْ

لكنما جراحها معطّره

يطلع منها قَمرٌ مقاتلُ،

تخفق فيها رايةٌ منتصره

حبيبتى القنيطره

عاجزة أدوية الطبيب عن شفائها

أسقوا صداها جرعةً من بَرَدَى، رشوا على شتائها

صيف الجراح المقمره

فطعنة الخراب فى رخام صدرها

تَشْفى بأن تنام فوق خدّها وشعرها

سماء سوريّا، وتحنو الشجره

والقبرّه

على شطوط جفنها المحموم، إن المقبره

ستستحيل نجمةً مؤتلقه

وموجةً مرقرقه

تعطى أباريق الأغانى للشفاه المُطْبَقَه

وتمسح الدموع عن سوسنةٍ فى الأعين المغرورقه

توسّدُ المدينةَ الطافية المروجِ فى بحر الدماء المحرقه

تهدى إليها قُبْلةً وزنبقه

قنيطره

قنيطره

سلمتِ يا حبيبة الجولانْ

وعشت يا غدائر النجوم، يا مراتع القطعانْ
يا نهر كهرمانْ
يا صلوات المغفره
يا خرزتَيْ مسبحة مقطوعه
يا آيةً مبتورةً في شَفتى مرتِّل القرآنْ
شحوبِ خدّيك ستسقيه الشفاهُ الخيّره
ومن جديدٍ في الرُّبى ستشمخ الجدرانْ

ويصعد الأذانْ
قنيطره!
قنيطره!
لتنبت الأنيابُ في فكّيكِ ولتطلع قرونٌ فظةٌ موتّره
وهيئى مخالباً ومقبره
تصطادُ إسرائيلَ، إن الغد نُسْغٌ صاعد في شجره
وبردُ ينبوعٍ،
وشمعُ،
وشبابيكُ عيون مُقْمره
إن كنتِ جرحاً نازفاً
إن كنتِ هُدْباً ذارفاً،

فأنت أيضاً فرحة المدينة المحرَّره

راجعةٌ من رحلة المرآة والفقاعة المسوّره

عائدةٌ من مُدُنِ البراقعِ

إلى حقيقة الدم القانى السكوب وإلى صراحة المدافع

نابتةٌ أغنيةً وبرعماً على فم العروبة المنتصره

بلودان، فى

١٦ من جمادى الآخر ١٣٩٤هـ

٥-٧-١٩٧٤م

صور وتهويمات

أمام أضواء المرور

- ١ -

اشتعل الضوء الأحمر
والحلم تكّسر
وتبعثر

يا حمرةُ، يا حسرةَ وردة صيف جوريّه
راعشة تحت أعاصير ثلوجٍ قطبيّه
يا لهباً منبعثاً من خلجانْ
محترقات خلف الذكرى فى دوّامة ألوانْ
فى دنياً منسيّه
يا شفقاً مسروق الحمرة من خدّ صبيّ جَوْعانْ
يا حنّاء فى كف همجيّه
يا نصلاً يطعنُ، يستنفذ
صبر الأرض الأفريقيّه
يُسْلم أعناق دواليها للصلبانْ
يا نهماً يسحب كوب الماء الصافى من شفة العطشانْ

اشتعل الأحمر! قام جدارٌ ما بين القلبين
أستار المسرح قد هبطت،
فَصَلَتْ،
حفرتْ جرحينْ
غسلتْ بالأدمع أغنيتينْ
قطعت وتَرينْ

حمرة! يا عدماً مختبئاً في زوبعة تموزيّه
اسلمتْ الورد لعصف الريح الشرقيه
وأباحتْ أشرعة النهرينْ
وامتّصتْ ياقوتَ الشفتينْ
يا نقطة وقفٍ في خاتمة الكلمات النيسانيّه

تقطع ما نتمنّى أن نسمع ما بعدَهْ
لا تعطينا العطر ولكن تفجعنا بحطام الوردهْ
تنزعها منّا من حرقتنا الروحيّهْ
تنفيها من غابات الذكرى المربدّهْ
تنهار وتحترق الوردهْ
يا حمرةُ يا لهباً شرهاً حرّق حنجرة القمريّهْ

أشعل شفة المنشد فى الفجر
وقصَّ جناح الأغنيهْ

يا شفة تصرخ: لا
سمّرت العابر فوق التلّ وكسّرتِ الأملا
قِطَعاً، قطعاً، يا رشّة نهيٍ دمويّهْ
يا قاتلة الزهرة، يا عوسجة الطرقات البريّهْ
يا صيفاً قد رحلا
يسحب أشلاء صباهُ تحت أعاصيرٍ تشرينيّهْ
يا عقلاً مبحوح الفكرة يؤوى شللا
خرّب موجاتٍ وحقولاً أسطوريهْ
غيّب «الدورادو» ورباها الذهبيّهْ
عن عينى وطواها فى أرضٍ سريّهْ
أسكنها زُحَلا
يا فرحة من يقدر أن يصلا

- ٢ -

اشتعل الضوء الأصفر
الخيط الناحل بين الفجر وظلمة ليلٍ أدبر
زقزقة العصفور الأولى
فوق البرسيم الناعم يحلم، ينشر عطراً مجهولا
فوق النسماتِ الراقصة الخُصُلات الرطبة محمولا
يجتاح جبالاً وسهولا
ويحبّ اللهَ ويَسْهرْ
ويوزّع سُكْراً للعشّاق وشوقاً عذباً وذهولا
وعلى عُشَشِ الشعراءِ يرشّ العنبرْ
ويُريق دوارقَ من عَسَلٍ يسقيها بيداً وحقولا

اشتعل الضوء الأصفر
في لون سنابل شقراءٍ نضجت في حضن البيدرْ
يا صمتاً بين حبيبينِ
يا أشواقاً ساكتةً تسكن في أحداق العينين
يا صُفْرةُ يا لونَ المرمرْ
المرج الضاحكُ من نشوته قد كبّر
وجبين الغيمة قد أمطر

يا مفرق دربينْ

يا وِدياناً تسكب شَفَقاً مشتعلاً ما بين سماءينْ

يا تمهيداً لتحقيق حُلْمٍ من فضّه

يا حُلْم حدائق خضراءٍ

في خاطر نبع مياه ولهى مرقّضه

يا ورداً أصفرَ في غابة حزن وضبابْ

يا سوسنة حالمة قد نامت في صفحاتِ كتابْ

يا لحظةَ صمتٍ في غنوه

يا فاصل تجريحٍ وعتابْ

ما بين حبيبين اختصما أحقاباً تتلوها أحقابْ

يا بُشْرى بخروج المجروح من الهوّه

يا قمراً يدخل من كوّه

في زنزانة جنديٍّ ضائعة الأبوابْ

يا رائحة المطر الحلوه

يسقط فوق غبار وترابْ

يا منبت أورادٍ شُقْرٍ وشَذَى أعنابْ

اشتعل الضوء الأصفر

معبرُنا المرموقُ ووادينا الأشقر

بين الصمتِ وبين النغمهْ
ما بين النظرةِ والكلِمهْ
فاصل أسرارٍ وتجلٍّ بين الضوء وبين العتمهْ
في ليل محبٍّ ضيّع مسلكه في غابة بَسْمهْ

يا غصناً مبتوراً أثمر
يا دهليزاً «ليثياً» أخصب في الظلماء وأقمر
يا وله العاشق يحلم في الظلمهْ
ويحسّ الليلَ المنسدل الأستار سواقي كوثر
وعماد مدائنِ مرمرْ
يا ضوئي الأصفر، يا تقبيلَ النسمهْ
لخدود الساهر، يا زنبقة الرحمهْ
يا طوق نجومٍ، يا تعريشة عنبَرْ
يا مغرب ليلتنا، يا آخر نجمهْ

-٣-

واشتعل الضوء الأخضر

وأشار الحُلْمُ إلينا ينقلُنَا لبلاد السُكَّر

يا ضوئى الأخضر، يا نجوایَ، ويا سَهَرى

يا وجه مليكى فى الأبعادْ

تتقطع من شغف بسنا عينيه أوتار الأعوادْ

يختلط الموتُ مع الميلادْ

يتكسّر من فرح اللقيا وجهُ القمرِ

ميدى يا ظلمة واندثرى

تتألق آلاف الجُزُرِ

تتراقص شطآنٌ ووهادْ

تتهاوى الأزمنةُ المبهورةُ منتشراتٍ فى أعيادْ

أعياد، أعياد، أعيادْ

يا وجه حبيبى فى الأبعادْ

يا ضوئى الأخضر، يا مرجاً سكرانَ

من الألق المسكوبْ

يا قطرة أشواقٍ حرّى في قعر الكوبْ
لونُ الماضي سيّجَهُ التذكارُ
آفاقٌ ولهى خَضلاتٌ، أشواقٌ تحلُمُ، أقمارُ
ومهاد سنابل شقراءٍ في حضن سهوبْ
والبسمة تنبتُ والهةً فوق الوجه المحبوبْ
وقصائد حبٍّ تنظمها، ونهور حليبٍ وبهارُ
واغانٍ سوف نغنيّها، وترنُّحُ أشرعةٍ، وغروبْ
وتوابلُ،
عطرٌ،
أسرارُ
وَغَدٌ عربيٌ تغرف منه الأشعارُ
منبثقٌ من بيّارَاتِ الوطن المسلوب
يا حيّتْ ذكراهُ، حيّتْها الأمطارُ
وجه حبيبي
يطلع عذباً من شُرَف التذكار الغَّضهْ
من ساحل جُزْرٍ مسبوكاتٍ من فضّهْ
واسم حبيبي

تسكنُ أحرفَهُ أمطارُ
تتلوهُ بيدٌ وبحار
يا ضوئى الأخضرَ!
يا طعم صباحٍ فى مكّةَ خضلانَ معطَّرْ
يا ذكر الله ترتِّلُهُ فى الليل الأوتارُ
وتغنّيه الريحُ المبهورة والنارُ
من ذاق عذوبته يسكَرْ
يسهرْ
يسهرْ

يا ضوئى الأخضرَ يا لَهبُ
يا شارع ذاكرتى فى ساحتِهِ المزهوّةِ ينتصبُ
تمثالُ لاسم حبيبى
يتسلّقُ أحرفَهُ الليلابْ
ويموج على تعريشته عطرٌ وضبابْ
ويخالطُهُ ذَهَبُ
ينبثق الوردُ الأحمر من أحرفِهِ لون غروبِ
يعطيه سكَرَهُ القصَبُ

ترقرقُ في اسم حبيبي نسماتٌ وترطِّبهُ سُحُبُ

وورود نقاءٍ وشحوبِ

ترقُص تنفض أسرار طرواتها ملء اسم حبيبي

يا ضوئي الأخضر يا عنبُ

قطِّرْ مطرا

جمّعْ زهرا

لملم صورا

لحروف اسم حبيبي

واقطف من شاطئه كَرَزاً، وأحصد ذكرا

-٤-

ما بين الأحمر والأصفر والأخضرْ

تضحكُ يا قلبى، تبكى، تتذكّرْ

وتسيرُ تسيرُ إلى أين

المسعى والظلمةُ ممدوده

والأرض المنشوده

ومروج الفُسْتق والعنبرْ

ونهور الكوثرْ

خلف ضباب البحر بعيده

وغدى طرقاتٌ مسدوده

ودياني خاويةٌ، تصفر فيها الريحُ

ويتمتم سرٌّ مجروحُ

وجبالى خنجرْ

ومروجى أشعارٌ تبكى فى صمت الدفترْ

وفؤادى تصرعه أوتارٌ، تحفر فيه مفاتيح

يا دفئي، يا مطري المسحورْ

يا تعريشاتٍ من بلّور

يا وجه حبيبي

يا وجه حبيبي

١٨ من ذي الحجة ١٣٩٣ هـ

١١-١-١٩٧٤م

هوامش وتعقيبات

ص٥- حول وزن (مستفعلاتن مستفعلاتن)

تقتضي الأمانة العلمية أن أقول إننا كنا نغني في طفولتنا نشيداً من نظم الرصافي أوّله:

سمعتُ شعراً للعندليبِ

تلاه فوق الغصن الرطيبِ

إذ قال نفسي نفسي الرفيعه

لم تَهْوَ إلاّ حُسنَ الطبيعه

وفيما بعد قام على صفحات المجلاّت العراقية جدال حول وزن هذه الأشطر لأنها- كما قالوا- تخرج على تفعيلات (مُخَلّعْ البسيط) وقد اقترح بعضهم تقطيعها على (مستفعلاتن مستفعلاتن)، وأذكر أنني ناقشت هذا الاقتراح بين تلاميذي في جامعة البصرة وأخبرتهم أن «مستفعلاتن» المصابة بعلّة زيادة لا ترد لدى الخليل في حشو البيت مطلقاً، فذلك التقطيع غلط مخالف لنهج العروضيين، ويؤسفني أنني لا أتذكر أسماء الأدباء الذين ساهموا في تلك المناقشة العلمية الممتعة.

وبعد فأظنني قد استفدت من تفعيلات الرصافي في استخراج هذا البحر الجديد من بحور الشعر الحر؛ إذ جعلت «مستفعلاتن» تفعيلة كاملة في بحر

صافٍ جديد نوسّع فيه دائرة البحور المستعملة فى الشعر الحرّ، وستكون هذه أول حالة فى تاريخ العروض العربىّ ترد فيها تفعيلة مصابة بعلة زيادة فى حشو البيت وضربه معاً، وليس يخفى أن هذا سائغ فى الشعر الحرّ، غير مقبول فى شعر الشطرين الذى يتمسك فيه الشعراء والأدباء بعروض الخليل الدقيق الشامل للبحور كلها ما كان منها مستعملاً أو مهملاً.

والحقيقة أن الرصافى رحمه اللّه قد فتح لنا باباً جميلاً بالخروج الذى وقع فيه وهو يستعمل وزن (مُخَلّعْ البسيط): «مستفعلن فاعلن فعولن» وإنى لأقول: لعله ليس خروجاً، لعل الرصافى تعمده لأن له وجهة نظر معينة فى وزن مخلع البسيط ولكن المؤسف أنه لم يتناول هذه المسألة فى كتابه المدرسىّ «الأدب الرفيع» الذى عرض فيه عروض الخليل عرضًا مختصرًا؟ وكنت أؤمل أن يقف ويقطع نشيده «سمعت شعراً» ويخبرنا لماذا زاد فيه حرفاً على مُخَلّعْ البسيط؟ أكان ذلك إحداثاً لتجديد فى الوزن؟ أم هو وقوع فى الخطأ؟ ولعل أصدقاء الشاعر، مثل الأديب الأستاذ مصطفى على أعزه اللّه، يستطيعون أن يفيدونا بشىءٍ فى هذه المسألة الدقيقة، اذ يكون الشاعر قد تحدّث إليهم بشىءٍ حول الموضوع فينشرونه خدمة للبحث العلمىّ.

ولكن الذى ينبغى أنْ أنبّه إليه أن الرصافى لم يلتزم الحرف الزائد فى الأشطر كلها عبر قصيدته المشار إليها وإنما عاد إلى وزن مخلع البسيط أحياناً كما فى قوله فى مواضع مختلفة منها:

فالعيش عندى فوق الغصون

لا فى قصور ولاحصون

أطير فيها من فرط وجدى

من غصن ورد لغصن ورد

يا قوم إنى خلقت حرّاً

لم أهْوَ إلا الفضا مقرّاً

فإن أردتم أن تنطقونى

فأطلقونى فأطلقونى

ففى هذه الابيات ورد وزن مُخَلّعْ فى خمسة أشطر كما تشير الخطوط التى وضعتها تحت التفعيلة الثانية «مفاعلاتن» المقابلة للمقطع «علن فعولن» لدى الخليل، وهذا قد يثبت أن الرصافى لم يتعمد الخروج على تفعيلات الخليل وإنما ورد ذلك عرضًا وهو فى وهج الحالة الشعرية، كما حدث لى وأنا أصوغ قصيدتى «زنابق صوفية للرسول».

ولابد لى أن أشير إلى أن الحرف الذى زاده الرصافى على مُخَلّعْ البسيط قد وقع فى التفعيلة الثانية من الأصل الخليلى «مستفعلاتن مفاعلاتن» المساوية للتفعيلات «مستفعلن فاعلن فعولن» ونحن لا نلتزم بهذا فى الشعر الحرّ، لأن التفعيلة المذكورة يمكن أن تُخْبن (مفاعلاتن) أو تُطْوى (مفتعلاتن) حيثما وقعت فى القصيدة الحرّة، كما يمكن أن تبقى سالمة من الخبن والطىّ عندما يشاء الشاعر وفق قواعد (البسيط).

ص١٥- النهاوند

أحد مقامـات الموسيقى العربية الرائعة الجمـال وأنا مغرمة به ولذلك يرد ذكره فى شعر هذه المرحلة مِنْ حياتى.

ص٢٨- الطفل إسماعيل

إشارة إلى النبى إسمـاعيل إذ حمله أبوه النبىّ إبراهيم (عليهـما السلام) مع أمه السيدة هاجر وأنزلهمـا عند البيت الحرام فى مكة وكانت إذ ذاك مجدبة لا ماء فيـها ولا سكان حولهـا، وسرعان ما ترك إبراهيم النبىّ زوجـته وطفله وانصرف عائداً إلى فلسطين.

وتصوّر قـصيدتى (الماء والبـارود) بقية القـصّة كمـا وردت فى الشروح الإسلاميـة، ومنها بكاء النبىّ الطفل إسماعيل مـن العطش وركض أمّه الوالهة سبع مرات بين مرتفـعى الصفا والمروة باكية، داعيـة إلى اللّه أن يسقى طفلها؛ ولذلك سُنَ السعى بين الصفـا والمروة وجُعل من شعائر الحجّ ليتـذكر الساعى عذاب هاجر وكيف استجاب اللّه الرحمـن الرحيم لدعائها وفجّر ماء زمزم ريّاً للنبى الطفل الظمآن وللحجاج كلهم من بعده.

ص٦٥- المجدلية

هى مريم المجدلية التى ورد ذكرها فى الأنجـيل، وكانت فى أول حياتها امرأة خاطئة وقد تجمّع الناس ليرموها بـالأحجار، فردعهم المسيح عليه السلام قائلاً: «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجـر» وقد كانت كلمته هذه عميقة

الأثر فسرعان ما انتبه كل من حمل حجراً إلى أنه له خطايا وذنوباً تمنعه من رجم المجدلية.

وقد أدّى هذا الموقف من الرسول النبيّ عيسى بن مريم إلى أن المجدلية تابت توبة عميقة عن خطاياها وأوزارها وزهدت حتى أصبحت قديسة ومتصوّفة، وأرجو أن يكون واضحاً أننى فى قصيدتى «زنابق صوفية للرسول» إنما أشير إلى المجدلية القديسة فى عطشها إلى اللّه سبحانه، بعد توبتها، أما المرأة الخاطئة فلا وجود لها بين صور قصيدتى.

ص٧٤- دكان القرائين الصغيرة

اعترض بعض الأدباء فى مصر على أننى جمعتُ لفظ «قرآن» قائلين إنه مثل كلمة «غد» لا يجمع؛ لأن القرآن واحد ولا يصحّ أن نجعله متعدّداً

والجواب على هذا شيئان: (الأول) أننا فى العراق نستعمل كلمة (قرائين) فهى لفظة دارجة عندنا تماماً ونحن مسلمون ولا يُطْعن فى إسلامنا، و(الثانى) أن لفظة (قرائين) لا تعنى أن كتاب الله متعدد وإنما تشير إلى نسخ القرآن كقولنا (مصحف ومصاحف) وهذا يجعل الاعتراض غير وارد اساساً.

ص٧٦- مندلى

المقصود بكلمة مندلى أن تكون أسماً للدكان الذى تباع فيه القرائين الصغيرة كما نقول «دكان بغداد» مثلاً.

وأصل هذه الكلمة أنها اسم لمدينة عراقية جميلة من مدن لواء بعقوبا،

تنبت الرمان والبرتقال وسواهما من الفواكه، وكانت (مندلى) مليئة بالحياة عندما كان يجرى فيها نهر ينبع من إيران، وفجأة حوّلت الحكومة الإيرانية مجرى النهر فيبست المدينة الجميلة الخضراء وماتت بساتينها الريّانة المحمّلة بالفاكهة، وجفّت سواقيها، وتشققت أرضها من العطش، وهجرها سكانها، وقد آلمنى هذا أشدّ الإيلام فى حينه، حتى أننى كتبت قصة عن المأساة لم أنشرها حتى الآن، وقد أصبحت كلمة (مندلى) فى حياتى مثل كلمة (يوتوبيا) وبقيت أقول إن نهراً ما ليس ملكاً لأية دولة من الدول لأنه عطاء اللّه للوجود والبشرية، وليس من حق أحد أن يحوّل مجراه أو يحتكر ماءه ويحرم المدن الأخرى والبشر فيها من الحياة والخضرة، إن علينا أن نترك النهر حراً يجرى كما جرى دائماً، يوزع الارتواء والبساتين والثراء والألوان على الوجود، ومهما يكن من أمر فإننى حين أردت أن أطلق اسماً على الدكان الذى تباع فيه القرائين الصغيرة، انبعثت المدينة الحبيبة مندلى فى ذهنى وأعارتنى اسمها الجميل، وقد وجدت فى ذلك فرصة أعبر فيها عن حبى لهذه المدينة المفقودة؛ لأن دكان القرائين فى حلمى ضاع كما ضاعت مندلى، وسافر الحبيب دون أن أستطيع أن أهديه قرآناً يحفظه كما تمنيت.

ص١٠٨ - لفظ مليكى،

كلما وردت كلمة «مليكى» أو «ملكى» فى قصائد هذه الفترة من حياتى، فأنا أريد بها اللّه تعالى مالك الملك وملك الملوك، وهو اسم أطلقه الخالق على نفسه فى القرآن فهو أحد أسمائه الحسنى كما فى قوله:

«عند مليك مقتدر»

«هو الله الذى لا إله إلا هو الملك»

وسوى ذلك، وأحياناً أطلق على الله -سبحـانه- لفظ «حبيبى» كما فى قصيدة «زنابق صوفية للرسـول»، والواقع أننى أحاول أن أتحاشى لفظ «حبيبى» لأنه اسم أطلقـه فى أغلب الأحيـان على حبـيب بشرىّ كـما فى «ويبـقى لنا البحر) و(دكـان القرائين الصغيـرة) وسواهما فى حين أن الملك الـوحيد الذى أتغنى به هو الله العلى القدير.

ص١٦٣- حول إعراب السنين

تساءل غير قليل من الأدباء والقـراء عن إعراب «السنين» فى شعرى منذ مجمـوعتى الشعرية الأولى (١٩٤٧) حتى اليـوم، وتوهم الذين لا يعرفون من النحو إلا القليل الشائع أننى أخطئ حين أثبت نون (سنين) فى حالة الاضافة، ولهؤلاء أكـتب هذا الهامش، فالواقع المعـروف لكل متعمق فى دراسـة نحونا العربى أن (السنين وبابـه) يعرب إعرابين أحدهمـا إعراب جمع المذكـر السالم وهو الرفع بالواو والنـون، والنصب والجـرّ باليـاء والنون، وحـذف النون عند الإضافـة وانتفاء التنوين، وهـذا هو الإعراب الشائع الدارج وأنا لا أحـبّه ولا أستعمله، والإعراب الآخر إعـراب كلمة (حين) التى لا تتغير ياؤها إلى واو، وتبقى نونها ثابتـة عند الإضافة لأنها جزء من الكلمـة لا ينفصل عنها؛ ويكون إعرابها بالحركات: رفعاً ونصباً وجراً وتنويناً، ومن هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم:

«اللهمّ اجعلها عليهم سنيناً

كسنينِ يوسف»

وفيه نَوّنَ السنين كما ينوّن الاسم الصحيح، وجرّها بالكسرة، وأثبت نونها عند الإضافة، وهناك شواهد أخرى على هذا الإعراب أشهرها قول الشاعر:

دعانى من نجد فإن سنينَهُ

لعبن بنا شيباً وشيبننا مُرْدا

والواقع أننى أرفض أن أقول (السنون) فى حالة الرفع، وقد لاحظت أن هذه الكلمة لم ترد فى القرآن الكريم مطلقاً وإنما وردت «السنين» منصوبة ومجرورة فحسب، وقد زادتنى هذه الملاحظة نفوراً من «السنون»، ومهما يكن من أمر فقد عنّ لى أن أوضح موقفى من إعراب السنين بعد أن طال تساؤل القّراء عنه منذ عام ١٩٤٧ حتى اليوم.

ص١٧٥- الدورادو Eldorado

عنوان قصيدة قصيرة للشاعر الأمريكى ادغر آلن بو Poe يبحث فيها الفارس الشجاع طوال حياته حتى يشيب عن مدينة الأحلام فلا يجدها و(الدورادو) هى المدينة المنشودة.

ص١٨٠- حول ليثياً

«ليثياً» نسبة إلى نهر الليثى Lythe بكسر اللام فى الأساطير الاغريقية،

وهو نهر النسيان الذى يشرب منه الموتى فينسون حياتهم الدنيا، وهذا النهر فرع من فروع نهر ستكس Styx الكبير الذى يجرى فى الجحيم ويتصف بأن ماءه أسود، وبأنه يجـرى بقوة رهيبـة جارفة، ولكـنه صامت صمت القـبور، بارد برودة الثلج.

بغداد فى

٢٣/ ٧/ ١٩٧٧م

نازك الملائكة

الوردة الحمراء

الوردة الحمراء

قالَ: اقْطفي لي الوردةَ الحمراءَ يا حبيبتي
قلت له: تجرحُني الأشواكْ
فالعطرُ والحمرةُ يا حبيبي
أرجوحتان للعصافير، ورشفتانِ للغروبِ
ولي أنا شِراكْ.
وقال لي: لا بأس يا حبيبتي
فالوردةُ الحمراءُ جُرْحي، ولَهي، غَيبوبَتِي،
والحبّ أن تلملمي الورود والجراح من أجلِي
وتَنزفي مثلي
قلت له: يَخدشُ إحساسي ويَدْمَى في المدى ظلِّي
ينبُتُ جرحٌ في يدي، تنفجرُ الدماء في ثلجي
أضيعُ لايسلمُ بعْضي لا ولا كلي
وأنت يا حبيبَ قلبي نَجمةٌ باردةٌ تُطِلُّ من برجِ
وأنت بحرٌ فاترُ الموجِ
فقال لي: اسهري هنا وراقبي الأفلاكْ
إنَّ دمي مُنْسكبٌ هُناكْ

(*) العدد الواحد والثلاثون من مجلة الشعر المصرية

وأنت ترفضين أن تلامسى البحر وتبتلِّى
تأبين أن تنجرحى بوخزة الفُلِّ
حبيبتى صلِّى، أنا مجرَّحٌ، صلى

وقال لى: ذُوقى رحيقَ الحب والقتلِ
فها أنا مبعثرا فى جانب التلِّ
والحبُّ موتٌ وصليبٌ، والهوى شُبَّاكْ
على ضفاف المستحيلات، على النُّضُوب والمَحْلِ
فابتسمى للحبِّ يا ملاكْ
واحتضنى الأشواكْ
استقبليها وأحبِّى وخزها الليلةَ من أجلى
وأسلمينى الوردةَ الحمراءَ، لأبْعدى ولأقبلى

قلتُ له وقال لى
وبيننا جثة هذا البُلْبُلِ
لا أنا قد مارست قتلَ الورد، لا،
ولاحبيبى كدَّس الزنابقَ البيضَ ليُخْفِى مَقْتَلى
وبيننا ليلٌ هوَى على الثَّرى مُشْتعلا
وكوكبٌ خَرَّ هنا مولولا

وردته الحمراءُ لم أسلمه إياها، ولم أصلِ
وصلَّتْ الجراحُ صلَّتْ قبلى
وتهتُ فى الأفلاك أبكى،
وحبيبى ساهرٌ فى برجه يبكى ويبكى مثلى

نجمة الدم

رسمتُ في الصمت وجَههْ، كان صمتُهُ زنبقَ الحديقه
كان غنائي، وبُعْدُهُ، مولدَ المتاهاتِ
في دروبِ الضحَى العميقه
وحبنا كان شرفةَ الغَيْمِ والرياح
والصحو ليلٌ أمطَرنا لحظةً وراح
عُدنا عيوناً بلا حَقيقه
صارت ثرياتُنا الجِراح
وشرع بستانُنا يبيحُ النسيانَ والرقصَ
حينَ تَذوي الربُّى الشقَّيقه
وعند جيراننا شَظَايا، عيونٌ قَتلَى
وحَدُّ نَصلٍ يغوصُ في جَبهَة الصباحْ
وحرشُ بيروت نجمة، في دمٍ، غَريقه

لبنان قطْن تندفه الريحُ في اكتئاب،
والأرز سُفْنٌ بلا شِراعْ
وطعم سَرْوِ الذُّرى رحيلٌ بلا وداعْ

(*) العدد الثامن من مجلة الشعر المصرية

وأين بيروتُ؟ لم أجِدها،
لافى كتاب الرياح، لا فى دم الشّعاع
وشَعرها سنبلُ المراعى،
تبعثرت كلُّ خصلاتِه فى الثَّرى وضاعْ
بيروت عذراء قطَّعوها
وبَجْعةٌ فى مزادِ صهيون صار شريانُها يُباعْ
ويا حبيبى، أين عيونك؟
على طريق ابتسامةٍ منك أُشْعِلُ الشمعَ،
أفرشُ الدمعَ،
لا أغانيك تعبر النار نحو شوقى ولا حنينك
هل ضيعتَ دربها إلى مرفأى سنينُك
وبين صوتى ووجهِك الموتُ والضياعْ
ويا حبيبى، يقتُلنى واحدٌ من اثنين:
موتُ بيروت أو جبينُك

أشتاقُ فى الليل يا حبيبى لأن أغنِّيكَ،
أصحبُ البحرَ كى نلاقيك،
فى ضلوع الحنين والحلم سوف نؤويكَ،
غير أن المدى ببيروت يرتدى معطفَ الدخان

أشتاق لكنّما الأغانى
هائمةٌ تسكنُ الخرائب
بيروت مقتولةُ المحاريب،
طوردت فى دروبها طفلةُ الأذَان
بيروت مسلوخةُ الكواكب
ولحمها فتّته، غذت به الغياهبُ
وخلف عينيك يا حبيبى جنازتانِ
حزينتانِ
فى غبش الفجْر يا حبيبى تحنُّ نفسى
لأن أغنّيكَ
أسألُ الفجر كيف تأتى؟
إليك أُغنيتى الحزينه؟
وعبر بيروت يُذبحُ (الرّستُ) مثلما تُذْبحُ المدينه
تسقط قتلى كل الأغانى
فى ساحةِ البرج، دون رأسِ
ويا حبيبى، بيروت صارت جنائزَ اللحنِ،
ينبت الرعب فى ثراها،
وأنجمُ الليل قطَّعتْ شعرَها وأبقت
فحم الضغينه
وماءُ هذا الخليج ملحٌ، ولى ببيروت نهر شمس

بضاعتى الشوقُ يا حبيبى
وأشترى الشوق، آكل الشوق،
أشرب الشوق من دمائى، ومن شحوبى
والشوقُ بحرٌ سفائنى فيه رحلةٌ فى دم المغيب
وأنت، عبر الخراب والموت،
ومضةٌ فى سماء لحنى
وجهك، بين الحرائق الصُفْر، مثل لبنان،
مَقْطعٌ من نشيد حزنِ
وجهك إطراقةُ الدروبِ
وصمته هجرةُ المغنّى
وذكرياتٌ مقتولةٌ، واحتراقُ سُفْنِ
كان الرصَّاص الذى يصيد النجوم يشدو
ودهشة البحر لا تُحَد
وكنت أرسلت، من أقاصى الدجى، بريدى
رسائلا من أوتار عودى
لعلها تلتقى حبيبى،
مُخْتبأً فى ضباب لحن،
أو تحت أستار غيمة،

أو وراء وعد من الوعود

لحنى قد جاء من بعيد

طفلا برئ الجراح، فوق الألغام، يَعْدو

يُلقى سؤالاً مُحترِقَ الجُرْحِ، عبر غيبوبةِ النَّشيدِ

لكن بيروتَ لا تردّ

وفى ترامى دروبها لم أجدْ حبيبى

وكان لى من جبينه فى نيسان وعدُ

وأذرع الموت لا تُحَدُّ

وليل بيروت شارعُ النار، ضَفَّتاه بلا حدود

وليس فى شاطئيه غير الدماء وردُ

بيروت غابه

ومن دماء القتلى على جفنها سحابه

أين ترى البحر؟

كان بالأمس ها هنا يا بيروت بحرُ

تكتب أمواجه وتمحو، وينثر الشذرَ والغرابه

يقرأ تحت السماء فى لهفةٍ كتابه

كانت هنا زرقةٌ وشمس.. وجاء عصرُ

جبينه يمطر الكآبه

وتصرخ الريحُ، تصرخ الريحُ، فى رتابه
بيروت قبرُ
بيروت قبرُ

لكنما يا حبيب قلبى
تأتى مع الريح، حكمةُ الرِّيح، من بعيد
تهمسُ أن (القنّاص) فى السطح فى ارتخاء
وساده بيتُ عنكبوت، ويمتطى صهوة الهواء
يحلم أن البحارَ تُقْهَرْ
وأن سر الأشياء يُكْسَرْ
وأنه قاتلٌ نشيدى
الله أكبر
بيروت، إن الغناءَ وهج الدم المعطرْ
يصمدُ فى جبهة الشَّهيد
وإن وجهَ الحقود أصفرْ
والدم سرٌّ، وعمقُ بحرٍ بلا حدود
مثل (جَعيتا)، وضحكةِ الشمس،
وانكسار الندى على غابة الصنوبر
بيروتُ إن القتلى تواريخ لا تفسَّرْ

قبورهم مولدُ الرعودِ
وخلفَ أَحْداقهم ترى العاصفاتِ تسهرْ
بيروت، والجرح نَهْرُ كَوثرْ
من ضفتيه يولد لبنانُ من جديدِ

الزرقاء والمدينة

«عين الزرقاء فى المدينة المنورة لها قصة شعبية
ترويها الشاعرة فى هذه القصيدة».

فى مَتاهات مكَّةَ، أرضِ الضَّلالْ
وَطَن الكفرِ حيث المروءة تَخْبو وتنضبُ حتى الخصالْ
آتياً وشحوبُ السَّفَرْ
فى ملامحه ونضُوبُ الرِّمالْ
طرفُه آية، وجهُهُ طهَّرته السُّوَرْ
رفَّقَتْه مواعدُ كانت مع الله
أشرعةٌ فى ليالى السَّهَرْ
لم يَذُقْها بَشَرْ
وجْهٌ مُنْتَظَر، طاهرٌ كالمَطَر
جبهتهْ كصفاء الينابيع، طرفٌ كطُهرِ ليالى الشِّمال
وهى تأتى محمَّلةً بالخَدَرْ
من شَذَى البرتقالْ
إنه أحمدٌ
وصدىً من أذانِ بلالْ

(*) العدد السادس والثلاثون من مجلة الشعر المصرية

مالىءٌ روحَه، تحت رجليه يورقُ حتى الحجَر
وتبرعمُ حتى التِّلالْ
أحمدٌ يعبُر الأمسَ إلى المنتَظرْ
أحمد يا جبالْ
أحمد يا صَخَر
فاضحكي يا رُبى، وانْتَشِي يا ظلالْ
إنَّ جذعَ الشرور انكسر
والصباحُ انتشر
من بعيد تلوح له يثرب المُحْسِنه
يثربٌ المؤمنهْ
يثربُ المرتقَى، يثربُ المئذنه
ويرى أحمدٌ عَيْنَ ماءْ
رقرق اللهُ فيها العذوبةَ والعطرَ والزَّعْفرانْ
عين ماء كلولؤةِ الأَحزانْ
تترَقْرق بالأشْذاء
وأناخَ النبي هنا واغتسل
وارتوى من مياه عَسَل
غسل الحزن والنَّفْي عن شفتيه..
ورطَّبَ هُدْبَ المُقَلْ

واكتملْ

فرِحَ الماء، أن نَبِيّاً عليه اغتَسلْ

يا شراعاً يصفِّق، يا زقزقاتِ القُبَلْ

وأَطَلَّ محمدْ

ورأى عينَ ماء شعاعية ثانية

في ينابيعها تَتَبَرَّدْ

نخلةٌ حانيه

وانْحنَتْ فوقَها داليه

ثرثرت في تراب الحقول

قبَّلت قدميْ رابيه

وأناخَ الرسولْ

ثم قال: أباركها بيديَّ لتحلوَ، تكبرَ، تَسْقِي التلولْ

إن كفِّي غمامٌ، ولَمْسِي سيولْ

وعيونُ المياه عطاءْ

من كُرومِ السماءْ

وانحنى في الصباح الرسولُ، انحنى واغتسلْ

ماؤُها كانَ في مثلِ بردِ ندى كانونْ

ومذاق شذى اللَّيْمونْ

ومضى نحو يثرب رَكْبُ الرسولْ

وجهُه لبنٌ ورحيقٌ سقَى سنْبلاتِ الحقولْ
وخطاه اختلاجاتُ وردٍ خجولْ
قالتْ البركة الأولى، جَنحى خَطواتك يا أُختى
سوف نَبْلغُ يثربَ قبل الرسول ضحى
أنا أو أنت
إن هذا نَبِىٌّ السماءْ
مانح الظلماتِ عناقيدَ ريَّانة بالضِّياءْ
ساكنا فى جفون النِّيام شَذَى يقظة بيضاءْ
مُسْلِمٌ الملك للفقراء
إنه قاصد يثرب ليذيبَ التقى فى ثُرَاها
ليُنَقِّى رُبَاها
من حَصَى الشِّرك، إن يَديْه شفاءْ
وعلى فمِه رجْعٍ تَسْبيحة صافيهْ
من شفاه قريشية عذراء
تزرع الدِّفءَ فى الليلةِ الشَّاتيه.
إنه قاصدٌ يثربا
ليغذِّى الربُّى
ليعيدَ إليها الحياةَ، ليمسحَ تقطيبةَ الموتِ
فلْنصلْ قبلَه أنا أو أنتِ

إنه سيحيل جفافَ الرجاءْ
همعسةً رَطْبةَ الصمتِ
ولَسوفَ يصِلْ
ليس يملك دفقة ماءٍ لكى يغتسلْ
فلنصل أنا أو أنتِ
قَبْلَهُ، قَبْلَهُ
سنُرطِّبُ موطئَ أقدامِه، نَقْتَفِى ظَلَّهُ
قالت البركة الثانيه
وهى ترخى غدائر مغرورةً ناسيهْ
أنا لا أحسنُ الرَّكضَ، إن قطارى ملُولْ
ومياهى خمول
ثم إن الربُّى قاسيهْ
شوكها جارحٌ، وأنا لا أحبُّ الجِراحْ
أنا مالى جِناحْ
لأطيرَ وأسبق خَطْوَ الرسولْ
وسأحفُر دربْى ببطءٍ وماذا يهم الرسول،
ما الذى يغرى قبلّه بالوصول؟
قالت البركة الأولى الخاشعه
أنت يا أختَنا ضائعةْ

الحبيبُ الرسولْ
بعد دَرْبٍ عسيرٍ ملول
بالغٌ يثرباً، والسواقى مُحُول
أنا يا أختنا خلفهُ موجةٌ ساريه
وهو شاطئ روحى، أنا السفن التَّائهاتْ
أنا من دونِه أفقٌ شمسه غاربه
وحبيبى محمد
حلمٌ مرَّ بى لحظةً، وتبَّددْ
أنا لم أشبعْ من سناهُ المورَّدْ
وسأتبعهُ، سأشدُّ الرِّحال أمواجى الوالهاتْ
من عبير البنفسج أنضح جبهته التائبه
سوف أَغْسِلُ وجنتَه الشَّاحبه
بمياه القرنفل تحت الضحى المسدولْ
فهو حُبِّى وترتيلتى الذَّائبهْ
وهو فى شفتى وردةُ الآهاتْ
سأطيرُ ولا أتوقف
خَطْوتى تتعطّش، أُغنيتى تتلهفْ
لأروِّى الرسول
سأكون أنا فى المدينةِ قبلَهْ

سأقبِّل ظلَّهْ
وسأمنحه كهرمانَ مياهى لكىْ يَتَوَضَّأْ
سأعرِشُ كلَّ زروعى له يتوسَّدها يَتَفَيَّأْ
وستلقاه منى شهقةُ حب، وعند الوصولْ
سيغمِّس فى مائى المشتاقْ
وجهَه المغسولْ
بالتُّقى بنَدَى الإشراق
يتهجَّدُ قلبٌ إلى الله تحرقهُ الأشواق
وتُغَمْغِم مزهوةً فى الضّحى البركة الثانيه
هذه البركة العاصيَه
وتقولُ تقولْ
لن أضيِّع عذوبة قَيلولتى السَّاجِيَهْ،
لا ولا للرَّسُولْ
ألست مخمولةً لأهيم مع الريح مجروحةً حافيه
أنت يا أختُ عاشقةٌ وهواكِ بحورْ
وصَدىً مَسْعورْ
فلتمزِّقْكِ إن سرت كلُّ سكاكين هذى الصخور
فى جنونٍ ووحشيَّة أنا غافيهْ
فوقَ ريشِ الظِّلال، وألف لتعطَشى شفاه الرَّسول

أنا فوقى تعريشةٌ وتظلِّلنى داليهْ

أنا يانعةٌ، أنا مُتْرَفةٌ، أنا عطرٌ كسولْ

أنا نشوى وماذا يَهِم الرسول؟

وأقول ولستُ أبالى إذا نقل المرتقى ما أقول

إنِ أحلى الدروبِ طريقٌ يَطولْ

والعيونُ التى تتلكأ يطلع منها الضياءُ الخجولْ

ويصير الترشّف فى مائها المعسولْ

نشوةً لاتزولْ

أنا ماضيةٌ فى أَناد ولستُ أُبالى إذا لم يذقْنى الرسولْ

إن قَيْلُولَتى عافيه

والتعجل حمقٌ، وأَشْرعتى غافيهْ

والرياح تغازلنى، والرُّبى حانيهْ

وسأنعم بالحب وليتشقق جبينُ الرسولْ

قالت البَركة الأولى

بطراوةِ همسٍ يجىءُ اختلاجاً مع الريحِ محمولاً

يا انبثاق الهدى يا رسولْ

يا انخطافَ الرُّكوعِ، وياولَهَ الأشواقْ

يا نبياً يداهُ هُطُولْ

وتطلَّع مقلته أبدٌ وفصول

يا نبياً هو الميناء، هو الشاطئُ المأمولْ
لسفائن تقذفها غمراتُ البحارْ
وتمزّقُها مدينةُ الأعصارْ
هو طلعةُ مستقبلٍ مجهولْ
من رضى الله وهو لأدعية البشريَّة بُشْرى القبولْ
يا نبياً على قدميهِ غداً يسقط الصنمُ المقتولْ
أنا آتيهٌ، آتيهْ
أنا بركتك السلسبيليَّة الحاليهْ
فاغتسل وتوضأ وذق يا حبيبي محمدْ
يا ضياءً تجسَّدْ
للوجود المضيَّعِ وجهَ نبيٍّ رسول
ينقذ البشرية من ليلِها المملولْ
وأوسِّدُه فوقَ أمواجِ شَعرى النَّدى المحلولْ
ومضتْ كلُّ عينٍ كما رسمَت
البطيئةُ عَبْرَ غُيُومِ الكرى هوَّمَتْ
سكَرتْ وارتَمتْ
والشريعة بركتنا العذْبةُ الأولى
نشرتْ أرجاً سابحاً في العذوبة مبلولاَ
ذوَّب الله في حافتيْها الغروبَ الجميلاَ

صار مَرْشَفُها عسلاَ
وامتلتْ سنبلاَ
واستفاضت وروتْ شفاها كثارا
أحْرقَتْها الصحارى
نثرت ليلكاً خَضِلا
عينُ ماءٍ مباركةٍ يتبرَّدُ فيها الحيارى
يشربونَ على ضِفتيها النهارا
ويصلّون
أما اللئيمة بركتنا الثانيهْ
فلقد أصبحت مسرحاً لرياحِ الرَّدَى العاويهْ
أصبح الماء في شعبها غوْرا
فقدت مُقْلاتُها اللآلئَ وانطفأت فورا
هَجَرتْ شَطَّها الداليهْ
لم تَعُد عندها أقداحْ
ورَماها الصباحْ
جثةً أطفأ الله في لونها الشِّعرا
وغدت مرقص الأشْباحْ
ومُصَلَّى الرِّياحْ
كانتْ المدَّ فامتقعتْ جُزْرا

وأطلَّ على يثرب الحالمةْ
فى ضحاها الرسول: الرسول! الرسول:
عرسُ كلِّ الحقولْ
وابتسامةُ كلِّ العيونِ المُقَطّبة الساهمةْ
إنه صحوةُ الوردة النائمةْ
وانتعاشُ الذبولْ
إنه هُدْبُ نسمةْ
وتفتُّحُ نجمةْ
فى سماء الأفولْ
إنه المنتظرْ
الحبيبُ الرسولْ
آتياً فى سفرْ
قادماً فى سُفوحِ القَمَرْ
فى ضَبَابِ الزَّهَرْ
إن فى وجهه العذْبِ فجرَ الغَدِ المنظورْ
وشبابَ العُصورْ
الحبيبُ الرسولْ
ألق البلُّورْ
وانبثاقُ الشّذى والرّطوبة من شرفاتِ النورِ

تتلقاه عند الدخول
ائتلاقةُ تعريشتَيْن على عينِ ماءْ
طلعت فجأةً من ربى المجهولْ
وانحنتْ للرسولْ
قَّبلت قدميه وقالت: أتيتك يا جبهةً علت الأنبياءْ
فارتشفْ من شَذى سكْرى ما تشاءْ...
أنا لست بماءْ
أنا ذوبُ ضياء
والرسول الكريم يباركها ويسمِّيها: العذبة الزرقاءْ
إنها الزَّرقاءْ
هرعت من بعيد لتسْقى شفاه الرسولْ
وتصير قلادةَ شَذْرٍ تزيّنُ صدرَ الحقولْ
اسلمى للمدينة يا زرقاءْ
للحقول سنابلٌ أنت، وللأغنيات ثراءْ
وغذاؤُكَ كلُّ عيونِ الغيومْ
وستروين يثربَ ما ضحكتْ فى السماءِ نجومْ
ولقد جفَّت البركةُ الباخلهْ
أختَك الغافلة
لهثت فوق صدرِ الثَّرى ميتةً ذابلهْ

إن أغنية اللؤم أغنية قاتلهْ
والبخيلة سوف تُكفِّنُها الأزمنهْ
وستلعَنُها أيما مئْذنهْ
فى شموخ الجوامعِ فى ربواتِ المدينه
وفَم البركةِ المؤمنه
يستحيلُ إلى سوسنهْ
ويرشُّ السلامَ وطعمَ السكينهْ
فى القلوب الحزينهْ
وسلمتِ، سلمتِ، إلى أبد الدهر يا ياسمينه.

القمر على مزدلفة

«حجت الشاعرة إلى بيت الله الحرام وافتتنت بطقوس جمع الصخور من وادي مزدلفة تحت ضوء القمر طيلة العاشر من ذي الحجة»*.

ينحنونْ
يجمعون الصدف الأبيض في شط السكون
ويصلي فوق واديهم قمرْ
ضوؤه أشرعةٌ عبر نَهَر
وجهُه رحلةُ صوفيٍّ وأسرارُ عيونْ
قمرٌ يمطر زخّات من الرؤيا وأقداحَ صُور
هُدبهُ للروح رحلهْ
وصلاةٌ وأهلَّه

والصخورُ البيض في مزدلفه
سنبلاتٌ ومرايا
شمعداناتٌ وضحكاتُ صبايا
ودموعٌ عذبةٌ منذرفه

(*) العدد السابع من مجلة الشعر المصرية

من جفون القمر المكْسور آلافَ الشظايا
ضحكت كل شظيَّه
كعروس طلعتْ من صدَفة
رشَّت الليلة موسيقى
ووهجاً
وتحايا
سبَّحَتْ لله عذراءَ نقيَّه
قبلت أسماءه الحُسنى وصلَّتْ بشفاهٍ مريميه
صلواتٍ لدنةً مرتجفة

يا صبيَّه!
يا خدودا أسيويَّه
من مجاهيل الفلبين القصيَّه
يا شفاهاً تمتمتْ بالتلبيه
يايداً تجمع فى الكيس حجاراتٍ وتبكى وتُلَبِّى
واسم ربِّى
خافتٌ فى شفتيها كخفوت التّضحيه
رشرشته فى سكون الأوديه
شرفةً ضوئيهً أو مقطعاً من أغنيه

يا صبيَّه!

يا عيوناً مَجْدليَّه

يا اختلاجات شفاه شفقيَّه

ما الذى تَلْتقطينْ؟

ولماذا: عبر آماد الدجى، تنتحبينْ؟

صارتْ الصخرةُ فى كفكِ دمعه

من عيونِ المسْلمينْ

فى جنوبِ الفلبينْ

يا صبيَّه!

يا جراحاً قرمزيَّه

أنت فى العتْمة بجعه

سَبحت مجروحةً فى حضنِ تُرْعَه

دمعُها يقطر، إذ تذكر جرحا غار فى ألف جبين

فى بلاد الفلبين

ربَّ دمعه

صيَّرتها لمسةُ الله نُجوماً وأشعه

إنَّ ربِّى قمرُ المستضعفينْ

وانبلاجُ العدلِ فى ليْلِ الحزينْ

ليس ينسى الله شوكاً وجراحاً
في خصور البشريَّه
ليس ينسى يا صبيَّة

وعجوزٌ تونسيَّه
تجمع الصَّخْرَ من الوادي وفي كأس لياليها بقيَّه
يا طقوس الموت، يا إغماءة المحتضرينْ
يا اصفرارَ الشمس في الغربِ، ويا وجه الضحيَّه
يا ذبولَ الوردِ والعنَّاب، يا جرح السنينْ
ما الذي تحت الدياجي تلقطينْ؟
ولمن تَبْتَسمينْ؟
صار في كيسك عطر من بقايا الخطوات النَّبويَّه
وحصَى الذكرى تسَابيح شذيَّه
صارتْ الصخرة في كفِّك حلوى وابتسامه
ليتيمين من القدس السبيَّه
صارت الأحجار ظلاً وغمامة
أمطرت أنقاض (بيسانَ) و (رامَه)
وتبسَّمْت وصارَ الورقُ الأصفر أزهاراً فتيَّه
يا عجوزاً ردَّها الحج صبية

وأنا أجمعُ من مزدلفه
كيسَ أحجار، وأحْجَارى تصلِّى فى يدى
ذاهلةٌ: منخطفه
سقطتْ عذراء من أرض القمر
إنها لحْنٌ وشمسٌ لا صَخَرْ
إنها أورادُنا المقتطفه
من حقول الله، إن الصخْر حبَّاتُ مَطَرْ
وانعكاساتُ صُوَرْ
رشَّها الله حزاماً للخصورِ الخاشعاتِ المرهفه

ضَحكتْ مزدلفه
ورؤاها أوْمضَتْ لؤلؤةً فى صَدَفه
وحَملنا كنزَنا الغالى صخوراً وأهلَّه
جَدَّدت عمرَ السنين المُضْمَحلَّه
يا صخوراً طَعمُها طعم الكرومِ المترفه
تَرجُم الشيطانَ، شيطانَ المذلَّهَ
تقذف الإلحاد،
والفقر،

وصهيون، وترمى
كلَّ تشريدٍ وظلمٍ
كلَّ أكداسِ الخرافاتِ المُملَّة
كلَّ زيف، كلَّ تعريشةَ وَهمِ
تقذف الغَفلةَ واليأسَ، وتذكى الجرحَ شعله
وتحيل الموتَ قُبْله

وصخُورى من ربى مزدلفه
باقةٌ خاشعةٌ فى يدِ طفلَه
أورقت حباتِ ضوءٍ بضَّةً مُنْقَصِفه
من دوالى ألفَ نجمٍ
لمعت فى جبهةِ الليل الأصم
وصُخورى ترجمُ الباغِى وتُعْطى للجياع الأرغفه
وصخورى معرفه
تسكبُ الفكر قرائين
وموسيقى
وأرجُوحة حلمٍ
أطلعته فى الدجى لؤلؤتىْ مزدلفه

ثم غادرنا.. وفوقَ السهلِ ليلٌ فارشٌ منتصفه
وحملنا صَخْرنا العذْبَ نجوماً، وابتهالاتِ شَفَه
وادكاراتِ نهارٍ،
وخيام،
ورؤىً في عرفه
وتركنا قمراً ينثر مَرْجاناً على مزدلفه

سيمفونية السجاجيد

سجاجيدُ، سجاجيدُ، سجاجيدْ،
أَتَتْ تزحفُ من شتىّ العوالمِ ليلةَ العيدْ
من الهنْد وأطرافِ الفلبينْ
من الفولغا، من المغرب، من كينيا، من الصينْ
سجاجيدُ، سجاجيدْ
على الأذرعِ والأكتافِ محْموله
بملْح الدَّمع والتَّوْبةِ مغسوله
وتسقط فوقها الأهواءُ والنزواتُ مقتوله
سجاجيدُ، سجاجيدْ
لقلب المؤمن الخاشع كأسٌ، واحةٌ، عيدْ
دموعٌ من عيونِ الضوء مَذْرُوفه
ولونُ سرادقِ الجنَّة، طَعْمُ الخُلْد، من أَودية الأعراف مقطوفهْ
وسمفونيَّة الألوان معزوفه
على عود تُصليِّ فيه أوتار، صلاةُ سنابلٍ عطشى إلى الماءْ
سجاجيدٌ بعطر المسجد النبويِّ ملفوفه
مبقَّعة بورد النَّار حَمْراءْ

(*) العدد الثلاثون من مجلة الشعر المصرية

وأُخرى لدُنة شذريَّة الأمواج ملساءْ
سجاجيدُ بلون الغيْم كحليَّهْ
حواشيها رماديَّه
سجاجيد سماويَّه
سجاجيدُ من الكتاّن صفراءْ
وغاباتٌ من الأبنُوس والصّفصاف لفّاء
سجاجيدُ عليها صورة الكَعْبة
مجَّردُ لمسها تَوْبه
سجاجيدُ مُذَهَّبةٌ وبيضاءْ
وأخرى كالعيون الخضر وَطْفاءْ
تعيد القلبَ من غُرْبه
وتوقد مشعلاً فى غابة رطبه
ومُخْملها لمن أبحر فى مِلْحِ الخطايا السُّودِ ميناءْ

وسمفونيةٌ تعزفها فى الفجر آلاف السجاجيدْ
من الأبواب تطلع، من ممرَّاتِ
يدثِّرها السكونُ، من الحوانيتِ المضيئاتِ
مصلُّون، مصلُّون، ومحمولون آلافاً ومحمولون على أشرعة العيدْ
على أكتافهم، ما فوق أذْرعهم مئات من سجاجيدْ

سجاجيد مزارعُ للتّقى تُنْبِتُ قمحَ التّوبةِ البيضاءْ
جسورٌ تربط الحزن بشمس، بازْرقاقِ سماءْ
سجاجيدُ بلون البرتقال تطلّ فجر العيد
بلون الكحل أحيانًا، وأحيانًا بلون العُشْب والقرميد
وتسرقنى السّجاجيد
كما تسرقُ ألوانُ الدُّمَى طفلاً عشية ليلة العيدْ
وفى دوامةِ الألْوانِ، فى غابِ الأناشيدْ
أضيعُ سليبةَ الرُّوحِ
إلى الله أَمُدُّ جبينَ مَذْبوحِ
وأنزفُ ليلةَ العيدْ
وتغسلُ جرحى القانى السَّجاجيدْ
وتحملنى إلى شاطئِ ما قبلَ الجراحِ الحمرِ آلافُ السَّجاجيدْ

ويصعدُ صوت (حيِّ على الصلاة) من المدَى والليلِ
يصُب خُشوعَه كالسَّيلْ
وتُفْرشُ ألفُ سجادةْ
على الأرْصفَةِ السمراءِ، فى الطرقاتْ
وفى المسْجد، فى الأروقةِ البيضاء، فى الساحاتْ
ويُصْحى الفجرُ أورادَه

يُعَنْبِرُها، يرشُّ على المصلين عطورَ الهيلْ
ويعرف قلبى المبهورُ فى مكَّةَ مِيلادَه
ومكةُ، مكةٌ للقلبِ زُوَّادَه
سجاجيدْ...
لمن لامسَ عِطرَ الله فى المَسْعى سجاجيدْ
سجاجيدُ، مع الله حوارٌ ومواعيدْ
سجاجيدْ...
سجاجيدُ وتَهمِى أدمعُ الإيمان آلافَ الثريَّات، وآلافَ العناقيدْ
وينزل خالقُ الأرض إلى الأرض
سجاجيدُ
سجاجيدُ
سجاجيدْ

الإبرة والقصيدة

حوار فكرى

نبـــيل: لست أدرى كيف يمكن أن تبقى هذه الإبرة على مكتبك منذ ظهر أمس حتى اليوم، دون أن تعيديها إلى مكانها

هــدى: لقد خطت بها كم قميصك ونسيتها على المكتب

نبـــيل: هذا هو العذر الأزلى.. النسيان، لماذا لا يخطر لك مطلقا أن النسيان ليس عذرا؟

هــدى: إنه عذر أيها العزيز لمجرد أنه شىء مفروض على فرضا ولايد لى فيه، ثم إننى لا أتعمده ولا أقصده، وإنما يطاردنى هو

نبـــيل: أعرف أنك لا تقصدينه، ولكنه مع ذلك ليس عذرا!

هــدى: وكيف ذلك؟ أوضح ماتقول

نبـــيل: إن النسيان نقيصة فى الإنسان، وكل نقيصة لايصحُّ أن تقدم على أنها عذر

هــدى: إنها نقيصة حقا، ولكنى أحاول جاهدة أن أتخلص منها دون أن أفلح، إن النسيان يحكمنى ويتحكم فى ذهنى ويمحو ما أنويه محوا فى بعض الأحيان، ومن ثم فهو نقيصة، وقدر، ولا خلاص من القدر

نبـــيل: هو نقيصة وليس قدرا، لأن النقيصة يكون للإنسان مهرب منها، أما القدر فهوحكم نفاذ ولا خلاص منه.

هــدى: أنا إذن، فى رأيك، قادرة على الفرار من نسيانى؟ وفى ذاكرتى أمل؟

(*) العدد الحادى عشر من مجلة الشعر المصرية

نبـــيل: وهل يحتاج هذا إلى برهان؟ انظرى مـثلا، عندما خطرت لك فكرة القصـيدة التى نظمتـها فى الأيام الثلاثة الماضـية فهل نسـيتهـا؟ لقد استيـقظت فى الثالثة صباحـا فوجدتك فى المكتبة تكتـبين منهمكة، وعندمـا أنبتك وقلت لك إن السـهـر يتعـبك قلت لى: ماذا أفـعل؟ حاولت النوم فانبـعثت فى ذهنى أشطر رائعة لم أحتـمل أن أتركها تتبدد، لأننى إذا تركـتها ولم أسجلها فلسوف أنسـاها فى الصباح " هذا ماقلـت " قولى لى إذن لماذا لم تنسى قـصيدتك وانـت تحاولين النوم؟

هـــدى: سر ذلك أن القصيدة تفرض نفسها على كالنسيان تماما

نبـــيل: أتجعلين الشعر نقيصة مفروضة؟

هـــدى: لعلهـا نقيـصة؟ ذلك أنهـا حينمـا تنبـعث فى كيـانى تؤذينى إن لم أكتـبها فـورا، إنها تخـدشنى، وتجرحنى، وتعذبـنى، وإذا لم أخضع لحكمهـا وأقذف بها إلى الورق فإنهـا تسبب لى الذهول بين الناس يحدثوننى فلا أصغى، ويسألوننى فأشرد، هذا هو الشعر أفليس هذا نقـصا؟ ومع ذلك فـهو نقص مـحبوب لا أحاول الهـرب منه، إنما ألتمس الوقوع فـيه، خلافا للنسيان الذى يسبـب لى الحرج وأبغضه وأتهرب منه.

نبـــيل: ولكن....... دعـينا نعـد إلى إبرتك هذه المهـملة على مكتـبك منذ يومين، هذه الإبرة، ألا تضايقك كما يضـايقك كبت القصيدة؟ إنها تضايقنى أنا، وكلمًا رأيتـها فى غير مكانها شعـرت أن الوجود غير مريح، وأنا أراها كلـما دخلت المكتبـة وكلما خرجت مـنها، فكيف تنسينها انت؟

هـــدى: إن القـصيـدة المكتوبة تخـزنى وخزا موجعـا يجعلنى مـضطرة إلى

تذكرها، أما الإبرة فلا وخز لها، ولذلك أنساها.

نبـــيل: «ضـاحكا »- ساعـدني الله عليك! من لي بأن يسـمعك أي أحـد غيري وأنت تقولين هذا، إن الإبرة لاوخز لها، في حين يكون وخز القصيدة موجعا.

هـــدى: ياعزيزي، إن للإبرة وخزا حـين تغرز في ذراعي، وهذه الإبرة الملقاة على مكتبي لا تخز لأن خشب مكتبي غير حساس

نبـــيل: إنها تخز ذراعي أنا

هـــدى: رائع! الإبرة تخـــز ذراعك انت، وقــصـيــدتي تداويك وتمتــعك وتنعشك، أما أنا فإن القصيدة مغروسة في ذراعي وروحي، وفوقها تتغـرز إبر هذا اللوم الذي تخزنـي انت به بسبب نسـياني، ولا أنس لي ولامتعة.

نبـــيل: يا مكارة!- والشعـر ألا يسعدك وينعـشك؟ إني أعلم أنك تجلسين ساعات متواصلة كما جلست أمس، ترفضين حتى أن تأكلي، لأنك تسجلين أشطرا من الـشعر تنثال على ذهنـك جاهزة هي وقوافيـها، وهذه كما أعلم وتعلمين سعادتك الكبرى.

هـــدى: أتقول جاهزة؟ إني أدفع ثمنهـا لهيبا يشعل كيانـي ويشحن جسمي كله.

نبـــيل: لا تزوغي أيتها العـزيزة، دعينا نسم الأشياء باسمائهـا، لقد حدثتني مرارا عن «الحالة الشعرية» كمـا تسمينها، وهي عندما تهبط عليك، أشبـه بغمامـة تثقلهـا قطرات المطرالمعطر، يصبح نظم الشـعر عندك انثيالا دافقا.. تكادين لا تسطيعين تسجيله.

هـــدى: نبيل أنظر، إن الحـالة الشعريـة مع ذلك تكلفني ثمنا باهظا لا يطاق، وفوق ذلك فهي لا تهـبط عند بدئي للقصيدة، وإنما أمر قبلهـا بفترة

من المعاناة، ألم أقل لك هذا من قبل؟

نبـــيل: قلت أجزاء منه، أدرى طبـعا أنك عندمـا تبدئين القصـيدة لا يكون ذهنك مـتفـتـحا كل التـفتـح، ولا ينثال عليك الشـعـر انثيـالا وإنما تفكرين وتكتبين.

هـــدى: صحيح، إنى أبدأ حـين أكون فى ذروة عاطفيـة، وأكون إذ ذلك قد وضعت يدى على الفكرة الكاملة للموضوع، وهذه الفكرة سرعان ما تلـف نفسهـا فى لحظة طارئة من انفـعال خصـب يعترينـى فأبدأ القصيدة وأنا واعية، قد أختار لها وزنا، وأنظم منها شطرين أو أكثر ثم ألاحظ أن الوزن غـيـر كفء فـأشطـب كل مـا كـتـبت فى ثورة عصبية وأضع رأسى بين كفى حائرة، ثم أبدأ أجرب وزنا آخر، وقد أجد ما أنتجت غـير معبر، وقد ينجح وأتقدم فى بطء، وقـد تستمر هذه الحالة سـاعة بين الوعى وعـدم الوعى، وفجأة يدور فى حـياتى الرقم السحرى وتهبط اللحظة السعـيدة، وتوافى الحالة الشعرية.... تأتى الصبية الموهوبة الجميلة وتنثرعلى أنداءها.

نبـــيل: وعندها تنتهى المعاناه، وتهبط عليك الأشطر منظومة مسحورة كاملة هى وقوافيها فى سهولة ويسر.

هـــدى: تظنها تنزلق انزلاقا دونما عائق يعرقل حركتها؟ لا، يا نبيل لا، ليس هذا صحيحا ولو كان الأمر كما تقـول لاكتملت قصيدتى فى ساعة واحدة منها، وليس هذا مايقع، أو لا تدرى أننى أحيانا أنظم قصيدة واحدة فى ثلاثة أيام أو أكثر.

نبـــيل: «معـترفا» تماما، لست أنكر هذا، فكـيف إذن نوفق بين القولين؟ فى الأسـبوع الماضى بقـيت أربعـة أيام تشـتغلين فى قـصـيدة واحـدة، ولقدحدثتنى مرارا وفى فرح غامر أن الأشطر تتوارد عليك وتمنعك

من النوم.

هـــدى: وذلك يلوح متناقضا، ولكن الحالة الشعرية تستمر عندى عدة أيام، لأننى لا أملك وقتا متصلا لتفريغ الشحنة المتأزمة فى نفسى، فجأة يرن جرس الهاتف ويكون على أن أجيب.... أو تقاطعنى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ويكون علىَّ أن أنام لأستفيق فى السادسة صباحا وأعد الفطور لولدى لكى يستطيع الذهاب الى المدرسة، ثم يحين وقت الجامعة، وخلال ذلك ماذا يقع لى صعيد الشعر.

نبـــيل: وهل تستمر الحالة الشعرية خلال ذلك كله؟

هـــدى: هذا هو الموضوع الغريب المستثير يا نبيل، إنها تستمر، وذلك عذاب وفرح غامر فى الوقت نفسه، إنه شوك يخزنى وأحسه فى أعصاب معدتى أشد ما أحسه.

نبـــيل: وكيف ذلك؟ ماعلاقة الحالة الشعرية بالمعدة؟

هـــدى: إن ماأقوله يبدو غير مصدق، ولكن اصغ إلى أيها العزيز لتمتلك الحقيقة، هذه الحالة الشعرية، تبقى بفضل الله ورحمته، ملازمة لى حتى أستطيع إتمام القصيدة وهذه نعمة سابغة حلوة، ولكن لها شوكا وفيها تعذيب، أدخل الصف وذهنى فى أقصى نشاطه، تتفجر ما فيه من معلومات مخزونة فى الأدب والنقد والشعر واللغة والنحو والموسيقى والمنطق والعلوم، إنى أصبح شعلة من الثقافة المتأججة وأستطرد خلال الدرس فى عشرات الاتجاهات وتستفيق ذاكرتى على صورة معجزة.

نبـــيل: ألا يكون هذا التفجر شيئا نافعا ولذيذا لدى الطلاب؟

هـــدى: بلى يكون كذلك، وطلابى يصارحوننى فى مثل ذلك الظرف أنهم يسعدون، وكذلك يلازمنى شىء آخر يحبه الطلاب هوالسعادة

البالـغة التي تغـمرني، والمحبـة التي أتفجـر بها لكل إنسـان، ولكل شيء في الوجود.

نبـــيل: قـفي لحظة، أنت إذن سـعيـدة، فـأين عـذاب الحالة الشـعـرية؟ أين المعاناة والأشواك التي وصفتها؟

هـــدى: يا عزيزي! دعني أكمل الوصف، إن هذه السعـادة الطافحة لها ثمن من أعصابي فخـلال هذة الحالة تكون أعصاب معدتي مـتوترة كلها على شكل أحـسه،ويكون جـبيني سـاخنا، يلتهب بنوع من الحـمى وكأن ذهني كله يتـأجج ويضيء، وأكون قلقـة أسابق الحيـاة وكأني سأموت في اللحظة التالية.

نبـــيل: إن ما تـقولينه غـريب أيتهـا العزيزة، ولكن ألسـت مبالـغة فـيه؟ إن عـادتك التي أعرفـهـا هي المبالغـة في الوصف، أنت تعـبرين بقـوة لاذعة عن الألم والفرح والغضب والشك، هذه طريقتك.

هـــدى: أنا شـاعرة فـي صفـتي هذه التي تتـحـدث عنها، والشـعـر ليس إلا موسيقى منبعها التطرف العاطفي، وإسباغ التهاويل على كل شيء، وفي أنا من هذا الكـثـير، ولـكن وراء كل مـبـالغـة غـيـر قليل من الحـقيـقة، إني أحـتـرق وأتمزق خلال الحـالة الشـعرية هذه، وكلمـا امـتدت –بـسبب العـوائق الشـاغلة التي يضـعـها واقع الحـيـاة في طريقي– استمر التأجج.

نبـــيل: وماذا يحدث للقصيدة خلال ذلك؟

هـــدى: ما أكـاد أفرغ من هذه العوائق وأهدأ خـمس دقائق، وأتناول أوراق القصـيدة وأقرأها قراءة واحـدة حتي تبدأ الأشطر بالتـشكل السريع وتفاجـئني القوافي التـي لا تخطر على بالي ولا أدري من أين تنبع، وتنزل على المعاني الباهرة مموسقة منغومة، وإذا ما حدث خلال هذا

الانثيال أن أذهب إلى المطبخ مضطرة لأتناول طعام السحور فى رمضان، فإن الأشطر تواصل الإنثيال على لأنى وحيدة مع نفسى، والطعام لا يشغل إلا يدى وفمى وكثيرا ما أترك كوب الحليب يبرد لأسرع إلى المكتبة وأسجل شطرا موزونا مقفى يهبط على ذهنى كاملا كما خرجت مينيرفا إلهة الحكمة مدججة بالسلاح من ذهن أبيها جوبيتر فى أساطير الإغريق، وأحيانا يكون مدفع الإمساك قريبا ماثلا، وأنا جائعة والأشطر تتوارد على أشبه بنهر فائض جارف، ويدوى المدفع ويحين الإمساك وأبدأ نهارصوم جديدا، وأنا أحمل جوع يوم سابق معى بسبب الحالة الشعرية.

نبيل: إن سعادتك الكبرى فى الحياة هى الشعر وأنا واثق أنك تصومين جوعك سعيدة لمجرد أن قصيدتك قد ولدت موهوبة خصبة متألقة

هدى: ولكن يانبيل! فكر فيما تقول، ان قصيدتى لا تولد فى نهار الجوع هذه المشاغل يأتى بها صبح الصيام، دروس فى الجامعة، موعد مع الطبيب، زيارة لا مفر منها، ومثل ذلك، وخلال ذلك أبقى تحت وهج الحالة الشعرية التى وصفتها لك، أعانى العذاب والغبطة، وأكل الملح والسكر، وأمشى فى الضباب على شواطىء يوتوبيا، وأتمزق خلال ذلك تمزقا متصلا لأننى أحتاج إلى الورق والقلم والصمت لأتم هذه القصيدة التى ترمها المشاغل من أن تولد ويتم خلقها.

نبيل: الآن ينبغى أن تفسرى لى ما لا يبدو متناسبا، إذا كانت الأشطر تهبط عليك كاملة فلماذا تحتاجين إلى كل هذا الوقت لإتمام القصيدة؟ أحيانا نكون جالسين مع ضيوف لنا تحبينهم، وفجأة أفتقدك وأجدك قد اختفيت من بيننا فأبحث عنك لأجدك واقفة فى

المكتبة تكتبين فى لهفة ووله، وأسألك عاتبا: كيف يصح هذا؟ تتركين الضيوف وتقبعين فى المكتبة؟ فتقولين لى فى عجلة وتأجج: (لحظات فقط! إنى أسجل أشطرا من شعر هبطت على الآن وإذا ما أهملت كتابتها فورا هربت وانطوت الى الأبد).

هـدى: وأعود مسرعة إلى الضيوف والراحة مرسومة على وجهى، ولكن لاحظ! إن هبوط بعض الأشطر على موزونة مقفاة موهوبة كاملة لا يعنى أن القصيدة تنظم نفسها لى.

نبـيل: هذا ما نريد معرفته تفصيلا، ماذا يهبط عليك هبوطا؟ وماذا تبدعينه أنت بذهنك الواعى؟ وهل الشعر معجزة خالصة؟ أم أن لك فيها يدا؟ وهل شيطان الشعر حقيقة ملموسة واقعة؟

هـدى: إنه حقيقة رائعة، وأسلافنا العرب القدماء مبدعون فى تصورهم له، شيطان الشعر هو الحالة الشعرية يا نبيل، وقد وصفتها لك، ولكن هذا الشيطان الحبيب أو الملك الإلهى الطيب لا يعطينا كل شئ، وإنما يعطى شيئا ويغيب عنا أشياء أو هو يعطى المفتاح ثم يقف مبتسما مشجعا، وعلى الشاعرة بعد ذلك أن تشق طريقها وحدها.

نبـيل: ولكنك قلت إن الأشطر تهبط عليك كاملة.

هـدى: هذا يقع غير قليل ولكن... إن هذه الأشطر الملهمة لا تأتى فى سياقها المفروض أولا: يأتينى شطران عذبان يمكن تركيبهما فى مكان ما من القصيدة التى أمتلك فكرتها كاملة، ولكن أين البقية؟ إن على أن أجدها بنفسى وأرصها حتى يقابلنى مكان الشطرين المعجزين اللذين نبعا فى ذهنى غير الواعى بقافيتهما، وأحيانا يأتى شطر غير كامل فيه فكرة خصبة جديدة تغير السياق الذى أنا فيه تغييرا سحريا، وتمنحنى اتجاها جديدا لم يكن يخطر على بالى أو

يهجس به خاطرى، وقد تأتينى قواف مفاجئة منفردة ليس لها أشطر غير أنها تعطينى مفتاح غرفة مسحورة مقفلة تشق للقصيدة دربا لا عهد لى به.

نبــيل: ولكن القوافى وحدها لا تنفعك، أليس كذلك؟ وهل هذه هى الحالة الشعرية إذن؟ أرانى قد خبت فى عقل الشاعر غير الواعى.

هــدى: يا نبيل! إنى أتدفق على صورة سحرية لا مثيل لها ويكون إتمام الأشطر التى امتلكت قوافيها سهلا، وفيه عذوبة ولذة، هنا القضية، فما أكاد أمتلك القوافى حتى يهبط على معنى جديد جدة كلية، وهذا المعنى لا يوجد جاهزا وإنما على أن أبذل الجهد للوصول اليه وبعث دم الحياة فيه، وما أكاد أفكر حتى أتدفق، إن يدى تلوح مسحورة، وذهنى كله انثيال وتفجر، وبين الحين والحين يأتينى شطر موزون كامل أو شطران قد يمكن تركيبهما فى أول القصيدة أحيانا، ولذلك ترانى فى الغالب أمزق خلال الحالة الشعرية، كل ما نظمته فى الفترة الأولى التى سميتها فترة الكتابة الواعية، وهى فترة ينقصها التدفق المبدع، ذلك أننى أكتشف بعد هبوط الحالة الشعرية، أن الأبيات الأولى كانت باردة وغير خصبة ولذلك أبادر إلى شطبها وإثبات أبيات جديدة حارة متدفقة فى مكانها، ولولا هذه الخصوبة المتأخرة لكانت بدايات قصائدى صماء ثلجية جوفاء فى أغلب الأحيان، لأننى أكون قد نظمتها فى فترة ما قبل الحالة الشعرية.

نبــيل: هذا الذى تقولينه شديد الأهمية، وكنت أحب أن أسمعك تقولينه لأنك قلت لى فى البداية شيئا خيبنى هو أن افتتاحية القصيدة تكتب دون أن تكون وراءها حالة شعرية تلونها وتثبت الحيوية

والخصوبة فيها، ولكن قولى لى مع ذلك، ماذا تفعلين حين تريدين أن تبدئى قصيدة؟

هـدى: فى أحيان كثيرة أجلس وأسجل الفكرة التى خطرت لى فى نثر اعتيادى محاولة تجميع كل ما فى ذهنى الواعى حولها من صور ورموز وغير ذلك مما هو مادة الشعر.

نبيل: ولكنك قلت إن ذهنك يتدفق ويتفجر بأشياء جديدة مبتكرة لاتخطر لك على بال، فكيف يحدث هذا التفجر ومتى؟

هـدى: انظر أيها العزيز، إذا أردت أن أرسم لك صورة بسيطة عن الأسلوب الذى يعمل فيه ذهنى أثناء هذه الحالة، فسأذكرك بالجهاز المسمى بالعقل الإلكترونى.

نبيل: هذا الجهاز المقتدر الذى يعطى معلومات إنسكلوبيدية عن أى موضوع نكلفه بالغوص فيه؟

هـدى: أجل، ولكنى أحتاج هنا إلى أن أشير إلى نوع معين من أصناف هذا الجهاز وهو النوع الذى يبدو قادرا على تدبير تجانس إنسانى عجيب يحار الفكر فيه، إن هناك فى أمريكا جهازا إلكترونيا يرتب اللقاء بين الشبان والشابات ويختار لكل منهم رفيقا مناسبا يستطيع أن يصحبه إلى حفلة مثلا دون أن يعكر انسجام الرفيقين شىء، فإذا رغبت فتاة ما فى حضور احتفال، ووجدت نفسها بلا رفيق يصحبها إليه لجأت إلى شركة معينة، تمتلك هذا الجهاز طالبة مساعدتها فى الحصول على هذا الرفيق، ويقع على الجهاز أن يختار للفتاة أنسب صاحب تقضى معه الأمسية.

نبيل: (ضاحكا) حقا؟ هذه إحدى شطحات أمريكا ولم أسمع بها من قبل، ولكن ما علاقة هذا بحالتك الشعرية؟

هــدى: علاقـة ما... إن هذا الجـهاز اخـتراع قـصد به علمـاء أمريكا تقلـيد العـقل الإنســانى المذهل الذى أودع فـيـه الخـالق الـعظيم قـدرات سحرية يبقى سرها خفيا علينـا فلا تفسير لها إلا كونها من صنع إله قدير مبدع لا حدود لعظمته وقدرته، أراد العلماء أن يصنعوا جهازا يقلدون به ذهن الإنسان فاخترعـوا العقل الإلكترونى، وكيف يعمل هذا الجهاز؟ هناك موظف مسئول يتلقى طلب الفتاة التى تبحث عن رفيق تقـضى معـه المساء، وهذا الموظف يلقى علـيها مـجمـوعة من الأسئلة تتناول نفسيـتها وهواياتها وثقافتها وأحـوال أسرتها وأشياء كثيـرة أخرى منها طولها ووزنهـا، ثم يملى الموظف هذه المعلومات إملاء دقـيقا على الجهـاز الممتد أمـتارا كثيـرة على الجدران وهو آلة معقدة أشد التعقيد، وبعـد ذلك يبدأ الجهاز بالعمل الدائب المستمر، أضواء تنـطفئ هنا وتشتـعل هناك، وأزرار تتحـرك، وأرقام تصـعد وتهـبط وبعـد ربع سـاعة من هـذا العمل الآلـى يقدم الجـهـاز اسم الشـاب الذى يصلح لمرافـقة هذه الفـتـاة، ويكون هذا الشاب أحـد العشرات من الذين تقدموا إلى الشركة يـطلبون رفيقات يصاحبنهم هذا المساء.

نبـــيل: أنت تحاولين التقليل من قيمـة هذا الجهاز إلى جانب عقل الإنسان، فقـد لاحظت أنك وصفـته بالضـخامة وتحدثت عن المكان الواسع الذى يشغله بينما عقل الانسان لا يزيد عن حجم تفاحة كبيرة، وأنا خبـير بطريقتك فى الـتحدث كلمـا ذكرت عظمة الخـالق وتضاؤل علم الإنسان إلى جانبه.

هــدى: أو ليس هذا صـحيـحا يا نبـيل العزيز؟ إن جـهازهم الذى يعـد من عجائب هذا العصر لا يكون شيئـا إلى جانب عقلى الصغير الحجم

الذي خلقه الله المبدع الأكبر وجعله من الأسرار التي لا نسبر أغوارها ولا نلامس عمقها مهما تقدمنا في العلم، لقد زعم العلماء أنهم قلدوا هذا العقل في عملهم، وانظر كيف يعمل العقل البشري، أهم بكتابة مقال حول فكرة معقدة أهتم بها، وأبدأ ذلك بأن أجلس إلى مكتبي وأمامي أوراق فارغة، وأروح أسجل كل ما في ذهني الواعي من أفكار وصور وأحاسيس حول ذلك الموضوع، وقد تشغلني هذه العملية ساعتين أو ثلاثا أو أكثر، وقد أحقق الكثير وأسجل نقطا كثيرة تستطيع أن تكون العمود الفقري للمقال، وعندما تنفد أفكاري أطفئ الضوء وأذهب إلى سريري وأنام، والمعجزة المذهلة تحدث في الصباح التالي- أو خلال الليل نفسه- فأنا أستفيق فجأة لأجد ذهني في حالة توهج غريب، وألاحظ أن فكرة جديدة مبتكرة قد نبتت في وعيي حول ذلك الموضوع وطلعت كالوردة الحمراء المشتعلة باللون والحياة، وأسرع إلى مغادرة السرير الدافئ إلى غرفة المكتبة الباردة وأجلس على عجل لأسجل الفكرة قبل أن تضيع في غمار الذاكرة وتفلت مني إلى الأبد، كيف تم هذا البزوغ المذهل؟ لقد نمت أنا واستمر العقل الموهوب يعمل في جد وحرارة واهتمام وسرعان ما أبدع هذه الفكرة وأعدها بحيث تكون جاهزة كاملة فأتسلمها حين أستيقظ، وهذه الفكرة كما يتضح لي جديدة جدة كاملة ولاعلاقة لها من أي لون بأفكاري السابقة الواعية، وهذه الفكرة كثيرا ما تقلب مقالي رأسا على عقب وتوجهه وجهة جديدة، ثم إنني ما أكاد أكتب هذه الفكرة حتى تنثال على أفكار أخرى جديدة فيها عمق ملحوظ دون أن أدري من أين نبعت وهذه الأفكار تحول مقالي من حال إلى

حال، وترسله فـي اتجاه سحـرى مبتكر لا أعـرف كيف بلغـته ومن أعطانى اياه.

نبـــيل: ما تقولينه صحيح، وأنا أيضا قد جربته وان لم أكن ملهما مثلك، إن ذهنى يعمل على هذا الأسلوب، أحيانا أحاول محاولة دائبة أن أفك معضلة فكرية من نوع مـا، وأبذل الجهد كاملا دون أن أحقق نتـيجة وأخيـرا أعجز وأسـتسلم لليأس، واذ ذاك أترك الموضـوع وأنصرف إلى أعمالى الأخرى، وفـجأة يبزغ الحل الكامل من ذهنى وينتصب وكأن معجزة قد وضعته بين يدى، ومن أين جاء هذا الحل؟ وكيف نبع؟

هــدى: نبع من عـقلك الذى هو أقدر آلة ألـكترونيـة فى الوجود، أتعلم مـا يحدث لنا فى هذه الحالات الغامضة؟ نحن نعطى هذا العقل الجبار المعلومات الأولية التى نعرفها، فنجلس ونجمع له المواد التى يملكها العقل الواعى، وبـعد ذلك ينفد مـا لدينا ونعجز ونـكف عن العمل وننام، ولكن العـقل السـحرى المعـجز لا ينام وانمـا يبقى يعـمل بلا انقطاع، إنه سـاهر أبـدا يعـمل ونحن غـافـون غـافلون مـسـروقـو الأرواح، وفى سـهرة يبـدع أفكارا جـديدة لا عـلاقة لهـا بأى شىء سابق من المادة الأوليـة التى جهزنـاه بها من جهـدنا المحدد الواعى، وذلك هو الإبداع البـشـــرى العـجـيب الذى يطلع به علـينا العـقل اللانهائى، وهل ترانى يا نبـيل أنا التى أبدع القصيدة الحـية المبتكرة؟ لوَالله. إنما هو كـيان غامض مـسربل بالألغاز يقـيم فى داخلى على صورة لا تعليل لها ويعطينى القصـيدة جاهزة، وهذا الكيان هو قوة الله الجـبار التـى رقرقت نبض الحـيـاة والفكرفى كل ذرة من ذرات الخليقة.

نبـــيل: سبحان الله العلى القدير، ومع ذلك فلست أوافقك على ميلك إلى التقليل من قـيمة العلم، لأن العقل الإلكترونـى مدهش أيضا، وهو تقليد عظيم لعقل الانسان.

هــدى: هو عظيم لأنه من صنع الإنسان الجاهل الضـعيف، ولكنه تافه، ولا قدرة له بإزاء العقل البشرى.

نبـــيل: إذا كان الأمر كـما تقولين فكيف يصل هذا الجهـاز الى اسم الشاب المناسب الذى تسهر معه تلك الأمريكية التى حدثتنى عنها؟

هــدى: ليس فى ذلك أى إبداع، إن العـقل الإلكتـرونى قـد زود بالصفـات الوافيـة لعشرات من الشـبان، وهو لا يزيد عن اختـيار شاب وفـتاة تتماثل صفاتهمـا، وهذا اختيار أوتوماتيكى ليس وراءه إبداع، ذلك العـقل الالكتـرونى لا يمكن أن يطـلع علينا بفكرة خـلاقـة كـالتى تبـدعهـا عقـولنا، وإنما يقتـصر عـمله على جـمع المواد وتنسيـقهـا وفرزها، ثم إن الجهاز يقع فى أخطاء غليظة فى أحـيان كثيرة، غلطة واحدة يقـع فيهـا الموظف المسئول حين يضـغط على زر غـير الزر المطلوب، وتكون النتيـجة أن يجمع الجهـاز شابا وفتاة مـتنافرين فى ذوقهـما كل التنافر، فمـا تكاد الفتاة تلتـقى بالفتى الذى اختـاره لها العقل الإلكتـرونى حتى تنظر إلى عينيه وتشـعر بنفور منه لا تفـسير له، ويحس هو إحـسـاسـا ممـاثلا دون أن يدرك السـبب، والجـهـاز الالكتــرونى لا يملك عــاطفـة ولا يـرتعش له قلب يعـطف على الشـابين المذكـورين وهذا سـر غلظتـه وقلة إحـســاسـه، إنه يعـمل بالأضواء والأزرار والأرقام، أما الإنسان فإن له روحا، وهذه الروح لا نهائيـة فلا تسبر أغـوارها آلة، ولا يصل إلى فك رموزها جـهاز مهـما تعقـدت مدينة الإنسان، وفى الحياة الإنسانيـة حالات كثيرة

يكون فيها الزوجان -مثلا- مختلفين فى مزاجهما وأهوائهما وطباعهما ومع ذلك يسعدان بزواج يمتد مدى الحياة وينزلق على دولاب السنوات بلا مقاومة ولا صدمات ولا خدوش، والعقل الالكترونى عاجز عن أن يجمع مثل هذين القلبين، وكل عمله أنه ينسق الخصائص التى أعطيت له ويقرن الشئ بشبيهة ويختار أزواجا تتماثل صفاتهم وقد تتنافر قلوبهم كل التنافر.

نبيل: قد يكون الأمر كما تقولين، ولكن كيف تفسرين كون العقل الالكترونى ينسق الأفكار ويعطينا اسم الشاب المناسب؟ أليس هذا ابتكارا؟

هدى: لو تأملت لأدركت أنه لم يبدع فكرة جديدة مبتكرة لم يسبق أن خطرت على بالنا كما يصنع العقل الإنسانى، وإنما يقتصر عمل العقل الالكترونى على حالة واحدة هى الحالة التى يمتلك فيها أسماء شبان أخرين وصفاتهم، إن قصارى ما يقدر عليه أن يجمع أشياء معطاة له ويقرن بعضها إلى بعض ويختارمنها الرفيقين الأكثر شبها ليترافقا ذلك المساء، أما العقل البشرى فإنه يحل لك اللغز يا نبيل، يحله حلا جديدا يستحيل أن يكون خطر لك، وهو ينظم لى القصيدة التى تذهلنى أنا نفسى وتأتى فريدة لم يقل شبهها شاعر غيرى، ومن أين تنبع تلك الأسطر المنظومة المقفاة الكاملة التى لم أشتغل أنا فى نظمها لا بل لم أتذكر قوافيها لأسجلها فى قائمة القوافى، إن العقل خلاق مبدع يبتكر من لا شئ، أما عقلهم الإلكترونى الذى يبهرهم فهو لا يقدم لنا الا أحد الأسماء التى حشوناه بها حشوا، وكثيرا ما يخطئ بينما العقل البشرى لا يخطئ،

نبيل: هذا صحيح، وأضيف إلى ما تقولين أن عقلنا العجيب يعمل بلا

أزرار ولا أضواء ولا صعود ولا نزول، وحين نتناوله فى غرفة التشريح ونتأمله نزداد حيرة وذهولا فهو مجرد كتلة صغيرة من اللحم والدم وهذه الكتلة تؤدى وظائف معقدة معجزة لا يستطيعها ذلك الجهاز الهائل الضخامة الذى يملأ قاعة كبيرة.

هـدى: (تخشع) سبحانك يا الهى، يا أجمل حقيقة فى الوجود.

نبيل: سبحانه وتعالى، ولكن اسمعى يا هدى، خطرت لى فكرة، إن عقلى حين يحل لى اللغز ليس مبدعا من دون ثقافة أمنحه إياها، تذكرى كم سنة من عمرى قضيتها فى الدراسة وقراءة مئات فى مختلف حقول المعرفة والفكر وعلى هذا يكون ذهنى مالكا للأفكار الدقيقة كما يملكها العقل الإلكترونى.

هـدى: صحيح طبعا، إن دراستنا وثقافتنا ذات علاقة مباشرة بالموضوع لأنها تنشط العقل، ولكن ألا يبدع عقل الرجل الأمى قصائد ولوحات وأفكارا؟

نبيل: اعتراضك وارد، والأميون يبدعون، ولكن هل يستطيع رجل من هؤلاء الأميين أن يحل هذه المعضلة الفكرية عين الحل المعقد كما حللتها أنا؟

هـدى: إنه لا يستطيع وذهنه يبدع آخر مختلفا، ولكن ما رأيك فى ذلك الطفل الذى قدمته لنا الإذاعة المرئية ببغداد مرة؟ كان عمره ثمانى سنوات وكان يستطيع إجراء عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة لأرقام مخيفة تبلغ ملايين المليارات...

نبيل: لابد لى يا عزيزتى من مقاطعتك، إنك تقولين إن الأرقام مخيفة، ولماذا تكون الأرقام مخيفة؟ ما الذى يخيفك فيها؟

هـدى: يا نبيل، إن الأرقام مخيفة تثير الرعب، وسر رهبتها أنها لا نهائية

وكل ما هو لا نهائي يخيف العقل البشري ويزلزله، ولذلك نخاف الله أشد الخوف، فهو أزلي لا بداية له ولا نهاية، وأنا أخاف الفضاء، كما أخاف أزلية الله سبحانه، وكما أخاف الأرقام، لأن علماء الفلك يؤكدون أن السموات لانهائية فمهما سافرنا فيها وجدناها تمتد، وهي مخيفة حتى إذا أمكن لنا أن نتصور أنها تنتهى عند نقطة ما، عند حدود معينة، لأننا إذ ذاك سنعلم حقيقة رهيبة أخرى هي أن هذه السموات المنتهية بحدود لابد أن يكون وراءها شئ آخر، وهذا الشئ الآخر سيكون وراءه أشياء أخرى، أرأيت إذن؟ إن اللانهاية شئ لا يحتمله العقل الإنساني ولابد للفكر من أن يلقى هذا السؤال الرهيب، ماذا وراء اللانهاية فى الخليقة وفى الأرقام وفى الزمن؟ فكر فى كل هذا يا نبيل وسترى أنك خائف تحس أن الوجود يميد تحت قدميك.

نبيل: إنك تصورين اللانهاية تصويرا يثير الرعب حقا، ولكن حدثينى عن ذلك الطفل الذى عرضته إذاعة بغداد المرئية بما له من قدرات حسابية فإنى لم أره ولم أسمع عنه.

هدى: لقد ألقوا على ذلك الطفل أسئلة مخيفة بأرقام هائلة تثير العجب والدهشة فكان يجيب فورا ويعطي الناتج دونما ورقة ولا حساب، وكان الذين يلقون عليه الأسئلة رياضيين مختصين وكانت معهم آلة حاسبة الكترونية لولاها لما استطاعوا إثبات صحة إجابات الصبى الصغير.

نبيل: تقولين إنه كان يجيب فورا، وهذا أعجب العجب لأن الحاسبة الإلكترونية حين تعطى أرقاما ضخمة كثيرة لضربها تستغرق ما لا يقل عن ربع ساعة فى إعداد الجواب.

هــدى: نعم، نعم يا نبـيل، واسمع هذا، لقـد حصل خـلال ذلك أن أعطت الحاسبة الإلكترونية جوابا يخـتلف عن جواب الصبى بعشرة أرقام، فمـا كادوا يجابهـونه بذلك حتى أكد لهـم أن الآلة هى المخطئة فى الاجابة لأن أحد أزرارها معطل، وعندما جاءوا بخبير وفحص الآلة اكتشف العطل فعلا، أفليس هذا مذهلا؟ هنا ذهن بشرى غير متعلم وغير مـثقف ولم يزود بأية خلفية رياضيـة، ومع ذلك يصحح خطأ آلة الكترونـية يندر أن تخطئ، أليس هذا كله من مظاهر عظـمة الله الذى أبدع فى خلق العقل البشرى؟

نبـــيل: ما تقولينه حق، والعقل الانسانى خلاق على صورة معجزة.

هــدى: وهل يجعلك هذا تغفر لى تركى لهذه الإبرة على مكتبى منذ أمس؟ إن ذهنى كان منشغلا بابداع قصيدة جديدة.

نبـــيل: آمنا بالله، وسامـحناك، والثمن الذى أطلبه أن تقرئى علىَّ القـصيدة الجـديدة ولكن ها أنا ذا أحـمل الإبرة بنفـسى وأضـعـهـا فى علبـة الخياطة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

حلم ليلة من ليالى رمضان

حلمت بأنى أهاجر نحوك فى عرض هذا الوجودْ
وزوادتى صلواتٌ، ووجدٌ، وأوتارُ عود
على كتفى صُرَرٌ وحقائب
وفوق عيونى ضبابٌ، وعبر دمائى رغائب
تحملنى ثِقْلها الأرض، تقلع ريش جناحى الخطايا
وتعكس وجهى وتخدعنى عشرات المرايا
فلا أستطيع الصعود
وتأكل من شفتىَّ الغياهب
ولكنَّ وجهَك يدعو
ووجهَك دونَ حدودْ
ومن خطفته سماوات وجهِك ليس يعود

وسافرتُ وحْدى طويلا لعلِّى أصلْ
إلى شطك المكتمل
هناكَ تُموسقنى دفقةٌ من شذى جبهتكْ
وأركعُ فى ضفتك

(*) العدد التاسع والعشرون من مجلة الشعر المصرية

وتجثو معي عَشَرات الكواكب

أقول لقلبي: طال طوافك

وتومىء لي، يا مليكي، ضفافكْ

واسألها: خلف أي بحور هيه؟

وفي أيِّما لا مكانْ

أحاول أن أتجرد، أمضي إليكَ، محررَّة من قيود الزمانْ

فتحسبني موجة لاهيةْ

وزنبقة عاريه

على شاطئ بالشَّذى يَغْتسل

يغازلني، يتودد، يبعدني عنكَ لكي لا أصل

وأسأل: أي شوارع حُلمي حَواك؟

وفي أي غصن

من التُّوت ألقى شَذاك؟

وفي أي إغماءة من تَهجُّد لحني

تُرى سأراك؟

وفي أي أمواجِ قوس السَّحاب ألاقيكَ في أيِّ لون؟

وفي أيِّ خيطٍ من المطر المنهمل؟

وفي أيِّ بلورةٍ من سواقي الصباح الخضلْ؟

ومن قعر جرحٍ بخاصرة الشوق لا يندملْ

يضجُّ سؤالى
وليس يردُّ على نبضاتِ سؤالى
سوى رجعِه، وترامى بحار، وشطآن حزن
سوى حيرتى وارتمائى ما بين كون وكون
ويمطر فوق جفونى البنفسج حين تمر ببالى
وأنثر عمرى فى البحث عنك: ليالى، ليالى
ويكشفنا الفجر منصرعين، أنا وابتهالى

وأسمع همسا يخاطبنى: أنت أيتها القاصده
إلى دربه، فيم تحتملين ركام الحقائبْ
تجرّينها؟ إن حارسَ هذا الطريق سيطلب دَمْعة تائب
يعانق قلبى شيئه
ويشرب ضوءه
وفى لحظة من ضياع وحَيره
يُطالعنى وجهه المبتسم
تكوَّنه رعشةٌ فى مياه البحيره
وأركضُ فى وله، غير أن الغروب النهم
يخبىءُ حسنك عنى
ويأخذُ وجهك منى

وزادى من عطر شَخْصك قطره
ومن ضوء وجهك نظره

متى سيكون الوصول إليك؟
وكيفَ الوفود عليك؟
أضيِّعُ وجهك مغلوبة، وأرانى وحدى
وحين أغنيك تسبق صوتى مرارة سجنى
وشهقةُ قيدى
وقلبى عصفورُ فجر يزقزق بين يديْك
ويشربُ من شفتيكً
وذكرك مسبحتى، وجذورى، ولذة سهدى
ووجهك مَجْدى
ولقياك أجملُ وعْد
وأسألُ عنكَ،
ويولد مدٌ من الشمس عبر البحر
يواعدنى رمضانٌ جديدٌ بشرفة حب لديك
ترش علىَّ شذاها ليال أُخَرْ
وأجلس أغزل شوقى لموعدك المنتظر

ثلاثية من زمن الفراق

في دروب الرياح
هل يا حبيبي بعثرتنا شاسعات البلاد؟
هل فرقتنا الرياح؟
وهل ترى قد سكتت شهر زاد
عن الكلام المباح؟

من يا ترى ألقى بنا للرياح؟
عصفورتين دون عشٍ دافىءٍ أو جناح
ترمقنا الجوارح الكواسر
بنظرة أهدابها مسمعة، أحداقها باترة
تشربنا كأنما دماؤنا بحيرة تستباح
ممن يا حبيبي قد بنى بيننا
هذا الجدار، من ترى أسلمنا للجراح؟
ومن ترى أودع أشعارنا
أستار هذه الظلمة الناخره؟
وهذه ترى يأتي إلينا الصباح
بعد ليالي السهر المعاصره؟

وهذه الصحراء هل بعدها
تسقى رؤانا غيمةٌ وردیةٌ ماطره؟
برشة من حبنا عاطره؟
ترطّب الأشواق، تشفى كل جرحٍ حفرته
الرياح
وكل ليلٍ قاتمٍ خلفوا
أشواكه في الظهر والخاصره

ويا حبيبى هل ترى قد صمتت شهر زاد
عن الغناء المباح؟
هل أسلمتنا للبلاد البلاد؟
واستعبدتنا الرياح؟
فلا شذى من أمسنا يستعاد؟
ولا يطل الصباح؟

فهرست

قرارة الموجة

شجرة القمر

للصلاة والثورة

يغير ألوانه البحر

الوردة الحمراء

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١٧٦٦٩
I.S.B.N. 977 - 305 - 333 - 4

متى نصلّى؟ إنّما صلاتنا انفجارْ
صلاتنا ستُطلع النهارْ
تسلّح العزّل، تُعلى راية الثوارْ
صلاتنا ستشعل الإعصارْ
ستزرع السلاح والزنبق فى القِفَارْ
تحوّل اليأسَ إلى انتصارْ
صلاتنا ستنقل الجدبَ إلى اخضرارْ
وتُطْعم الصغارْ
فاكهةَ الصمود والإصرارْ
يا قبّةَ الصخرةِ من صلاتنا سيرتوى آذارْ
وتنبت الرايات والثمارْ
وتبعث الغناءَ، والليمونَ، والأحرارْ
تعيدُنا للوطنِ المسروقِ، تمحو العارْ

نازك الملائكة

المجلس الأعلى للثقافة